المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة - الدراسات العليا

الحمد لله وبعد:
فهذه النسخة هي التي تمت مناقشتها
ولم يطلب من الطالب أي تعديل
وقد قام بإجراء التصويبات التي
أبديت له أثناء المناقشة

أعضاء لجنة المناقشة		المشرف
د/ مطر أحمد الزهراني	د/ محمد الخضر الناجي	د/ عبد الحميد عمر الأمين

المناسبات في القرآن الكريم
ودراسة تطبيقية في سورتي
الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي

٥٦٣٢

٣٠١٠٢٠٠٠٠٢٣٦٥

رسالة مقدمة في درجة الماجستير فرع الكتاب والسنة

من الطالب / عبدالله بن مقبل بن ظافر القرني

٣٩....

بإشراف فضيلة الدكتور

عبد الحميد عمر الأمين

١٤١٢ - ١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد :

فقد يسر الله بفضله إتمام بحث درجة الماجستير بعنوان :

«المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخرالرازي» وقد تضمن بيان تأريخ هذا العلم، وأشهر المهتمين به، وأهم قواعده وضوابطه، وتطبيقاً لجوانب من ذلك في تفسير الرازي لسورتي الفاتحة والبقرة، وقد تأكد من خلال الدراسة أن القرآن واضح البيان، ساطع البرهان، متناسب السور، والمقاطع، والآيات، لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وجاء البحث في ثلاثة أبواب : تسبقه مقدمة بينت فيها أهميته، وأبرز الدراسات فيه .

أما الباب الأول: فهو للتعريف بعلم المناسبات وأنه الربط بكل معنى معقول مقبول، يلي ذلك دراسة تأريخية لبيان نشأته، وجهود العلماء فيه والمراحل التي مر بها من حين اهتمام الشافعي به إلى حين وضوح تطبيقاته على يد الفخر الرازي في القرن السابع الهجري .

وفي الباب الثاني : دراسة نظرية لعلم المناسبات في القرآن الكريم تضمنت قواعد علم المناسبة وضوابطها ، وبيان فوائدها ، وترجيح أن القول بالمناسبة باب من أبواب تدبر القرآن ، وقد أمر به مع مراعاة قواعد من أبرزها:

١- الوثوق بأن القرآن في الغاية من التناسب وإن لم نقف على وجه تناسبه .

٢- أن المناسبة بين آي القرآن ومقاطعه وسوره رابط معنوي تتلقاه العقول بالقبول .

أما الباب الثالث : فيبدأ بنبذة عن حياة الرازي وكتابه مفاتيح الغيب، ثم بدراسة مناسبات سورة الفاتحة والبقرة دراسة تطبيقية بينت فيها مقاصد كل سورة وتناسب آيها، ومقاطعها، وأولها لختامها، وخلال ذلك موازنة لأقوال الرازي ، وأمثلة تبين طريقة الرازي في ربط كل نوع.

وبهذا يتم البحث وتأتي خاتمته المتضمنه لأهم النتائج ومنها:

١) أن هذا العلم نشأ مع نشأة التفسير، ثم تطور إلى أن صار علماً مستقلا.

٢) أن استنباط المناسبة من التدبر المأمور به، ويشترط لقبوله مايشترط لقبول التفسير.

٣) ينبغي للباحث في التناسب أن يبتعد عن التكلف، أو الجزم بأن مايصل إليه هو مراد الله.

٤) معظم ما يربط به الرازي بين الآيات مما تقبله العقول، ومما يتفق مع القواعد الشرعية وماخالف ذلك فهو ناتج من إخضاع المناسبة لآراء الرازي ومذهبه، بعيداً عما صح في السنة الشارحة والمبينة للقرآن ، والله أعلم بالصواب .

الباحث / عبدالله بن مقبل القرني

المشرف على الرسالة | عميد كلية الدعوة وأصول الدين

د. عبد الحميد عمر الأمين | أ. د. علي بن نفيع العلياني

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أحمد الله القائل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١) فاللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وإن من تمام شكره امتثال أمره، وقد أمر بشكر الأبوين في قوله ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (٢) فشكر الله لوالدي، وبارك فيهما، وأمد في عمرهما في عافية ، وحسن عمل .

ثم أزجي الشكر لمشائخي وأساتذتي الأفاضل، وعلى رأسهم مشرفي الكريم فضيلة الدكتور عبدالحميد عمر الأمين على ما أولانيه مدة إشرافه عليَّ من عناية، ورعاية ، وتوجيه؛ فجزاه الله خيراً.

ولكل من فضيلة الشيخ الدكتور منصور بن عون العبدلي وفضيلة الشيخ الدكتور حمزة بن حسين الفعر ، جزيل الشكر أثابهما الله ، ونفع بهما جزاء ما أفدته منهما .

وشكر الله للشيخين الكريمين فضيلة الدكتور محمد الخضر الناجي ضيف الله، وفضيلة الدكتور مطر بن أحمد الزهراني قبولهما مناقشة هذه الرسالة ، أجزل الله مثوبتهما ، وبارك فيهما .

ثم أختم بشكر كل من أعانني ، أو أفادني بفائدة ، أو كتاب ، أو دعاء، وحقهم أعظم من أن يعبر عنه بيان أو يسطره بنان ، فجزاهم الله خير الجزاء، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٢.

(٢) سورة لقمان : ١٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنار القلوب بنور الإيمان، وهدى البصائر والأفئدة بهدى الفرقان، أنزل على عبده كتاباً مباركاً هدى ونوراً للعالمين، يهتدي به المتقون، ويستضيء بنوره السالكون .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،وحجة على الخلق أجمعين بكتاب عربي مبين قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾(١)

فكان الوحي بلسان عربي مبين لإنذار أمة عربية تفخر بلغتها، وتتباهى ببلاغتها،أمة تَعُدُّ من ينظم أجود الشعر ،أو يرتجل بليغ الكلام أفضل القوم وأشرفهم ، حتى أقامت للشعر أسواقاً وللخطابة مجامع ؛فاقتضت حكمة الله إنزال الكتاب لإنذارهم فكان إنزاله بلسانهم ولغتهم على رجل منهم دليلاً على صدق نبوته ،وحجة رسالته، فوقف البلغاء منهم أمام هذا الكتاب مشدوهين شاهدين بأنه تنزيل من رب العالمين ،ومنع الحسد والعناد قوماً آخرين، فقائل: "تقوله"وآخر يقول:"إنما يعلمه بشر" كما حكى الله عنهم ذلك في كتابه ؛ فأجابهم الله بقوله :

﴿۝٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾(٢)

لأنه لو كان من عند غير الله لاختل نظمه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض.

وفي هذه الآية دعوة للناس كافة أن يتدبروا القرآن، وأنهم إن تدبروه لن يجدوا فيه أي اختلاف لأنه تنزيل من حكيم حميد .

---

(١) (الشورى :٧) .

(٢) (النساء: ٨٢).

وقد أمر الله المؤمنين بتدبر القرآن في آي كثيرة كقوله تعالى : [ليدبروا ءايـته وليتذكر أولوا الألباب (١)]

وفي ذلك حث للأمة عامة والعلماء خاصة على تدبر كتاب الله وتدارسه ومن جملة ذلك النظر في أوجه اتفاقه وموانع اختلافه،ومما يوضح ذلك ويجليه (علم المناسبات) المتعلق بترابط السور والآيات في كتاب الله ، الذي نشأ مع بداية تنزل القرآن حيث أقر ببلاغته وجودة ألفاظه ومعانيه بلغاؤهم كالوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحارث، وعتبة بن ربيعة و شهدوا له وهم فصحاء العربية بحسن الترابط والانسجام وعلوه على غيره من الكلام .

حتى قال الوليد بن المغيرة في شأن القرآن:" والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوه ، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ومـا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته"(٢)

ولما حاول اليهود الطعن في تناسق القرآن رد الله عليهم بقوله:

قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ (٣)

وقد جاء فيما صح من تفسيره صلى الله عليه وسلم ما يشهد لهذا النوع ويقره ،ثم اشتملت تفاسير الصحابة ومن بعدهم على أمثلة عديدة تبين اهتمامهم بالترابط وعنايتهم بالسياق .

وفي عصر التدوين ظهرت إشارات متفرقة إلى هذا النوع فيما كتب في شأن إنزال القرآن بلسان العرب كما في كتاب الرسالة للشافعي(ت٢٠٤هـ) ثم ما كتب في نظم القرآن ككتاب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) المعروف " بنظم القرآن".

---

(١)(سورة ص:٢٩)

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢:٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٣) الإسراء :٨٨ .

ثم ظهر هذا النوع جلياً في الرد على ما أثير من شبه في أسلوب القرآن ، ومحاولة الطعن فيه؛ حيث تصدى للرد على هذه الشبه جمع من أهل العلم على رأسهم ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابيه "مشكل القرآن، ومختلَف الحديث "

وهكذا استمرت العناية بهذا العلم دفاعاً عن كتاب الله ورداً لما يثار حوله من شبه .

ثم تناوله المفسرون خلال تفاسيرهم كما فعل ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسيره " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " من غير تصريح به .

ثم صرح به في بغداد أبو بكر عبدالله بن زياد المفسر أحد فقهاء الشافعية (ت٣٢٤هـ)

ثم تناول هذا العلم بالتمثيل والتقعيد الإمام حمد بن سليمان الخطابي ثم الإمام أبو بكر بن الباقلاني فيما كتباه في إعجاز القرآن الكريم .

ثم تبعهم عبد القاهر الجرجاني الذي اشتهر بنظريته في النظم فقد اهتم كل منهم بتناسق القرآن وترابطه وجعلوه سراً من أسرار اعجازه ، ووضعوا له بعض القواعد، ومثلوا له ببعض الآيات .

ثم شهد القرن السادس تطبيقات واسعة لتناسق القرآن في تفسير الزمخشري، وابن عطية ، وفيما كتبه أبو بكر بن العربي .

وفي أواخر هذا القرن وأوائل السابع عاش " فخر الدين الرازي" أكثر المفسرين اهتماماً بعلم مناسبات القرأن إيراداً أو تطبيقاً ، قال السيوطي:"وعلم المناسبة علم شريف، قل اعتناء المفسرين به لدقته ،وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين الرازي "(١)أ.هـ؛ لأنه اهتم في " التفسير الكبير "المعروف" بمفاتيح الغيب"بالإشارة إلى التناسب وبيان أوجه الترابط في الآي والمقاطع مع معرفة دقيقة وإبراز جيد .

---

(١) الإتقان ٢/٩٧٦ .

ثم توالى تناول العلماء للتناسب(١) من بعده وإقرارهم له، وتأثر كثير منهم بكتاباته في المناسبات وغيرها كما عند الأصبهاني والنيسابوري.

و أسهم علماء علوم القرآن في الاهتمام به، فممن أفرده بالتأليف أبو جعفر بن الزبير الأندلسي(ت ٧٠٨هـ) في كتابه "البرهان في تناسب سور القرآن " و جعله في مناسبات السور خاصة.

وقد حث على معرفته وتدبره شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) فقال في تفسيره لسورة البقرة: "فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض "(٢)

و تبعه الزركشي(ت٧٩٤هـ) الذي أشاد به وحض على معرفته في مواضع كثيرة من كتابه "البرهان في علوم القرآن "وله دوره في التعريف بهذا العلم وبيان بعض فوائده.

ثم ألف فيه البقاعي إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ) كتاب "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" وهو أول من كتب تفسيراً خصه بالتناسب بين السور والآيات، وله فيه آراء واختيارات يمكن قبول كثير منها.

ثم جاء جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) فأشاد بهذا العلم وألف فيه مؤلفاً ضخماً (٣)أفرد منه بعض أنواعه في كتب مستقله مثل:

- تناسق الدرر في تناسب السور وهو في مناسبة السورة للسورة.

ثم اهتم به العلماء المهتمون بالحواشي والتعليقات على كتب التفسير والبلاغة كالخفاجي والتفتازاني وغيرهما.

---

(١)وفي هذا العصر وما بعده انتقل الاهتمام بالتناسب إلى الفنون والعلوم الأخرى فأصبح شراح الحديث يبحثون في مناسبات الأبواب والمسائل من كتب الحديث ،واعتنى الفقهاء بترابط أبواب الفقه وتناسق مسائله.أما البلاغيون وأهل البيان والأدب فهم أهله به يفتخرون وإليه يتحاكمون.

(٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ت محمد السيد الجليند(١٩٩/١)، مؤسسة علوم القرآن بيروت ط٢،١٤٠٤.

(٣) قطف الأزهار في كشف الأزهار وهو مخطوط في مكتبة مراد بخاري استنبول برقم ٤١ . انظر تناسق الدررفي تناسب السور تحقيق عبد الله محمد الدريوش

- وفي العصر الحاضر لقي هذا العلم الكثير من الاهتمام والرعاية ضمن تفاسير القرآن والمؤلفات في علوم القرآن وإعجازه ، فاعتنى به في الهند عبد الحميد الفراهي الذي ألف فيه تفسيراً سماه نظام الفرقان وتفسير القرآن بالقرآن نشر منه عدة رسائل (١) .

واهتم به من علماء تركيا سعيد النورسي في عدد من رسائله وكتبه.

أما في العالم العربي : فقد تعرض له المهتمون بالتفسير ابتداء من الشيخ محمود شكري الألوسي في تفسيره" روح المعاني" فلا يكاد تفسير من تفاسير العصر الحديث يخلو من الاهتمام بالتناسب ومن أشهر من اهتم به من مفسري العصر الحاضر :

الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار ،والشيخ المراغي في تفسيره .والشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره تيسير الكريم المنان،والشيخ محمد الطاهر بن عاشور في "التحرير والتنوير ولكل منهم أقوال دقيقة وأراء صائبه.

واهتم بالتطبيقات الواسعة وبرع فيها كل من المراغي ، و سيد قطب، وسعيد حوى رحمهم الله.

---

(١)قال سليمان الندوي في ترجمته "كان يعتقد أن القرآن مرتب بيانه،ومنسقة النظام آياته ،وكل ما تقدم أو تأخر من سوره وآيه بني على الحكمة والبلاغة ،ورعاية مقتضى الكلام ؛فلو قدم ماأخر و أخر ماقدم لبطل النظام ،وفسدت بلاغة الكلام ،وكان يرى أن القرآن يفسر بعضه بعضاً "انظر امعان في أقسام القرآن لعبد الحميد الفراهي ط المطبعة السلفية ١٣٤٣ هـ ، من ترجمة له في ذيل الكتاب (ص: د)" .

و تنوعت الدراسات القرآنية في العصر الحاضر في بلاغة القرآن، وإعجازه ،وبيانه ،وتناسبه.

ولا يكاد يخلو مؤلف في بلاغة القرآن أوبيانه أوإعجازه من إشادة بتناسب القرآن كما في كتابات الرافعي ومحمد الخضر حسين وغيرهما.

فضلاً عمن عني بالتناسب : كعبد العزيز جاويش في كتابه " أسرار القرآن" ومحمد بن كمال أحمد الخطيب في كتابه "نظرة العجلان في أغراض القرآن "حيث اهتم فيه بإظهار وحدة الموضوع وتناسب أغراض السورة.

وألف فيه عبدالله بن محمد الصديق الغماري كتاب " جواهر البيان في تناسب سورالقرآن" .

و خصه الشيخ د.محمد عبد الله دراز بدراسة نالت القبول عند المعاصرين في كتابه "النبأالعظيم ".

و من أوسع ماكتب في علم المناسبات كتاب الإعجاز البياني للشيخ د.أحمد محمد القاسم الذي ازدان بجمعه لكثير من آراء الباحثين في هذا العلم .

وتناوله عبد المتعال الصعيدي في كتاب "النظم الفني في القرآن" وبحث د.حفني محمد شرف جوانب منه في كتابه الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق .

ودون في جوانب من هذا العلم عدد من الرسائل العلمية:

فخصه الباحث محمد عناية الله هداية الله برسالتين علميتين قدمهما لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأولى رسالته للماجستير بعنوان "إمعان النظر في نظام الآي والسور " أما رسالته للدكتوراة فهي بعنوان "نظام سور الفاتحةوالبقرة وآل عمران "

اعتمد فيها على الشواهد والآثار مع نقول متناثرة عن الفراهي ،ومحمد دراز ،وسيد قطب ،ونقولات مماورد عند أهل الكتاب وفيما دون بعض المآخذ حيث تكلف في مواطن.

أما رسالته للماجستير ففيها ذكر مزايا هذا العلم ،ودفع الشبه عنه .

وبُحثت جوانب من هذا العلم كالفاصلة القرآنية فلكل من الأستاذ محمد الحسناوي، والدكتور عبدالفتاح لاشين كتاب بعنوان "الفاصلة في القرآن ".

وقُدّم في نوع من أنواع هذا العلم وهو"مناسبة الأسماء الحسنى للآيات التي ختمت بها في القرآن الكريم" ثلاث رسائل علميه في جامعة أم القرى، وهي في جانب من هذا العلم الذي تنوعت ميادينه وتعدد الباحثون فيه وتلك إحدى عجائب القرآن التي لا تنقضي ثم لأن في العناية به ومعرفة تناسبه استجابةً لأمر الله بتدبره،وتجليةً لمحاسنه،وإظهاراً لإعجازه ودفعاً لما يثار حوله من شبه.

ولما كان هذا العلم بهذه المكانة والرازي فيه بتلك المنزلة أحببت أن يكون موضوع رسالتي للماجستير (المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي)

رغبة مني في بيان تأريخ هذا العلم ،ومعرفة أشهر المهتمين به وتجلية لفوائده،،واستنباطاً لقواعده وضوابطه ،وتطبيقاً لجوانب من ذلك في تفسير الرازي لسورتي الفاتحة والبقرة من التفسير الكبير المعروف ب"مفاتيح الغيب"

كالإهتمام بالإشارة إلى التناسب وبيان أوجه الترابط في الآي والمقاطع والتنبيه على تميزه بمعرفة دقيقة وإبراز جيد للتناسب،إذ يصرح بوجه تعلقها ،وكيفية نظمها،وأحياناً يذكر أوجهاً لاتصالها بما قبلها .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب مع مقدمة،وخاتمة على النحو التالي :

الباب الأول: في علم المناسبات وفيه فصلان:

الفصل الأول : التعريف بالمناسبة وفيه مطالب:

المطلب الأول :التعريف بالمناسبة عند اللغويين. الثاني: المناسبة عند البلاغيين.

الثالث :المناسبة عند الأصوليين.

الرابع :التعريف بعلم المناسبة عند علماء علوم القرآن

الفصل الثاني: في نشأة علم المناسبة وتأريخه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول :تناولت فيه نشأة هذا العلم

ونتج عن ذلك أن فصحاء العرب أقروا بتناسب آي القرآن.

وأنه ورد في تفسير النبي صلى الله عليه و سلم، وتفاسير الصحابة والتابعين .

وفي المبحث الثاني :بينت جهود العلماء فيه والمراحل التي مر بها من حين اهتمام الشافعي به ودفاع ابن قتيبة عنه إلى حين وضوح تطبيقاته على يد الفخر الرازي في القرن السابع الهجري .

وخصصت الباب الثاني : لدراسة علم المناسبات دراسة نظرية :وفيه مباحث

المبحث الأول :قواعد علم المناسبة وضوابطها مستنبطة مما ذكره المفسرون ،والمهتمون بعلم المناسبة ومن أبرزها

١ـ الوثوق بأن القرآن في الغاية من التناسب وإن لم نقف على وجه تناسبه لأنه تنزيل من حكيم حميد.

٢ ـ المناسبة بين آي القرآن ومقاطعه وسوره رابط معنوي تتلقاه العقول بالقبول .

٣ ـ استنباط المناسبة نوع من التفسير له شرف التفسير وموضوعه، فيشترط له مايشترط في التفسير .

٤ ـ أن "ترتيب التلاوة "ركن لإثبات التناسب وهو توقيف من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إجماعاً في الآيات وعلى الراجح في السور.

ـ المبحث الثاني : أقوال أهل العلم في قبول المناسبة وردها،وأدلة كل فريق،وترجيح أنه باب من أبواب تدبر القرآن وقد أمر به مع مراعاة قواعده وضوابطه .

ثم عددت فوائد علم المناسبة في المبحث الثالث

وفي المبحث الرابع :أنواع المناسبة وأقسامها .

أما الباب الثالث: ففيه دراسة تطبيقية لمناسبات سورتي الفاتحة ،والبقرة من خلال التفسير الكبير المعروف ب" مفاتيح الغيب":وفيه فصول :

الفصل الأول :

نبذة عن حياة الرازي، ونبذة عن كتابه مفاتيح الغيب، ثم المناسبات عند الرازي بين التأثر والتأثير .

الفصل الثاني : دراسة مناسبات سورة الفاتحة.

أما الفصول من الثالث ،إلى الثامن،فدراسة لمناسبات سورة البقرة

وفي هذه الدراسة التطبيقية بينت مقاصد كل سورة وتناسب آياتها،ومقاطعها، وأولها لختامها،وخلال ذلك موازنة لأقوال الرازي، وأمثلة تبين طريقة الرازي في ربط كل نوع.

وبهذا يتم البحث وتأتي خاتمته المتضمنه لأهم النتائج

وبعد حمدالله الذي بنعمته تتم الصالحات،أقول كما قال الإمام الزركشي في ختم مقدمة البرهان :"واعلم أنه مامن نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه ؛لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره فإن الصناعة طويلة والعمر قصير"(١)أ.هـ

وأقول ماحصل في هذا البحث من حق وصواب فمن الله والحمد لله، وما وقع فيه من خطأ أوزلل فمني وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يلهمنا السداد والصواب وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٥/١ .

الباب الأول

التعريف بعلم المناسبة .

UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

الفصل الأول : معنى المناسبة وفيه مطالب :

المطلب الأول : معنى المناسبة عند اللغويين .

المطلب الثاني : معنى المناسبة عند البلاغيين .

المطلب الثالث : معنى المناسبة عند الأصوليين .

المطلب الرابع : المناسبة في اصطلاح علماء علوم القرآن .

تمهيد:

عند إرادة الوصول إلى المراد بالمناسبة- عند علماء علوم القرآن - لابد من استعراض معناها عند أهل اللغة واستعراض أقوالهم حسب تطور معنى المناسبة عندهم.

ثم النظر في لفظها هل هو خاص بهذا العلم؛ أم تداوله أهل علوم أخرى؛ والناظر في كتابات المتقدمين يلاحظ دوران لفظ المناسبة على ألسنة البلاغيين والأصوليين إضافة إلى اللغويين وعلماء علوم القرآن وربما كان في دورانها عند علماء فن مايتمم معناها عند الآخرين؛فعند إرادة معرفة معناها عند علماء علوم القرآن لابد من من الوقوف على معناها عند اللغويين، واستعمالاتها عند البلاغيين واستخداماتها عند الأصوليين .

المطلب الأول : المناسبة عند اللغويين .

بالنظر في معنى المناسبة عند اللغويين يظهر أنها مرت بمراحل فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) أوضح من خلال ما أورده من استعمالات (النون،والسين،والباء) في لغة العرب ثلاثة معان:-

١- في القرابات منه فلان نسيبي ، وهؤلاء أنسبائي ورجل نسيب (منسوب ذو حسب ونسب) والنسبة مصدر الانتساب .

٢-النسيب في الشعر ما كان نسيبا ، شعر منسوب وجمعه مناسيب وهو الشعر في النساء .

٣-الطريق المستدق الواضح كطريق النمل والحية ، وطريق حمر الوحش إلى المورد وهو طريق واحدة (١) وأورد هذه المعاني أيضاً ابن دريد (ت ٣٢١هـ)(٢) وكذا الأزهري (ت ٣٧٠هـ) الذي انفرد بقوله : " والنسب يكون بالآباء، ويكون إلى البلاد، ويكون بالصناعة"(٣).

---

(١) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٢٧١/٧) باب السين والنون والباء معهما.ط أوقاف العراق ،ت د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

(٢) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن حسين الأزدي(٢٩٠/١) ط،الحلبي، مصر .

(٣) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(١٣/١٤-١٥) ت.د/عبدالسلام هارون وآخرون نشر دار القومية العربي١٣٨٤هـ مصر.

وفيما تقدم إيماء إلى أن النسبة تعني الاتصال والترابط لأن النسب هو مدار الاتصال والتواصل بين بني آدم، وكذا الشعر في شأن النساء سمي نسيباً لاتصاله بهن، والطريق المستقيم الواضح سمي نسيباً لاتصاله وعدم اعوجاجه.

ثم جاءت المرحلة الثانية حيث صرح اللغويون أن النسبة تعني الاتصال صراحة وإن ارتكز معنى المناسبة عندهم على معنيين رئيسيين ظهرا في وقت متقارب.

الأول: قال به الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣ هـ.

والثاني: ذكره أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ.

فالأول:- هو ما ذهب إليه الجوهري من أن معنى المناسبة هو المشاكلة؛ حيث قال الجوهري : (ليس بينهما مناسبة" أي مشاكلةٌ")(١) وإلى هذا المعنى مال الزمخشري في تعريفه للمناسبة حيث قال:"ومن المجاز بين الشيئين مناسبة وتناسب، ولا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة"(٢) وقد فسر الزبيدي قول الزمخشري هذا بما يوافق ما قاله الجوهري فقال:"ومن المجاز المناسبة:المشاكلة يقال بين الشيئين مناسبة وتناسب، ولا نسبة بينهما وبينهما نسبة قريبة"(٣).

وهذا يفيد أن المناسبة تعني المشاكلة بين الشيئين.وقد ذهب إلى هذا أيضاً الفيروز آبادي حيث صرح بأن المناسبة هي المشاكلة(٤).ونقل ذلك ابن منظور والرازي وآخرون(٥) ولهذا القول أنصاره منذ ظهر، وقد استعمل هذا الإطلاق اللغوي علماء علوم القرآن الكريم كما سيأتي إن شاء الله (*).

أما المعنى الثاني:الذي نقل عن ابن فارس فهو أن المناسبة تعني الاتصال بوجه من الوجوه اتصالاً أعم من كونه مشاكلة فحسب حيث يقول:" نسب، النون، والسين،والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء منه النسب سمي لاتصاله وللاتصال به"(٦).

---

(١) الصحاح مادة (نسب)١/٢٢٤

(٢) أساس البلاغة للزمخشري(مادة نسب)٢/٤٣٨

(٣) تاج العروس للزبيدي (مادة نسب)

(٤) القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي(مادة نسب)١/١٣٢

(٥) انظر لسان العرب لابن منظور (مادة نسب) و مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي : ٦٥٦

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥: ٤٢٣ .

ثم ضرب عدة أمثلة تؤكد أن معنى المناسبة بكل اشتقاقاتها يدور على الاتصال؛ كالنسيب في الشعر إلى المرأة كأنه ذكر يتصل بها، والنسيب في الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض.(١)

ويلحق بتعريف ابن فارس ما ذهب إليه الراغب حيث قال:"وتستعمل النسبة في مقدارين متجانسين بعض التجانس يختص كل واحد منهما بالآخر"(٢).

فإنه جعل الاتصال بوجه لامن كل الوجوه وفي هذا زيادة تحديد لما قاله (ابن فارس) وكذا ما قاله الجرجاني: من أن النسبة: "هي إيقاع التعلق بين الشيئين"(٣).

فإن فيه موافقة لما ذهب إليه ابن فارس.

وهكذا فبعد النظر فيما تقدم من كتب اللغة يظهر أن معنى المناسبة عند أصحاب الرأي الأول أخص منها عند أصحاب القول الثاني فهي عند الأولين تعني الاتصال على جهة المشاكلة أما عند الآخرين فهي تشمل ما فيه أدنى رابطة فيدخل فيها كل تعلق، أواتصال، أوتشاكل، أوترابط بين شيئين بأي وجه من الوجوه.

ولعل هذا هو الراجح لأن النسبة تشمل كل اتصال، سواء كان ذلك من وجه أومن أوجه متعددة.

ومنه قوله عليه السلام :‹الولاء لحمة كلحمة النسب›(٤).

وهي تشمل المشاكلة والتلاؤم والترابط والتجانس، ويدخل فيها ما يعرف باسم النظم والعلاقة، وقد دارت معظم هذه الألفاظ على ألسنة البلاغيين إلى جنب لفظ المناسبة مما يؤكد النظر في إطلاقاتها عندهم فيما بعد.

---

(١)انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥: ٤٢٣ .

(٢) المفردات للراغب الأصبهاني:٤٩٠ .

(٣) التعريفات:٢٤١ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٣٤١:٤ وصححه قال الذهبي: "قلت بالدبوس" وهذا إشارة إلى أنه لم يصح إلا بصعوبة حيث ورد مرفوعاًومرسلاً وموقوفاً من طريق عبد الله بن عمر وموقوفاً عليه فقد أخرجه الحاكم ٢٤١:٦، وهو عند البيهقي في السنن الكبرى ٢٤١:٦، ٢٩٥:١٠-٢٩٦ وأورده الدارمي موقوفاً٢٨٧:٢ .

وسواء صح موقوفاً أومرفوعاً فإن المراد هنا إثبات أن المناسبة لفظ يطلق على مايدل على الاتصال .

المطلب الثاني : المناسبة عند البلاغيين .

لما تقدم تعريف اللغويين للمناسبة وأن البعض عرفها بالمشاكلة وهو مصطلح بلاغي كان ذلك دافعاً لمعرفة مصطلح البلاغيين وتعريفهم للمناسبة، ويمكن أن يعتبر ما تكرر عند العلماء اللغويين من تفسير المناسبة بالمشاكلة هو أول وضع للكلمة في طريقها الاصطلاحي البلاغي.

تلا ذلك تداول للفظ المناسبة من قبل البلاغيين في أبواب مختلفة من علمي المعاني، والبديع، كالمقابلة، ومراعاة النظير، وتشابه الأطراف؛ فإن بعض البلاغيين يطلقون على ما تقدم لفظ المناسبة وفي الفصل والوصل وبعض ما تقدم يحصل معناها .

وهكذا فقد دارت على ألسنة المتقدمين بلفظها ومعناها ثم استقر تعريفها على يدي ابن أبي الأصبع المصري في كتابه البديع حيث قال: المناسبة على ضربين مناسبة في المعاني ، ومناسبة في الألفاظ.

ثم عرف المعنوية بقوله :- هي أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ومنه قوله تعالى :[أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ *أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ] (السجدة ٢٦-٢٧)

ثم قال:" فانظر إلى قوله تعالى في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية، لكونهم لم ينظروا القرون الهالكة وإنما سمعوا بها[أولم يهد لهم] كما قال في التي بعدها [أولم يروا]وقال تعالى بعد الموعظة السمعية [أفلا يسمعون] وبعد الموعظة المرئية[أفلا يبصرون] لأن الزرع مرئي لا مسموع ليناسب آخر كل كلام أوله"(١).

---

(١) بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري ١/١٤٩ .

أما القسم الثاني عند ابن أبي الأصبع فهي: المناسبة اللفظية وهي: عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة (١) وقد أورد هذا التقسيم مقرا له ابن القيم بعد أن عرف التناسب بأنه :- ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر (٢) وتعريفه هذا هو تعريف عام للمناسبة من الناحية البلاغية ونقل التهانوي أن المناسبة عند البلاغيين هي جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد (٣). والمقصود مما تقدم هو ما يتناوله التعريف السابق خاصة ما يتعلق منها بالمعاني، وهي المناسبة المعنوية التي عرفت بأنها :- هي أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، وكذا لو تناسبت لفظاً إذ المقصود النظر إلى ترابط معاني الكلام وتناسبه .

ثم نجد البلاغيين يعرضون للمناسبة أيضا في باب الوصل والفصل وغيره من أبواب علم المعاني وذكروا أنها تسمى عندهم مناسبة ،وتناسباً ،وائتلافاً ،ومراعاة النظير ، وأن من أنواعها تشابه الأطراف:-وهو ختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى وعرفوا الوصل بأنه :-"عطف بعض الجمل على بعض، وأن الفصل هو ترك العطف" (٤) .

وقد بينوا أن تمييز أحدهما من الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن عظيم الخطر دقيق المأخذ (٥) ولكل من الوصل والفصل مواطن ذكرها أهل البلاغة .

ولا بد في حال الوصل من جامع بين الجمل وهو على أنواع، حسي، أوعقلي، أوخيالي، أو وهمي، وقد جعلها وغيرها علماء علوم القرآن شرطاً للقول بالمناسبة كما سيأتي إن شاء الله لكن يلاحظ أن ما قيل فيه بالفصل عند أهل البلاغة من آي القرآن لا يخلو من مناسبة عند علماء علوم القرآن والله أعلم.

---

(١) بديع القرآن لابن أبي الإصبع/١/١٤٩-١٥٠ .

(٢) الفوائد المشوق لعلوم القرآن٨٧ .

(٣) موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية لمحمد بن علي التهانوي ١٣٦٦/٦ .

(٤) الإيضاح للقزويني (١٤٧) والتلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني (١٧٥) ط دار الفكر العربي .

(٥) الإيضاح للقزويني (١٦٢-١٦٤) .

وأكثر ما دار على ألسنتهم لفظ النظم : وهو التأليف، تقول نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله وكل شيء قرنته بآخر أوضممت بعضه إلى بعض في نظام واحد كذلك هو في كل شيء حتى يقال ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقه، والانتظام الاتساق،وكان نظم القرآن عند الجاحظ يعني حسن الصياغة وكمال التركيب ودقة التأليف وجمال النظم(١).

وهو عند الخطابي"ما يقوم به الكلام من لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم"(٢).

أما عبد القاهر الجرجاني صاحب "دلائل الإعجاز" فإن معنى النظم عنده هو:"أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو،وتعمل على قوانينه وأصوله،وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"(٣).

وفي موضع آخر بين متى يحصل النظم :"وأنه لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"(٤).

وعند الباقلاني أن النظم : طريقة الكلام وأسلوبه،وعد منه الكلام في نظم السور والآيات (٥).

وعرف الجرجاني صاحب "التعريفات" النظم لغة:-"بأنه جمع اللؤلؤ في السلك وفي الاصطلاح:- تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل الألفاظ المسوقة المعتبرة دلالاتها على مايقتضيه العقل"(٦).

---

(١) لسان العرب(مادة نظم)٥٧٩/٥٧٨/٢ .

(٢) انظر ص ٢٧ من بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت محمد خلف الله ومحمد زغلول .مصر.

(٣) انظر دلائل الإعجاز للجرجاني ٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ٦٤ .

(٥) إعجاز القرآن للباقلاني(٣٠٠-٣٠٢)

(٦) التعريفات للجرجاني/٢١٦ .

وكما استعملوا لفظ النظم فقد استعملوا ألفاظاً أخرى هي : الربط السياق والسباق ،والنسق فقالوا تألف واتسق، والنظام الترتيب والا تساق.

أما الربط والرباط :فمأخوذ من ربط الشيء يربطه ربطاً فهو مربوط وفي القاموس: هو ما يربط به (١).

أما النسق فهو ما جاء من الكلام على نظام واحد وهو مصدر نسقت الكلام إذا عطفت بعضه على بعض (٢).

وفي مقاييس اللغة :ـ"النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسيق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض"(٣).

أما السياق والسباق فمعناهما قريب مما تقدم فالأول حذو الشيء قال الزبيدي "هو يسوق الحديث أحسن سياق وإليك يساق الحديث...وجئتك بالحديث على سوقه على سرده والسباق يدل على التقديم"(٤).

وكل ما ذكره البلاغيون هنا موافق لماتقدم في معنى المناسبة.

---

(١) لسان العرب (مادة ربط) ٣٠٢/٧ .

(٢) الصحاح للجوهري [مادة نسق]

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس /٤٢١/٥ .

(٤) تاج العروس /٣٨٩/٦ .

المطلب الثالث : معنى المناسبة عند الأصوليين .

بعد عرض تعريف اللغويين والبلاغيين الذي دار على وجود رابط أو علاقة بأي وجه من الوجوه يحسن النظر في تعريف المناسبة عند علماء الأصول حيث دار لفظها على ألسنتهم وفي كتاباتهم فجعلوها عمدة باب القياس، ومحل غموضه ووضوحه .

وقد عرف المناسبة تعريفاً أصولياً عاماً الفخر الرازي في كتابه المحصول فقال: "المناسبة: هي الملائم لأفعال العقلاء في العادات فإنه يقال: "هذه اللؤلؤة تناسب هذه اللؤلؤة" أي الجمع بينهما في سلك واحد متلائم، وهذه الجبة تناسب هذه العمامة أي الجمع بينهما متلائم"(١).

ونقل الزركشي عن الدبوسي(٢): قوله في المناسبات: "مالو عرض على العقول تلقته بالقبول."

ومما تقدم يتضح أن الأصوليين أكدوا في المناسبة على أمر آخر يضاف لمعنى الترابط الذي اتفق عليه اللغويون والبلاغيون وأقرهم عليه الأصوليون وهو قبول العقل لهذا المعنى ويتضح ذلك من قولهم مالو عرض على العقول تلقته بالقبول .

وهذا وإن ظهر جلياً في تعريفات الأصوليين إلا أن تعريفات غيرهم لا تأباه لأن الارتباط بين الأجزاء لايتحقق إلا بمعنى معقول مقبول.

---

(١) المحصول في علم الأصول للفخر الرازي تحقيق طه جابر العلواني/٢/٢١٧، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) الدبوسي هو ابو زيد عبدالله بن عمر بن عيسى أول من وضع علم الخلاف وله كتب في الأصول الأعلام/٤/١٠٩، وانظر البحر المحيط للزركشي مخطوطة/٩٣ .

المطلب الرابع : المناسبة في اصطلاح علماء علوم القرآن .

لا شك أن بعضاً ممن سبقت أسماؤهم ضمن أهل اللغة والبلاغة والأصول هم من المهتمين بعلوم القرآن بل إن دراسة البلاغة تعتمد كثيراً على آيات القرآن الكريم الذي هو أساس الدراسات الأصولية .

وقد بنى علماء علوم القرآن تعريفهم على ما تقدم من أقوال في تعريف المناسبة لكن لم يظهر لهم تعريف مبكر لاشتغالهم بالتطبيق أكثر من التقعيد.

وأول من حدد جهته الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت٧٠٨هـ) عندما عرض للآيات الآمرة بالتدبر فقال:"وجهات اعتباره كثيرة ....وإني تأملت منها بفضل الله وجوه ارتباطاته وتلاحم سوره وآياته إلى ما يلتحم مع هذا القبيل من عجائب شواهد التنزيل"(١).

ثم جاء بعده علماء عرفوا المناسبة تعاريف خاصة معتمدين ما تقدم من تعريفات لغوية واصطلاحية .

فها هو الزركشي يعرف المناسبة بادئًا بالتعريف اللغوي، ثم بتهذيب لتعريف الدبوسي فقال:"المناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما،وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس:-الوصف المقارب للحكم، لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام، أوخاص، عقلي، أوحسي، أوخيالي أوالتلازم الذهني أوالتلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"(٢).

وهنا يتضح أن الزركشي قد بدأ بتعريف عام للمناسبة وأبرز الأصل اللغوي، وبين أن العقول تقبلها.

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، تحقيق د. سعيد الفلاح طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،١٤٠٨هـ .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١:٣٥ .

ثم عقب ذلك بالحديث عن المناسبة في القرآن فأوضح أنها لا تخرج عما تقدم لكنه وضع إطاراً وقاعدة للقول بالمناسبة في القرآن الكريم فإنه لا بد من أن يكون بين المتناسبين من آي أو سور، أو مقاطع معنى رابط يربط بينهما وهي ما يأتي من أنواع رابطة.

وقد وافق السيوطي الزركشي في ذلك مضيفاً بعض التقسيمات حيث قال في تعريفه: المناسبة في اللغة: المشاكلة، والمقاربة.

ثم ذكر ماقاله الزركشي: في مرجع المناسبة وجامعها في الآيات ثم فصل أنواع التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه.

ويلاحظ في تعريف السيوطي زيادة لفظ المشاكلة والإتيان بمرجع المناسبة وشرطها في آيات القرآن كما هي عند الزركشي وأنه لم يصغ أي منهما تعريفاً للمناسبة في القرآن الكريم.

لكن السيوطي ألحق بما تقدم قوله:" وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء" ثم قال:"فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وإما أن لا يظهر الارتباط وهنا أرشد السيوطي إلى البحث عن جامع أو عن دعامة تؤذن بالاتصال"(١).

أما البقاعي فقد عرف المناسبة بتعريف عام للمناسبة ثم بتعريف للمناسبة في القرآن خاصة.

أولاً تعريفه العام: قال:"وعلم المناسبات الأعم من مناسبات القرآن وغيره: علم تعرف منه علل الترتيب"(٢).

والمقصود أن مايعرف بسببه لم قدم شيء على شيء، ولم كان هذا سابقاً وهذا لاحقاً فهو من باب علم التناسب.

ثانياً:- تعريفه الخاص لمناسبات القرآن الكريم حيث قال البقاعي: فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه"(٣).

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي(٢-٩٨٧) تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا ط١ -١٤٠٧ دار ابن كثير دمشق.

سيأتي تفصيل مرجع أوجامع المناسبات ودعامتها تحت عنوان قواعد علم المناسبة إن شاء الله.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/١ ط دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند ١٣٨٩هـ.

(٣) المصدر نفسه ٦/١.

و تعريف البقاعي المتقدم تعريف جامع إذ يشمل مناسبة الآية والمقطع والسورة، ولعله اعتمد على ما تقدم من تعريف الزركشي مثل ضرورة وجود رابط يربط بينهما على ما تقدم لكن البقاعي اكتفى عن تعديد الروابط بما صاغه في التعريف السابق وفيه إشارة إلى الروابط التي ترجع إليها المناسبة بقوله تعرف منه علل ترتيب أجزائه، و مال إلى تعريف البقاعي من المعاصرين الشيخ الدكتور محمد أحمد القاسم الذي عرف المناسبة بقوله: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها إثر بعض وهو سر من أسرار بلاغته لأدائه إلي تحقيق مطابقة معانيه لما يقتضيه الحال"(١).

وعرفها بتعريف آخر الدكتور مصطفى مسلم حيث قال في تعريفه للمناسبة: وفي الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله: تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها.

وفي الآيات: "تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"(٢).

ويلاحظ في تعريفه أنه بدأ تعريفه بتعريف عام للمناسبة راعى فيه التعريف اللغوي لكنه جعله إصطلاحياً علميا ،ثم ثنى بتعريف خاص في كتاب الله لكنه جعله على قسمين :-

١-ارتباط سورة بما قبلها وما بعدها، فجعل معنى المناسبة هو الارتباط نفسه.

٢- جعل معنى المناسبة بين الآيات في وجه الارتباط بينها.

ومما تقدم يتضح أنه لابد من مراعاة المعني اللغوي في تعريف المناسبة في القرآن الكريم كما أنه لابد من مراعاة (قبول العقل له) وهذا يضاف لمعنى الترابط الذي اتفق عليه اللغويون والبلاغيون وأقرهم عليه الشرعيون وهو قبول العقل لهذا المعنى، ويتضح ذلك من قولهم مالو عرض على العقول تلقته بالقبول .

وهذا المعنى وإن ظهر جلياً في تعريفات الأصوليين إلا أن تعريفات غيرهم لاتأباه لأن الارتباط بين الأجزاء لا يتحقق إلا بمعنى معقول مقبول؛ ومما يؤكد هذا أن البلاغيين اشترطوا وجود جامع أو علاقة بين الأمرين المترابطين وهو كذلك عند علماء علوم القرآن الكريم والله أعلم .

---

(١) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم د.محمد أحمد يوسف القاسم /٣١،ط ١ دار المطبوعات الدولية الأولى ١٣٩٩هـ .

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي/٥٨ .

الفصل الثاني : الدراسة التاريخية لعلم المناسبات .

المبحث الأول : نشأة هذا العلم .

المبحث الثاني : مراحل علم المناسبة حتى عصر الفخر الرازي، **وأهم المؤلفات فيه.**

المبحث الأول : نشأة هذا العلم وفيه مطالب :

المطلب الأول : هل أدركه العرب؟ .

المطلب الثاني : المناسبة ضمن تفسير النبي ﷺ .

المطلب الثالث : المناسبة في تفسير الصحابة والتابعين.

المطلب الأول : هل أدرك العرب تناسب القرآن الكريم :

أدرك فصحاء العرب تناسب القرآن وترابطه وتأثيره في النفوس والقلوب؛ وإن قالوا فيه أقوالاً دفعهم إليها العناد والاستهزاء إذ قالوا: أساطير الأولين، وقالوا: إن هو إلا سحر يؤثر، قالوا هذا بألسنتهم مع اعترافهم بأثره في قلوبهم وأنه ليس بشيء مما قالوا .

بل صرح بذلك من قال فيه هذه القالة كما روى الحاكم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ‹إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : ياعم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: ليعطوكه. فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله . قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا اعلم برجز ولا قصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر- يأثره عن غيره- فنزلت [ذرني ومن خلقت وحيدا] ›(١).

ولا بد من وقفة عند قوله: "إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته".

فإن هذا قول حق نطق به الوليد وهو على كفره مع علمه الواسع بلغة العرب نثراً وشعراً وصف فيه القرآن بهذه الأوصاف الخالدة الصادقة ثم ينفي أن يكون القرآن الذي تلاه محمد شيئاً من الشعر ونحوه بل إنه وهو على كفره أحس بسلاسة القرآن وجماله وتناسقه وترابطه ومنزلته الرفيعة في الكلام فهو يعلو كل شيء ولا يعلوه شيء .

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم٢: ٥٠٦-٥٠٧ وقال الحاكم حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وأورده ابن كثير بمعناه في تفسيره ٤: ٤٤٢-٤٤٣ من طريق العوفي عن ابن عباس وهو في دلائل النبوة للبيهقي ٢: ١٩٨ .

وهو وإن قال عنه ما قال تبعا لأبي جهل فإن فيما قال شهادة للقرآن ببلاغته وبعده عن كل ما يعاب به الكلام من تفكك وعدم ترابط، وهذه الشهادة من الرجل الخبير تدل على أن العرب نظروا إلى القران فرأوه عجيب النظم بديع الأسلوب لا مغمز فيه ولا مطعن ويؤكد هذا تلك الشهادة التي أدلى بها رجل آخر من قريش ومن أعداء النبي الألداء عارف بالسحر والكهانة والشعر وبعد أن سمع القرآن نفى أن يكون شيئاً من السحر أو الشعر أو الكهانة بل ذكر أنه لم يسمع قط كلاماً مثله، وأنه مع ما هو عليه من خبر بالكلام مادرى مايرد عليه، ذلك الرجل هو عتبة بن ربيعة وقد ساق قصته البيهقي في الدلائل، حيث ذكر أن قريشاً انتدبته لعلمه بالسحر والكهانه والشعر فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال عتبه: يامحمد أنت خير أم هاشم، أنت خير أم عبد الله ؟ فلم يجبه: قال فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسنا مابقيت، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش، شئت وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ماتستغني بها أنت وعقبك من بعدك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قال رسول الله عليه السلام[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ]فقرأحتى بلغ[أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ](١) فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم فقال أبو جهل: يامعشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وماذاك إلا من حاجة أصابته انطلقوا بنا إليه

---

(١)سورة فصلت الآيات من/١-١٣ .

فقال أبو جهل: «والله يا عتبة ما حسبنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أمولنا ما يغنيك عن طعام محمد. فغضب وأقسم ألا يكلم محمداً أبدا قال ولقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته فقص عليهم القصة قال: فأجابني بشيء ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.. حتى بلغ [أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ] فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب»(١).

وأورد البيهقي كذلك كلام النضر بن الحارث حين قال: «يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله لقد كان محمد فيكم غلا ما أحدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر. لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم، وعقدهم، وقلتم: كاهن لا والله ماهو بكاهن قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ماهو بشاعر: لقد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه وقلتم مجنون: ولا والله ماهو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه.

يامعشر قريش انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم وكان النضر أتى بعد أن أجمعوا على اتهام النبي بهذه الأوصاف وأن ما جاء به إما أن يكون سحراً من ساحر، أو شعراً من شاعر أو سجعاً من كاهن أو خلطاً من مجنون. وهو ينفي عن النبي التهم جميعاً لمعرفتهم به وينفي عن القرآن أن يكون موصوفاً بشيء من تلك الأوصاف المذكورة وإن في نفيه ذلك كله عن القرآن خاصة الخلط الذي يصدر من مجنون لشهادة للقرآن بتناسقه وترابطه وإحكامه.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٢٠٢-٢٠٤ حيث أورد البيهقي هذه الحادثة وأمثالها تحت باب جعل عنوانه (اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله من الإعجاز وأنه لا يشبه شيئاً من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان).

وقد أكد ذلك القاضى في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى "حين أورد هذه الحوادث وذكر أن السبب في ذلك هو مارأوه في القرآن من حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته إضافة إلى نظمه العجيب، واسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلامهم، ومناهج نظمهم ونثرهم، مع أنهم أرباب الفصاحة وفرسان الكلام(١).

لقد كان هذا استعراضا لحال من أعرض عن هذا القرآن ولم يتبعه وكيف أنزلوا القرآن مكانه اللائق به من حسن البلاغة والبيان وجودة النظم وترابط المعاني مع أن كل هذه الأوصاف مطلوبة في حديث بلغائهم وفصحائهم حين تنزل القرآن، ومع ذلك فقد أحسوا بما فيه من بلاغة، وفصاحة، وترابط وعلموا أنه ليس من جنس كلام البشر.

بل كان الرجل منهم يدرك ذلك بفطرته فإن أحدهم سجد عندما سمع قوله تعالى:[فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرَ](الحجر/٩٤) وسمع رجلٌ آخر يقرأ [فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا](يوسف/٨٠) فقال:أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام "(٢)

---

(١)الشفا بتعريف حقوق المصطفى/فصل إعجاز القرآن/٢٥٨/٢٦٧ .

(٢)الشفا للقاضي عياض /٢٦٢/١ .

المطلب الثاني : المناسبة ضمن تفسير النبي ﷺ.

أما الذين اهتدوا فإنهم أقبلوا على القرآن تعلماً، وعملاً، وتعليماً، وكانوا أهل فصاحة وأرباب بلاغة، فأدركوا من علم القرآن الكثير واسترشدوا بما بينه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما خفي عليهم، إذ كان يبين لهم ما نزل إليهم امتثالاً لأمر الله وكان من طرق تبيينه صلى الله عليه وسلم ما يلي:

١- توضيح المراد من الآية ابتداء ومثال ذلك:ما رواه مسلم في صحيحه بسنده إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال:< سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول[وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة](الأنفال/٦٠)ألا إن القوة الرمي • ألا إن القوة الرمي • ألا إن القوة الرمي >(١).

٢- توضيح ما أشكل على الصحابة أو أخطأوا في تطبيقه ومثاله ما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما خيطان؟< قال:إنك لعريض القفا،إن أبصرت الخيطين ثم قال: لا بل سواد الليل وبياض النهار>.

أخرجه البخاري وفي رواية:< فأنزل الله بعده [من الفجر] فعلموا إنما يعني الليل من النهار>(٢).

ومثال ما أشكل عليهم مارواه البخاري(٣)بسنده عن عبدالله أنه قال:< لما نزلت [الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ](الأنعام/٨٢) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا أينا لم يلبس إيمانه بظلم،فقال رسول الله عليه السلام إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه:[إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]>(لقمان/١٣).

٣- بيان وتفسير ما أجمله القرآن كأحكام الصلاة والزكاة وغيرها بل إن السنة كلها تفسير وبيان للقرآن كما قال الإمام الشافعي:"وسنة رسول الله مبينة عن الله معنى ما أراد دليلاً على خاصه وعامه"(٤).

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب فضل الرمي...../٣:١٥٢٢ .

(٢) صحيح البخاري تفسير سورة البقرة ٣:١٠٣-١٠٤ ، ط دار المعرفة بيروت، لبنان .

(٣) المصدر نفسه تفسير سورة لقمان ٣:١٧٣ ط دار المعرفة مع حاشية السندي، بيروت، لبنان .

(٤)الرسالة/٣٠٣، ٧٩ .

٤-الناحية العملية التطبيقية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فإنها تبيين وتوضيح للقرآن.

وكان فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من بيان وتفسير ما يشير إلى مانحن بصدده من الاعتناء بترابط الآي وبناء بعضها على بعض وأن النبي كان يفسر الآية بما يناسب سياقها الذي وردت فيه وأن تفسيره يلائم موضع الآية مما جاورها وفي بعضها إشارة إلى تقديم ما سبق وتقدم في ترتيب آي القرآن مراعاة لترتيب التلاوة وسيتضح هذا الأمر بما سيرد من شواهد وأمثلة:

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنه في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم فقال في خروجهم للحج :‹ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ،وعليه ينزل القرآن، وهويعرف تأويله ،وماعمل بشيء منه عملنا به (ثم ذكر أعماله صلى الله عليه وسلم فذكر الطواف)قال جابر :ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ [واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى *١٢٥* من سورة البقره] ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ[إن الصفا والمروة من شعائر الله]أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت›(١).

وفي قوله عليه السلام أبدأ بما بدأ الله به إشارة واضحه إلى مراعاة السياق وأن ما يبدأ فى فعله وتطبيقه هو ما بدئ به في ترتيب الكتاب والله أعلم بالصواب .

وربما فسر النبي آية أو آيات بسياق واحد: فقد روى الحاكم في مستدركه بسنده إلى ابن عباس رضي عنهما قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :‹أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني بعرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم وقال [ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة]إلى قوله[بما فعل المبطلون الآيات ١٧٢- ١٧٣] ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه (٢)›.

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم(٢:٨٨٧) بترقيم فؤاد عبدالباقي تصوير الحلبي عن طبعة البابي. نبه إلى هذه الفائدة الأخ الأستاذ محمد بازمول في رسالة له.

(٢) مستدرك الحاكم٢:٥٤٤ صححه الحاكم ووافقه الذهبي وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧:١٨٨ - ١٨٩ وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . ونعمان : بالفتح ثم السكون واد لهذيل بين مكةوالطائف معجم البلدان لياقوت الحموي ٥:٢٩٣ .

وروى الحاكم أيضاً بسنده عن أبي رضى الله عنه مثله بألفاظ أخرى.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <من يبايعني على هؤلاء الآيات ثم قرأ قوله تعالى: [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] حتى ختم الآيات الثلاث.

فمن وفى فأجره على الله ومن انتقص شيئاً أدركه الله بها في الدنيا كانت عقوبته ومن أخر إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له >(١).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مدافع عن نظم القرآن وتناسبه فيما رواه ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس قال: <أتى محمود بن سيحان، وعمرو بن أضا، وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز وسلام بن مشكم(٢)؛ فقالوا: أخبرنا يامحمد بهذا الذي جئتنا به حق من عند الله عز وجل فإنا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم، ولو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله ماجاءوا به

وعند السيوطي عن ابن عباس قال: <أتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن مشكم في عامة من يهود سماهم، فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وإن هذا الذي جئتنا به لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراه فأنزل علينا كتاباً نعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به فأنزل الله [قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله] الآية (الإسراء:٨٨)(٣).

ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا وقد بين لهم ماأمر ببيانه، وما يتوقف فهمهم له على بيان منه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) مستدرك الحاكم ٢:٣١٨ ووافق الذهبي الحاكم في تصحيحه.

(٢) رجال من يهودالمدينة أشهرهم سلام بن مشكم.

(٣) تفسير ابن جرير/١٥:١٥٨. ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١٤٠.

المطلب الثالث: المناسبة في تفسير الصحابة والتابعين.

فهم الصحابة ما بينه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إضافة إلى ما أدركوه من ظواهر القرآن إذ هم أهل اللسان العربي به يتكلمون وبألفاظه ينطقون، وكان من حالهم أنهم شاهدوا أحوال التنزيل مما مكنهم من تعلمه والعمل به، ومن وجد منهم ما يشكل في تفسير القرآن رجع فيه إلى كبار الصحابة وعلمائهم الذين جلسوا لتعليم الناس كابن مسعود وأُبي وابن عباس وكان فيما أثر عنهم من تفسير إظهار لترابط القرآن وتناسقه حيث وردت عنهم أقوال وإشارات في ترابط القرآن منثورة ضمن ما أثر عنهم من تفسير وآثار ومن ذلك:

أولاً: استدلال أبي بكر الصديق على قتال مانعي الزكاة بأنها وردت في القرآن مقرونة بالصلاة حيث قال رضي الله عنه "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة"(١).

قال ابن حجر: "والمراد بالفرق من أقر بالصلاة وأنكر الزكاة جاحداً أو مانعاً ونقل ابن حجر عن المازري قوله: ظاهر السياق أن عمر كان موافقاً على قتال من جحد الصلاة فألزمه الصديق بمثله في الزكاة لورودهما في الكتاب والسنة مورداً واحداً"(٢).

وبهذا الإيضاح من المازري لوجه إقرار عمر لفعل أبي بكر دلالة واضحة على اعتماد السياق والأخذ به وفيه أيضاً دلالة على أن هذا النوع لم يكن يخفى على الصحابة - رضوان الله عليهم - بل هم أول من يدركه؛ فهم أُلوا الفهم التام والعلم الصحيح.

ويدل على هذا ما أخرجه البخاري عن يوسف بن ماهك قوله: ‹إني عند عائشة أم المؤمنين إذ جاءها عراقي ... فقال يا أم المؤمنين أرني مصحفك قالت لم قال لعلي أولف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف وقالت وما يضرك أيه قرأت قبل إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب [بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال فأخرجت المصحف فأملت عليه آي السور ›(٣). وفي قول عائشة رضي الله عنها مراعاة لترابط القرآن، وبناء بعضه على بعض.

---

(١) صحيح البخاري باب قتل من أبى قبول الفرائض/٩: ١٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني/١٢: ٢٧٧.

(٣) صحيح البخاري ٣/٢٢٧ كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن انظر الفتح ٩: ٣٩ - ٤٠.

هذا مع ما كان عليه حالهم حين تنزل القرآن حيث كانوا أرباب الفصاحة والبيان،وكانوا يحرصون على ترابط الكلمات والجمل من كلامهم، والقرآن نزل بلسان عربي مبين وترابطه وحسن سياقه من لوازم ذلك .

نقل أبو عبيدة عمن سبقه أنهم قالوا: "إنما نزل القرآن بلسان عربي مبين وتصداق ذلك في آية من القرآن، وفي آية أخرى [وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ] قال:فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم عرب الألسن فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه وعما فيه مما في كلام العرب مثله من وجوه الإعراب ومن الغريب والمعاني"(١) .

والحال حين ذاك كما قال عبد الحميد الفراهي عند كلامه عن ترابط الفاتحة وأن الصحابة لم يكثر عنهم النقل في مثل هذه المعاني حيث يقول :"لو كنا في ذلك العصر لما خفي علينا نظامها"قال:"ومثل ذلك سبب لقلة التفسير عنهم فإن اللسان لسانهم والأمور أمورهم فلا نشاركهم في ذلك"(٢).

ومع هذا فقد أثر عنهم مايدل على أنهم يأخذون بالسياق ويولونه مايستحق من عناية ورعاية.

من ذلك اختلاف معنى الكلمة الواحدة لاختلاف سياقها التركيبي فإن للكلمة العربية الواحدة أوجه عدة يحدد المراد منها السياق وقرائنه وكل ذلك حاصل في تفسير الصحابة.

لكن لما فتحت الفتوح،وانتشر الإسلام،ودخل فيه طوائف من الناس قام الصحابة بتعليم القرآن وتبينه فجلس ابن عباس للتعليم بمكة وأبيٌ بالمدينة وعبدالله بن مسعود بالكوفة حتى كان كل منهم رأساً لمدرسة تفسيرية وكانوا يفسرون القرآن بالقرآن وبما علموه من سنة رسول الله قولية كانت أوعملية، ثم بالاجتهاد فيما جد من مسائل وقد مكنهم من ذلك علمهم بكلام العرب مفردات، ومعاني، وأساليب مع مشاهدتهم لأحوال التنزيل و شدة ورعهم في أن يخوضوا في كتاب الله بغير علم فأقبل الناس على التعلم والاستفادة من علمهم ولم يكن أحد يتقدم بقول في القرآن بين أيديهم .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة،تحقيق محمد فؤاد سيزكن ٣٧/١ .

(٢) فاتحة نظام القرآن للفراهي ٢٨ .

حتى إذا دبت الفتن أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه تجرأ البعض فخاضوا في آي القرآن بغير علم وانتزعوا آية أو آيات من مواضعها مستدلين بها على حدث أو قضية معينة من غير مراعاة لسياقها فظهر الاختلاف في القرآن في عامة الناس .

وحينذاك حذر الصحابة من الاختلاف وبينوا للناس الحق ونهوهم عن الخوض فيه بغير علم، وأوضحوا لهم ما أشكل عليهم كما سيتضح من النماذج الآتية :

روى البخاري في صحيحه بسنده عن مسروق قال :«بينما رجل يحدث في كندة ،فقال: يجئ دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا، فأتيت ابن مسعود وكان متكئا فغضب، فجلس فقال:من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لمالايعلم الله أعلم».

فإن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم:[قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَآ۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ](ص آية ٨٦) وإن قريشاً أبطأوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال:«اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف،فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل مابين السماء والأرض كهيئة الدخان. فجاءه أبو سفيان فقال :يامحمد جئت تأمرنا بصلة الرحم،وإن قومك قد هلكوا فادع الله ،فقرأ[فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ]إلى قوله[عائدون](الدخان ١٠-١٥)أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى:[يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ] يوم بدر. [الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ... إلى سَيَغْلِبُونَ] والروم مضى»(١).

---

(١) صحيح البخاري/٦:١٤٢-١٤٣ ،وأورده البخاري في مواضع أخر ١٥٦/٦ .

وفي رواية لمسلم عن مسروق قال: <أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يارسول الله استغفر لمضر فإنهم قد هلكوا. فقال: لمضر إنك لجريء! قال: فدعا الله لهم فأنزل الله عز وجل [إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ] قال: فمطروا فلما أصابتهم الرفاهية قال: عادوا إلى ما كانوا عليه قال فأنزل الله عز وجل [فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ] قال يعني يوم بدر>(١).

فانظر إلى كلام ابن مسعود وكيف رتب الحديث على ترتيب الأحداث وكيف استفاد من ربطه الآيات بعضها ببعض فهماً لم يفهمه ذلك الرجل وإن كان للصحابة فيها قولان مع أن ابن مسعود يثبت الدخان الذي بين يدي الساعة بأدلة أخرى.

وقد أورد هذه الآثار الشيخ الدكتور منصور بن عون العبدلي في جمعه لمرويات ابن مسعود- رضي الله عنه-ومما استنبطه منها:

١-أن ابن مسعود كان يرى أن كلمة الدخان الواردة في هذه الآية الكريمة عبارة عما أصاب قريشاًحين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجدب.

٢- أن ابن مسعود كان يرى أن المراد بقوله: [البطشة الكبرى] يوم بدر(٢).

---

(١) صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/٤:٢١٥٦-٢١٥٧ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

(٢) مرويات ابن مسعود رضي الله عنه في الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد، للدكتور الشريف منصور بن عون العبدلي ٢:٥٤٧-٥٥٥ ط الأولى دار الشروق جدة.

ثانياً: روى البخاري في صحيحه بسنده عن علقمة بن وقاص أن مروان قال: " لبوابه اذهب يارافع إلى ابن عباس قل: لئن كان كل امرئ فرح بما أتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس ومالكم ولهذه، إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بماأخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس [وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ] كذلك حتى قوله :[يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا]"(١).

وهنا أشار ابن عباس إلى سياق الآيات وهي من قوله تعالى:[وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ](آل عمران١٨٧-١٨٨).

فهو منه بيان لسياق الآيات وأن الآية لا يستدل بها إلا فيما يحتمل سياقها مع أنه يستشهد بها في أسباب النزول .

ومما يؤيد ذلك مانقله ابن قتيبة في المشكل من ربط ابن عباس لقوله تعالى :[وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ] بقوله[فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ](النساء-٣).

حيث قال :"قصر الرجال على أربع من أجل اليتامى، يقول: لما كان النساء مكفولات بمنزلة اليتامى، وكان العدل على اليتامى شديداً على كافلهم، قصر الرجال على ما بين الواحدة إلى الأربع من النساء، ولم يطلق لهم ما فوق ذلك، لئلا يميلوا"(٢).

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة آل عمران٦/٥١ .

(٢) مشكل القرآن لابن قتيبه٧٢-٧٣ .

ولقد كان هذا الأمر واضحاً عندهم جميعاً أنه لا تنزع آية من مكانها بل ينظر إليها وإلى سياقها ومدى تناسبها مع ما جاورها.

ويدل على ذلك هذه الحادثة التي ساقها الطبري في تفسيره: عن جبير بن نفير قال: كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: وإني لأصغر القوم فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت أنا: أليس الله يقول: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ] (المائده/١٠٥) فاقبلوا علي بلسان واحد وقالوا: تنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها ! فتمنيت أني لم أكن تكلمت ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا: إنك غلام حدث السن وإنك نزعت بآية لا تدري ما هي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان ‹إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت› (١).

وروى البخاري في صحيحه بسنده عن نافع عن ابن عمر قال: ‹أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس قد ضيعوا وأنت ابن عمر، وصاحب النبي فما يمنعك أن تخرج فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي فقيل له: ألم يقل الله [وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ] (البقره/١٩٣) فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وانتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله› (٢) أخرجه النسائي بسنده إلى سعيد بن جبير قال: "خرج الينا ابن عمر ونحن نرجوا أن يحدثنا حديثاً عجيباً، فبدر إليه رجل بالمسألة فقال يا: أبا عبدالرحمن ما منعك من القتال، والله يقول [وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ] قال: ثكلتك أمك أتدري ما الفتنة؟ إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس بقتالهم على الملك"(٣) وفيما قال إشارة الى ترابط أجزاء الآية.

---

(١) تفسير ابن جرير /٧:٩٦، ١١:١٤٢ حديث /١٢٨٥٨ تحقيق محمود شاكر.

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة البقره/٦-٣٢ .

(٣) تفسير النسائي تحقيق سيد الجليمي وصبري الشافعي، ٢٢٩/١ مكتبة السنة، ط١، ١٤١٠هـ .

وفي آخر عهد الصحابة بدأ الطعن في القرآن بشكل منظم على أيدي حسدة الناس الذين لم يهتدوا بهدى القرآن كاليهود والنصارى والمجوس الذين لجأوا إلى الحرب الخفيه بالتقول على القرآن ومحاولة شغل الناس عنه

إن كان قد ظهر كيدهم منذ أول تنزل القرآن كما تقدم في الأثر الذي أخرجه ابن جرير والسيوطي عن ابن عباس أن عدداً من اليهود أتو رسول الله كما أورد السيوطي عن ابن عباس قال : "أتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن مشكم في عامة من يهود سماهم ،فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وإن هذا الذي جئتنا به لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراه فأنزل علينا كتاباً نعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به فأنزل الله [قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله] الآيه ـ (الإسراء:٨٨)(١).

فاتضح أن اليهود أول من طعن في تناسق القرآن وتبين كيف رد الصادق المصدوق عليهم وكيف أورد عليهم الدلالة من آي القرآن على أن الإنس والجن يعجزون عن الإتيان بمثله، وبين أنهم يعلمون صدقه ولكنهم قوم يجحدون، فدحروا هنالك وانقلبوا صاغرين.

ولما لم يثمر كيدهم جعلوا منهم من يندس في صفوف المسلمين لينشر بينهم الطعن في القرآن كعبدالله بن سبأ اليهودي(٢) رأس الفتن ومثيرها، وكذا بشر بن غياث المريسي اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وأبطن الزندقة(٣).

ثم ظهر في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية في القدر من معبد الجهني(٤) الذي أخذه وتلقاه من سوسن النصراني الذي أسلم ثم تنصر

---

(١) تفسير ابن جرير/١٥٨:١٥ ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي /١٤٠ وقد تقدم ص٣٢ .

(٢)عبدالله بن سبأ رأس الطائفة السبئية من يهود اليمن تظاهر بالإسلام وهو من غلاة الزنادقة(ت٤٠هـ)الأعلام ٨٨/٤ .

(٣)بشر بن غياث المريسي (ت٢١٨هـ) فقيه معتزلي عارف بالفلسفة وكان أبوه يهودياً.انظر الأعلام للزركلي ٥٥/٢ .

(٤)معبد بن عبد الله الجهني البصري أول من قال بالقدر قتله عبد الملك بن مروان سنة (٨٠هـ) لابتداعه القول بالقدر الأعلام ٢٦٤:٧ .

وقيل أنه أخذها عن سوسن النصراني ولم أجد له ترجمة .

وتابعه الجعد بن درهم(١) في مقالته في القدر؛ فتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبدالله بن عمر وجابر وأبي هريره وابن عباس وأقرانهم(٢).

وقد أورد إنكار ابن عمر على القدرية الامام مسلم عن يحيى بن يعمر أنه قال:<لابن عمر ياأبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن، ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال:"فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم براء مني"›(٣).

وهكذا كان شأن الصحابة البراءة من كل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن كل صاحب هوى مخالف.

ثم استمر الطعن في القرآن منظما ومنتظما في ذلك الزمن الذي دبت فيه الفتن قال:ابن تيميه إن بدع القدرية والمرجئة ظهرت لما قتل عثمان رضي الله عنه(٤).

وظهرت آثار اليهودية في السبائية أتباع عبدالله بن سبأ اليهودي الذين أظهروا بدعتهم في زمن علي رضي الله عنه، وصحبتها ظاهرة التشيع، وتبعتها بدعة الخوارج؛ قال ابن تيمية:"وهاتان الطائفتان الخوارج والشيعة حدثتا بعد مقتل عثمان .

ثم كثر الخوض في القدر في البصرة والشام فكان النفاة والخائضون فيه الجهمية وغيرهم .ثم ظهر المعتزلة الذين اعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصري"(٥) الذين اشتهر عنهم تقديم العقل على الشرع مما أضاف إلى الدس من اليهود والنصارى والمجوس أقوالاً دفع اليها التعصب والجهل.

---

(١) الجعد بن درهم مبتدع له أخبار في الزندقة ضحى به خالد القسري سنة (١١٨هـ) تقريباً الأعلام ١٢٠/٢ .

(٢) تاريخ بغداد٦:٥٦ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان ٣٦/١ ،ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.

(٤) رسالة الفرقان بين الحق والباطل من مجموع الفتاوى لابن تيمية١٣ :٣٠ .

(٥) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ٣٦ -٣٨ .

قال ابن تيمية :"وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن ولم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه مالم يدل عليه "(١).

ولعله لا يمكن أن ينظر لهذا السبب بمعزل عن الأسباب الأخرى بل إن كلا منها كان سبباً وربما كان أحدها في بعض دون بعض .

وهكذا دحض مطاعنهم وبين اعوجاجهم البقية الباقية من صحابة رسول الله، وأسهم في الدفاع عنه التابعون الذين أخذوا التفسير عن صحابة رسول الله نقلاً عنه صلى الله عليه وسلم ،وعلموه الناس ولتفسيرهم مكانة عاليه فإنه يلزم قبول ما لم يختلفوا فيه من تفسير .

و قد كثر الأخذ والرد في أواخر زمنهم ومابعده لعدة عوامل هي:

١- إطلاق طوائف من الناس لعقولهم العنان وتقديمها على نصوص القرآن، وقد سبقت الإشارة من قبل إلى بعضهم.

٢- دخول أمم جديدة الإسلام مع اختلاف في الموروثات العلمية والاجتماعية خاصة أن بعضهم دخله رهبة مضمراً الكيد والفساد .

٣- ازداد السائلون بقصد التعلم لاطمئنان القلب أو بقصد التشكيك وزعزعة القلوب المطمئنة .

٤- ظهور علم الكلام إثر ترجمة كتب الفلسفة اليونانية وانتشر مع ذلك الخوض في آي القرآن .

وممن أكثر الخوض واللجاج في القرآن المتأثرون بعلم الكلام وعلى رأس أولئك المعتزلة الذين قالوا فيه أقاويل شتى حتى تفرقت إلى فرق لا تحصى؛ لاعتمادهم العقل وعدم التقيد بنصوص القرآن .

قال: الشهرستاني :" ثم طالع شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام "(٢).

وذكرأنهم وافقوا الفلاسفة في بعض أرائهم كما حدث ذلك من شيخهم الأكبر أبي الهذيل (ت ٢٣٥هـ)(٣) ومما زاد البلاءأن الخلفاء العباسيين قد قربوهم وأخذوا برأيهم في بعض المسائل كالمأمون الذي شايعهم وقال بأقوالهم حتى قال بخلق القرآن وفتن الناس وأكره العلماء من ربيع أول سنة (٢١٢هـ) حتى وفاته ولم تنته تلك الفتنة إلا في زمن المتوكل سنة (ت٢٤٧هـ)

---

(١) رسالة الفرقان ضمن مجموع الفتاوى ٣٠:١٣ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني-٥٣/١ بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ،مكتبة الخانجي بمصر.

(٣)المصدر السابق نفسه٥٨ .

يضاف إلى ذلك أن نظرات هذه الفرق في تفسير القرآن واستدلالهم بآيه كانت بطرق خاطئة منها:

١- إعتقاد معان ثم حمل ألفاظ القرآن عليها من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

٢- تفسير القرآن بمجرد ما يسوغ عند العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، ولا من أنزل عليه، ولا المخاطب به.

٣-أنهم عند تفسيرهم بما يظهر من معاني الألفاظ لا يراعون سياق الآيات.

٤-أنهم يغلطون في احتمال اللفظ واشتماله على ذلك المعنى في اللغة.

وقد أشار إلى بعضها شيخ الإسلام ابن تيمية عند ذكره سبب الخطأ الحادث بعد تفسير الصحابة والتابعين لهم بإحسان،حيث ذكر أن ممن تكلم في تفسير القرآن من يراعي مجرداللفظ ومايجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى مايصلح للمتكلم به ولسياق الكلام، وذكر أن هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعني في اللغة،وهنا يشير إلى أن الذي يغفل النظر إلى سياق الكلام يبعد كثيراً عن الصواب، وإلى أن نظر الأولين كان إلى المعنى أسبق أما الآخرون فإن نظرهم للفظ أسبق؛ ولعله يلمح بهذا إلى ضرورة النظر إليهما باتزان.

ويضاف إلى ذلك أن ما كان يدرك بالفطرة وسلامة اللغة أضحى لا يدرك إلا بالدراسة ومعرفة الأساليب، لظهور الجهل باللغة كما أشار شيخ الاسلام (١).

---

(١)أصول التفسير لابن تيميه ص٨١ تحقيق د.عدنان زرزور، ط١ دارالقرآن الكريم/ الكويت.

المبحث الثاني : مراحل علم المناسبة حتى عصر الفخر الرازي، وأهم المؤلفات فيه.

المطلب الأول : أول من أكد على السياق .

المطلب الثاني : المناسبة في القرن الثالث الهجري .

المطلب الثالث : التناسب في القرن الرابع الهجري .

المطلب الرابع : التناسب في القرن الخامس الهجري .

المطلب الخامس : القرن السادس واهتمام المفسرين بالتناسب .

المطلب السادس : الرازي أشهر من تناول المناسبة
في أواخر السادس وأوائل السابع .

ما تقدم كان عرضاً لما أحدثه أهل الأهواء وأعداء الملة من طعن في القرآن الكريم خاصة، وما أحدثته أقوالهم من فرقة و تلبيس على عامة الناس؛ لكن من رحمة الله بخلقه أن هيأ لحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين؛ فهب علماء الأمة الصادقون فحملوا لواء تعليم القرآن والسنة والدفاع والذب عنهما، وتبيين الحق للناس، فكان من أولئك المحدثون وعلماء التفسير والعربية، الذين قاموا بتبيين القرآن وتفسيره وإيضاحه؛ لإنهم يرون في ذلك دفاعاً عن حجة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ وأداءً لواجبهم في تعليم القرآن وتفسيره.

وقام علماء التفسير بتدوين ما بلغهم من تفسير وما سبق زمنهم من مؤلفات في بيان القرآن كمؤلفات قتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٨هـ) وقد كتب في التفسير هو، ومقاتل بن سليمان الأزدي (ت١٥٠هـ) الذي ألف كتباً عديدة منها الرد على القدرية، ووجوه حرف القرآن، واللغات في القرآن. وألف روح بن عبادة المصري في التفسير (ت٢٠٥ هـ) وكتب فيه عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ) وكذا ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ)(١).

واتجه للتأليف فيما يتعلق بالعربية والقراءات كل من: عبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ) فألف في اختلاف المصاحف وفي المقطوع والموصول، وكتب محمد بن عبدالرحمن المحيصني (١٢٣هـ)(٢) الاختيار في القراءة على مذاهب العربيه وآخرون غيرهم.

وألف الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) أول معجم كامل جمع ألفاظ اللغة وشرح معانيها ورتبها ترتيباً علمياً وقد كان القصد من تأليف المعاجم وكتب اللغة حراسة القرآن من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم وحراسة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية وصيانة هذه الثروة من الضياع بموت العلماء ومن يحتج بلغتهم .... إضافة إلى رغبتهم في تعلم القرآن وتعليمه وتدبره والاهتداء بنوره (٣).

و ما تقدم ذكره ذو صلة وثيقة بالسياق والتناسب، وإن كان معظم ما ألف في هذه الفترة لم يصل لأيدي الناس اليوم .

---

(١) انظر تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين ١:١٩٧-٢٠٠ ، وقد طبع تفسير الصنعاني بتحقيق د. مصطفى مسلم .

(٢) عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة معرفة القراء الكبار ١:٨٢ . أما محمد بن عبد الرحمن المحيصني فهو قارئ أهل مكة انظر معرفة القراء الكبار ١:٩٨ .

(٣) انظر مقدمة الصحاح للجوهري بقلم العطار ١:٤٢ . وكتاب العين للخليل بن أحمد مطبوع متداول .

أول من أكد على السياق :-

وأول من أكد على السياق والاهتمام به تصريحاً الإمام الشافعي(ت ٢٠٤هـ) رحمه الله بقوله:"وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره، لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها".

ثم قال :" فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ويستغني بأول هذا منه عن آخره وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه ،وعاماً ظاهراً يراد به الخاص، وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أوآخره.

ثم قال :"وتبتدئ الشيء من كلامها يُبين أول لفظها فيه عن آخره وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"(١).

فقوله هذا فيه تأكيد على ضرورة مرعاة السياق والسباق وتعرف وتفهم المعنى المراد وأكد هذا في قوله المتقدم :"وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أوآخره".

ويعتبر هذا الكلام من الإمام الشافعي أول وأوسع ما دون في هذا الموضوع في ذلك الوقت وقد بين فيه طريقة العرب عند كلامها وقد ضمن حديثه قواعد مهمة للناظر في معاني كلامهم وأكد على النظر في الكلام جملة أوله وآخره لأن الكلام يبنى بعضه على بعض و قد سبق الإشاره إلى بعض ذلك .

---

(١) انظر الرسالة للإمام الشافعي (ص٥٢) تحقيق محمود شاكر.

وفي تفسير الشافعي أمثلة يظهر فيها اعتناءه بالسياق وترابط الآي حيث ورد ذلك في مواضع من الأم ، كما في باب الإحصار بالعدو .

قال الشافعي رحمه الله :" قال الله عز وجل :[وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ] قال الشافعي فلم أسمع ممن حفظت عنه من أهل العلم بالتفسير مخالفاً في أن هذه الآية نزلت بالحديبية حين أحصر النبي صلى الله عليه وسلم ....وظاهر الآية أن أمر الله عز وجل إياهم ألا يحلقوا حتى يبلغ الهدي محله وأمره من كان به أذى من رأسه بفدية سماها .

وقال عز وجل :[فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ] الآية وما بعدها يشبه والله أعلم ألا يكون على المحصر بعد قضاء لأن الله تعالى لم يذكر عليه قضاء وذكر فرائض في الإحرام بعد ذكر أمره قال : والذي أعقل في أخبار أهل المغازي شبيه مما ذكرت في ظاهر الآية (١).

وإن تقدمت الإشارة إلى مثل ذلك في تفاسير التابعين، فإن بناء الكلام بعضه على بعض واضح في تفاسير التابعين كما عند قتادة في تفسير قوله تعالى :[قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ] (الأحزاب/٢٨) يقول خيرهن بين الدنيا والآخرة في شيء كن أردنه من الدنيا...فلما اخترن الله ورسوله شكرهن على ذلك فقال: [لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن] فقصره عليهن"(٢).

---

(١) انظر الأم ١٧٣/٢ .تأليف الإمام الشافعي (ت ٢٠٤/هـ) ط ٢ دار الفكر بيروت .

(٢) تفسير قتاده رضي الله عنه(ت ١١٧/هـ)دراسة للمفسر ومنهج تفسيره/٧١،٧٢،لعبدالله أبي السعود .

المناسبة في القرن الثالث الهجري

ثم توالى في القرن الثالث الاهتمام بهذا الجانب فيما جمع العلماء مما يتعلق بالقرآن من تفسير وغريب ومعان ونواحٍ إعرابية.

وممن اهتم ببيان الغريب والنواحي اللغوية في القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠ هـ) في كتابه "مجاز القرآن" وذكر فيه نواحى بيانيه ووجوهاً يوجد مثلها في كلام العرب.

وفيه اهتمام بسياق الآيات، ودراسة للاسلوب القرآني من حيث اللفظ والمعنى وهو جزء من بيان القرآن ومن الدفاع عنه، وغيره مما يبين خصائص الأسلوب القرآني و أن نظمه في أعلى درجات البيان العربي.

وكان السبب في تأليفه كما في مقدمة الكتاب للمحقق: أن إبراهيم بن إسماعيل الكاتب أحد كتاب الفضل بن الربيع سأل أبا عبيده عن معنى قوله تعالى: [طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ الشَّيَـٰطِينِ] (*٦٥ الصافات) قال وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف! قال ابو عبيدة: إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول أمرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فأجاب عن السؤال وأقدم على تأليف كتابه مجاز القرآن (١).

وكان تأليفه من أجل الدفاع عن أسلوب القرأن ولذا شمل الاهتمام بسياق الآيات.

---

(١) انظر مجازالقرآن لأبي عبيده ومقدمة فؤاد سيزكين ١٦/١ ..

ومما ألف في القرن نفسه كتاب "معاني القرآن" للأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصري (ت ٢١٥هـ) المؤلف على غرار ماتقدم من كتب هذا الفن(١).

ومن أمثلة ما دونه أولئك العلماء مايتعلق بالمناسبة:

١- ماذكره أبو عبيدة عند قوله تعالى: [أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا] من أن هذه الآية جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربها. وقد قال تبارك وتعالى: [إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً] ولكن معناها الإيجاب: أي إنك ستفعل، واستشهد بقول جرير: فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

وتقول وأنت تضربُ الغلام على الذنب ألست الفاعل كذا؟ ليس باستفهام ولكن تقرير.

٢- قال أبوعبيدة عند قوله تعالى: [لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ......إلى قوله وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ...] قال: رفعت على موالاة قوله [وَلَكِنَّ الْبِرَّ من آمَنَ بِاللَّهِ]. وفعل [وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ] ثم أخرجوا [وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ] من الأسماء المرفوعة والعرب تفعل ذلك إذا كثر الكلام(٢).

وأكد على ماقاله أبو عبيدة أبو علي الفارسي فيما نقله عنه النيسابوري في تفسيره حيث قال: "إذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح أو الذم، فالأحسن أن يخالف بإعرابها، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها، لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب في الوصف، والإبلاغ في القبول. فإذا خولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمل لأن الكلام عند اختلاف الإعراب يصير كأنه أنواع من الكلام، وضروب من البيان وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهاً واحداً وجملة واحدة(٣).

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٣٥/١-٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٦٥/١.

(٣) غرائب القرآن للنيسابوري ٨١/٢.

الهجوم على نظم القرآن ،والدفاع عنه :

وفي هذا الوقت تهجم إبراهيم بن سيار النظام (ت ٢٣١هـ) على نظم القرآن وقال بالصرفة. وكان غالياً في تقرير مذهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع في القدر والرفض ، واشتهر عنه التأثر بالبراهمة والقول بقولهم في إبطال النبوات .

وقد نسب ذلك إليه عبد القاهر السفاريني البغدادي ثم قال: " ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف فأنكر إعجاز القرآن في نظمه وأنكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية ".

وقد أورد السفاريني وغيره طعنه على القرآن حيث قال عندما ساق فضائحه ومنها قوله: "إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي عليه الصلاة والسلام ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة ،وإن وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف وفي هذا عناد منه لقوله تعالى :[قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً] (الإسراء:٨٨)

قال: " ولم يكن غرض منكر إعجاز القرآن إلا إنكار نبوة من تحدي العرب بأن يعارضوه بمثله "(١).

وساهم في الطعن في القرآن علي بن رتن الطبري (ت ٢٣٢هـ) الذي تهجم على القرآن و طعن في أسلوبه.

وتلاهما ابن الراوندي أبو الحسين (ت٢٩٣هـ)(٢) الذي زعم أن القرآن كذب وسفه وألف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه سيدفع به القرآن(٣).

وتوالى من الزنادقة في ذلك العصر الطعن في القرآن وأسلوبه، وظهر الحديث عن إعجاز القرآن وبأي شيء أعجز، فأخذت كل طائفة تبحث عن تعليل لإعجازه فقائل لبلاغته وإيجازه، وآخر لحديثه عن الغيب،وزاعم أن الله صرف الناس عنه ،وآخرون زعموا أن لا إعجاز وأن البشر على الإتيان بمثله قادرون فبئسما يزعمون.

---

(١) انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ١٨-١٩ .

(٢) هو الملحد عدو الدين أحمد بن إسحاق الريوندي كان يلازم الرافضة والملاحدة وقيل (ت٢٩٨ هـ) كما في سير أعلام النبلاء ١٤: ٥٩ .

(٣) الفرق بين الفرق ١٢٨ -١٣٢ .

ولما كثر الطعن في القرآن وأوشكت الشبهات أن تأخذ سبيلها إلى قلوب الناس قيض الله علماء أجلاء نافحوا عن الدين الحق وقاوموا الباطل وأهله. وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ) الذي بذل في الدفاع عن القرآن جهداً عظيما ومن ذلك رسالته إلى المتوكل التي صور فيها حال الناس بقوله:" فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة وانجلى عن الناس ماكانوا فيه من الذل وضيق المحابس"(١).

وفي مقدمة رده على الجهمية والزنادقة تكلم فيما شكت فيه الزنادقة من كتاب الله مبينا حالهم من القول على الله و في الله وفي كتاب الله بغير علم فقال:" يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتنة الضالين".

ثم وصف أهل العلم بما هم أهله وبين أنهم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ثم أورد ماشكت فيه الزنادقة من آي القرآن الكريم وفي رده عليهم ربط لآيات من سور متفرقة وربط لآيات في سورة واحدة بكلمات موجزة ومن ذلك: ماقاله عند قوله تعالى:[ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم...] الآية إلى قوله تعالى:[إن الله بكل شيء عليم] حيث قال: "يفتح الخبر بعلمه ويختمه بعلمه"(٢).

وفيما قال: ربط لآخر الآية بأولها ؛ لأن أولها [الم تر أن الله يعلم مافي السموات والأرض] (المجادلة : ٧).

ثم تلته ردود أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٢هـ) على الجهمية وغيرهم وفي ردوده أشار إلى ماكان في عصره عقب قتل الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ،فقال أبو سعيد :"ثم لم يزالوا بعد ذلك مقموعين أذلة مدحورين حتى كان الآن بآخرة حيث قلت الفقهاء وقبض العلماء ودعا إلى البدع دعاة الضلال فشد ذلك طمع كل متعوذ في الإسلام من أبناء اليهود والنصارى وأنباط العراق ووجدوا فرصة للكلام فجدوا في هدم الإسلام"(٣).

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ٨٦ .

(٢) انظر المصدرنفسه ١٣٨ .

(٤) المصدر السابق ٥ .

ووقف للدفاع عن القرآن إلى جنب العلماء في تلك الفترة عدد من الكتاب والشعراء وأهل البيان المبهورين بإسلوب القرآن المتميز الذي يدل على أنه ليس كلام بشر فرأوا جزالة ألفاظه، وبديع نظمه، وحسن سياقه، وحسن مباديه ومقاطعه، وكيف ينتقل الحديث من قضية لأخرى في ارتباط وعدم تنافر مع تلون في الخطاب وإيجاز وإطناب فأخذوا يدافعون عن اسلوب القرآن وبيانه وفصاحته.

ومن أشهر أولئك أبو عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)(١) الذي ألف في نظم القرآن، وابن المعتز (ت٢٩٦ هـ)(٢) أول من ألف في فن البديع كتابه "البديع"،وكذا قطرب(ت ٢٠٥ هـ) الذي ألف كتاباً فيما سأل عنه الملحدون(٣).

أما الجاحظ فإنه لما كان مهتماً بالبيان راسخاً فيه عرف مكانة القرآن وأدرك بيانه فلما رأى كثرة الطاعنين فيه بغير حق أخذ يدافع عنه فكان له جهده في الدفاع عنه من هذه الناحية فها هو يذكر ماكان من عبد الكريم بن أبي العوجاء واسحاق بن طالوت والنعمان بن المنذر وأشباههم من الأرجاس الذين استبدلوا بالعز ذلاً وبالإيمان كفراً وبالسعادة شقوة ثم ذكر أنهم كانوا يصنعون الآثار ويولدون الأخبار ويبثونها في الأمصار ويطعنون في القرآن ويتساءلون عن متشابهه وخاصه وعامه ويضعون الكتب على أهله(٤).

وذكر أنه احتج للقرآن في كتابه نظم القرآن ولم يدع فيه مسألة لأصحاب النظام ولا لمن نجم بعده ممن زعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة ،وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة، وقد ذكر سبباً لدفاعه وحجاجه أشار فيه إلى حال الناس في زمانه حيث قال :" لما كثر الضعفاء من المسلمين مع كثرة الدخلاء فينا الذين نطقوا بألسنتنا واستعانوا بعقولنا على أغبيائنا وأغمارنا لما تكلفنا كشف الظاهر وإظهار البارز والاحتجاج لواضح"(٥).

---

(١) هو أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المعتزلي قال الذهبي وتلطخه بغير بدعة أمر واضح ولكنه إخباري علامة صاحب فنون وأدب باهر وذكاء بين. سير أعلام النبلاء ١١:٥٢٦ - ٥٣٠

(٢) هومحمد بن المتوكل ولدسنة (٢٤٩هـ)وهو متادب بأدب المبرد وثعلب سير أعلام النبلاء ١٤: ٤٢ - ٤٤ .

(٣) الفهرست لابن النديم ٥٧ .

(٤) رسائل الجاحظ جمع وعناية عبدالسلام هارون٣/٢٧٧-٢٨٧ .

(٥) رسالة في القرآن٤/٢٨٧ ضمن رسائل الجاحظ .

ويعتبر كتابه نظم القرآن أول مؤلف في الدفاع عن اسلوب القرآن ونظمه يعرف باسم نظم القرآن ثم تتالت بعده المؤلفات في نظم القرآن وهو بكتابه هذا وغيره من أبرز من دافع عن اسلوب القرآن كماأنه من أوائل من رد على النظام نفيه الإعجاز وقوله بالصرفة وكان يرى أن القرآن معجز وأن وجه إعجازه :نظمه البديع وتأليفه العجيب وأن النبي تحداهم بالنظم والتأليف .وذكرأن عجز قريش عن معارضة القرآن و عدم ردهم مع بلاغتهم وشدة عداوتهم يكفي رداً على أولئك الطاعنين.

ثم أشار إلى وجه عجزهم بقوله :"ولو قرئ على خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة، أو قصيرة لتبين له في نظامها ومخرجها وفي لفظها وطبعها أنه عاجز عن مثلها ولو تحدي بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها "(١).

ثم تتالت المؤلفات في نظم القرآن(٢)حيث ألف فيه كل من : محمد بن يزيد الواسطي(ت٣٠٧هـ)(٣) كتابه" نظم القرآن ويعرف بإعجازالقرآن في نظمه وتأليفه" أيضاً، وتبعه بالتأليف آخرون منهم ابن الاخشيدأحمد بن علي أبو بكرالمعتزلي(ت٣٢٦هـ)(٤)وذكرت أسماء علماء آخرين ألفوا في نظم القرآن منهم أبو بكر السجستاني، وأبو زيد البلخي وكذاالحسن بن علي بن نصر ولم يصل لأي منهم كتاب في نظم القرآن على حد علمي والله أعلم .

---

(١) رسائل الجاحظ ٢٢٩/٣ .

(٢) انظر الفهرست لابن النديم ٥٧ - ٥٨ .

(٣) محمد بن يزيد الواسطي معتزلي قدم بغداد تاريخ بغداد ٣٧٨/٣، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٧٤ .

(٤)أحمد بن بن علي أبوبكر المعتزلي شيخ المعتزلة قال الذهبي كان يدري الحديث ويرويه وله محاسن على بدعته سيرأعلام النبلاء ٢١٧/١٥ .

ابن قتيبة وترابط القرآن :

ومممن اهتم ببيان القرآن وأسهم في الرد على الطاعنين فيه من علماء القرن الثالث الهجري الإمام أبو محمد عبدالله بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) الذي حمل لواء الدفاع عن القرآن في منتصف القرن الثالث الهجري وتصدى للطاعنين في القرآن وأسلوبه، والمعترضين عليه، وألف في ذلك كتابه تأويل مشكل القرآن، ولم يكتف برده في هذا الكتاب بل ضمن الرد في كتب أخرى كتأويل مختلف الحديث حيث تعرض فيه للفرق واختلافها وركز على أهل الرأي وأهل علم الكلام ثم وقف وقفة طويلة مع النظام القادح في نظم القرآن فبين كذبه وكشف زيفه ورد أباطيله وعرج على أبي الهذيل وعبيدالله بن الحسين، ثم تعرض لمخالفات أهل الرفض وأشار إلى موافقات الجاحظ ومخالفاته (١).

أما في كتابه تأويل مشكل القرآن فبدأ في المقدمة بوصف القرآن مشيراً إلى عجيب نظمه وحسن تأليفه بقوله :"وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين".

ثم كر على أولئك الطاعنين مبيناً وموضحاً حالهم وتأثيرهم على الناس قائلا :"وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة وأبصار عليلة ونظر مدخول فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة وفساد النظم والاختلاف" (٢).

وفي هذا تصوير لحال الطاعنين، مع بيان أنهم يتبعون المتشابه من آي الكتاب على جهل منهم وسوء فهم فما كان منه إلا القيام بواجبه في الدفاع عن القرآن واستمع إليه وهو يقول :"فأحببت أن أنضح عن كتاب الله وأرمي من ورائه بالحجج النيره، والبراهين البينه وأكشف للناس ما يلبسون فألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن" (٣).

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة انظر من ص:١٧-٦٩ .

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ٢٣ .

ولقد وفى بما وعد حيث بدأ بذكر شبه الطاعنين في القرآن .

ثم بدأ الرد عليها، وأكتفي هنا بإيرادالشبه المتعلقة بالسياق ورده عليها فمما قالوا: أين قوله تعالى:[وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ] من قوله[فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ](النساء/٣)

ومما أشكل عليهم أيضا ماحكاه عنهم من قولهم: "وأين قوله:[جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ] من قوله [ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ](المائده/٩٧)".

وأين قوله:[أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ)من قوله[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ](لقمان/٣١) (١) ولعل الإشكال عندهم في الآية الأولى أنهم نظروا إلى أن صدر الآية يتحدث عن شأن اليتامى وآخرها في شأن النكاح فأشكل عليهم وجه الربط بينهما ،أما في الثانية فهي في وجه الجمع بين الأشياء المذكورة في آية واحدة، أما في الثالثة فتسآلوا عن ترابطها ووجه اتصال آخرها بأولها.

وقد أجاب ابن قتيبة على هذه الشبه والإشكالات بدراسة تحليلية لما قالوا بين فيها ترابط كل كلمة بما جاورها وكل جملة بأختها وصدر كل آية بآخرها فقال: أما قولهم: أين قوله:[وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ] من قوله[فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ](النساء٣) فهل شيء أشبه بشيء أليق به من أحد الكلامين بالآخر.

قال:"والمعنى أن الله تعالى قصر الرجال على أربع نسوة،وحرم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن لإنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ماأباح من ملك اليمين لم يستطيعوا العدل عليهن بالتسوية بينهن فقال لنا:فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم،فخافوا أيضاً ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنتين وثلاثاً، وأربعاً،ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل ثم قال:فإن خفتم أيضاً ألا تعدلوا بين الثلاث والأربع ،فانكحوا واحده أواقتصروا على ماملكت أيمانكم من الإماء،ذلك أدنى ألا تعولوا،أي لا تجوروا وتميلوا"(٢).

---

(١)مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٨ .

(٢)المصدر نفسه ٧٢ .

فاتضح بكلامه وجه الربط بين الأمر بالاقتصار في النكاح على أربع عقب الحديث عن اليتامى وإصلاح شأنهم وفي هذا تأكيد وإظهار مرعاة السياق في معرفة المعنى وأيد ماذهب إليه بما نقله من تفسير ابن عباس رضي الله عنه حيث قال :وقال ابن عباس: قصر الرجال على أربع من أجل اليتامى، يقول:لما كان النساء مكفولات بمنزلة اليتامى،وكان العدل على اليتامى شديداًعلى كافلهم،قصر الرجال على ما بين الواحدة إلى الأربع من النساء،ولم يطلق لهم ما فوق ذلك، لئلا يميلوا.

وأقوى من ذلك مارواه البخاري بسنده إلى ابن شهاب الزهري قال : أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى :

[وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى] فقالت: ياابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل مايعطيها غيره فنهو عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن .

قال عروة : قالت عائشة :وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله [ويستفتونك في النساء] قالت عائشة - رضي الله عنها - وقول الله تعالى في آية أخرى [وترغبون أن تنكحوهن] رغبة أحدكم عن عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال قالت :فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال (١)

ثم ساق إشكالهم الثاني فقال :

وقولهم:أين قوله:[جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد]من قوله:[ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات وما في الأرض وأن الله بكل شئ عليم](المائدة٩٧)

---

(١) صحيح البخاري تفسير سورة النساء ١١٧:٣ .

ثم بدأ بالرد فقال:

"وتأويل هذا: أن أهل الجاهلية كانوا يتغاورون ويسفكون الدماء بغير حقها ويأخذون الأموال بغير حلها .....فجعل الله الكعبة البيت الحرام، وما حولها من الحرم، والشهر الحرام والهدي والقلائد قواماً للناس أي أمناً لهم، فكان الرجل إذا خاف على نفسه لجأ إلى الحرم فأمن ....وإذا دخل الشهر الحرام ....أمن الناس على أموالهم وأنفسهم وإذا أهدى الرجل منهم هدياً أو قلد بعيره من لحاء شجر الحرم أمن كيف تصرف وحيث سلك"(١).

ولو ترك الناس على جاهليتهم وتغاورهم في كل موضع وكل شهر لفسدت الأرض وفني الناس وتقطعت السبل وبطلت المتاجر، ففعل الله ذلك لعلمه بما فيه من صلاح شؤنهم وليعلموا أنه كما علم ما فيه من الخير لهم أنه يعلم أيضاً مافي السموات ومافي الأرض من مصالح العباد ومرافقهم وأنه بكل شيء عليم،"(٢)

وفي هذا ربط بين الآيتين وإبراز لما يقتضيه علم الله المحيط من تشريعات تضمن مصالح البشر، وفيه أيضاً بيان علاقة الفاصلة وهي قوله [وأنه بكل شيءٍ عليم] بصدر الآية.

ثم وقف عند تساؤلهم عن ترابط قوله تعالى: [ألم ترأن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته]بقوله [إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور](لقمان٣١).

فقال:"ولم يرد الله في هذا الموضع معنى الصبر والشكر خاصة وإنما أراد :إن في ذلك لآيات لكل مؤمن، والصبر والشكر أفضل ما في المؤمن من خلال الخير ،فذكره الله في هذا الموضع بأفضل صفاته"(٣).

ويمكن القول بأن الردود المتقدمة قد بينت الحق وكشفت عن تلبيس الطاعنين وشبه المعترضين، وهي بلاشك من أعظم وأقوى ماقاله أهل العلم في الدفاع عن كتاب الله، ولقد أتى بحجج نيرة، وبراهين بينه كما وعد فجزاه الله خيراً على ما قدم .

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٧٣-٧٤ .

(٢) انظر المصدر نفسه ٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ٧٥

التناسب في القرن الرابع الهجري

ثم دخل القرن الرابع الهجري فتتالت فيه المؤلفات للدفاع عن اسلوب القرآن فألف في نظم القرآن محمد بن يزيد الواسطي(ت٣٠٧هـ) كتابه" نظم القرآن ويعرف بإعجاز القرآن في نظمه وتأليفه" أيضاً، وتبعه بالتأليف في النظم آخرون (١)

وفي أوائل هذا القرن كان تفسير شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) المسمى" جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشتمل على ما أثر من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وما أثر من تفسير عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، ويشمل أيضاً أقوال المفسرين حتى عصره وكان يورد كل ذلك مؤيداً كل قول بأدلته مع نسبته لقائله مشيراً إلى النواحي البلاغية البيانية وضمن ذلك يعنى بالسياق ويراعيه ومما يؤيد ذلك ما ذكره عند قوله تعالى:[مالك يوم الدين] حيث قال في مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد الطاعنون في القرآن حيث قال:"إن سألنا منهم سائل فقال:إنك قد قدمت في أول كتابك هذا في وصف البيان بأن أعلاه درجة وأشرفه مرتبة،أبلغه في الإبانة عن حاجة المبين به عن نفسه وأبينه عن مراد قائله وأقربه من فهم سامعه،وقلت مع ذلك إن أولى البيان بأن يكون كذلك كلام الله جل ثناؤه بفضله على سائر الكلام وبارتفاع درجته على أعلى درجات البيان فما الوجه إذ كان الأمر على ماوصفت في إطالة الكلام بمثل سورة أمّ القرآن بسبع آيات وقد حوت معاني جميعها منها آيتان وذلك قوله [مالك يوم الدين*إياك نعبد وإياك نستعين]إذ كان لا شك أن من عرف[ملك يوم الدين] فقد عرفه بأسمائه الحسنى وصفاته المثلى، وإن من كان لله مطيعا فلا شك أنه لسبيل من أنعم الله عليه في دينه متبع، وعن سبيل من غضب عليه وضل منعدل، فما في زيادة الآيات الخمس الباقية من الحكمة التي لم تحوها الآيتان اللتان ذكرنا؟(٢) .

---

(١)انظر الفهرست لابن النديم ٥٧-٥٨ .

(٢)جامع القرآن عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري١:٨٥ .

ثم أجاب ابن جرير على السؤال المتقدم بقوله :" قيل له :إن الله تعالى ذكره ، جمع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأمته بما أنزل إليه من كتابه معاني لم يجمعهن بكتاب أنزله إلى نبي قبله ، ولا لأمة من الأمم قبلهم وذلك أن كل كتاب أنزله جل ذكره ، على نبي من أنبيائه قبله ، فإنما أنزله ببعض المعانى التى يحوي جميعها كتابه الذي أنزله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كالتوراة التي هي مواعظ وتفصيل، والزبور الذي هو تحميد وتمجيد، والإنجيل الذي هو مواعظ وتذكير، لا معجزة في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق والكتاب الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يحوي معاني ذلك كله ،ويزيد عليه كثيرا من المعاني التي سائر الكتب غيره منها خال،وقد قدمنا ذكرها فيما مضى من هذا الكتاب،ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله :نظمه العجيب،ووصفه الغريب،وتأليفه البديع،الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء،وكلت عن وصف شكل بعضه البلغاء،وتحيرت في تأليفه الشعراء، وتبلدت قصورا عن أن تأتي بمثله لديه أفهام الفهماء،فلم يجدوا له إلا التسليم، والإقرار بأنه من عند الواحد القهار،مع ما يحوي مع ذلك المعاني التي هي ترغيب،وترهيب ،وأمر وزجر وقصص وجدل ومثل،وما أشبه ذلك المعاني التي لم تجمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء"(١).

النموذج الثاني ماذكره ابن جرير عند قوله تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ *٦*]

ذكر فيمن عني بهذه الآية عن أهل التأويل أقوال هي :-

١- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ]أي بما أنزل إليك من ربك ،وإن قالوا إنا قد آمنا بما جاءنا من قبلك .

وكان ابن عباس يرى أن هذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخاً لهم في جحد نبوته صلى الله عليه وسلم .

٢- عن سعيد عن ابن عباس أيضا أن صدر سورة البقرة إلى المائة منها نزل في رجال سماهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار اليهود ،ومن المنافقين من الأوس والخزرج .

---

(١)جامع البيان ١:٨٥ .

٣- عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] إلى قوله ولهم عذاب عظيم قال وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ] قال فهم الذين قتلوا يوم بدر .

ثم قال ابن جرير: وأولى هذه التأويلات بالآية تأويل ابن عباس الذي ذكره سعيد ابن جبير عنه، وإن كان لكل قول مما قاله الذين ذكرنا قولهم في ذلك مذهب .

قال ابن جرير: "فأما مذهب من تأول في ذلك ماقاله الربيع بن أنس، فهو أن الله تعالى ذكره لما أخبر عن قوم من أهل الكفر بأنهم لا يؤمنون وأن الإنذار غير نافعهم، ثم كان من الكفار من قد نفعه الله بإنذار النبي صلى الله عليه وسلم لإيمانه بالله وبالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله بعد نزول هذه السورة، لم يجز أن تكون الآية نزلت إلا في خاص من الكفار.

وإذ كان ذلك كذلك وكانت قادة الأحزاب لاشك أنهم ممن لم ينفعه الله عز وجل بإنذار النبي صلى الله عليه وسلم إياه حتى قتلهم الله تبارك وتعالى بأيدي المؤمنين يوم بدر، علم أنهم ممن عني الله جل ثناؤه بهذه الآية.

وأما علتنا في اختيارنا مااخترنا من التأويل في ذلك فهي أن قول الله جل ثناؤه [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] عقيب خبر الله جل ثناؤه عن مؤمني أهل الكتاب وعقيب نعتهم، وصفتهم، وثنائه عليهم بإيمانهم به وبكتبه ورسله، فأولى الأمور بحكمة الله أن يُتلي ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم وذم أسبابهم وأحوالهم وإظهار شتمهم والبراءة منهم لأن مؤمنيهم ومشركيهم وإن اختلفت أحوالهم باختلاف أديانهم فإن الجنس يجمع جميعهم بأنهم بنو إسرائيل .

وإنما احتج الله جل ثناؤه بأول هذه السورة بنبيه صلى الله عليه وسلم على مشركي اليهود من أحبار بني إسرائيل"(١).

فانظر كيف رجح ابن جرير أحد الأوجه بدلالة السياق.

---

(١) انظر جامع البيان لابن جرير ١٠٨/١-١٠٩ .

التصريح بالمناسبة :

ثم ظهر التصريح بلفظ المناسبة عند المفسرين ببغداد على يد الحافظ أبي بكر عبدالله بن زياد بن واصل الفقيه الشافعي المولود سنة ٢٨٨هـ والمتوفى سنة ٣٢٤ هـ (*)

فلقد ذكر الزركشي نقلاً عن أبي الحسن الشهراباني أنه أول من أظهر علم المناسبة ببغداد .

وذكر من شأنه أنه كان وافر العلم في الشريعة والأدب، وأنه كان يجلس للتعليم، وكان يقول إذا قرئت عليه الآية :- لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟(١).

وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟!

وهذا يؤكد تعرضه إلى الحكمة في تعقيب آية بآية وإلى السر في مجيء السورة عقب السورة .

وذكروا أنه كان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة ! ولقد عده السيوطي أول من سبق إلى هذا العلم (٢).

واعتبره كثير من أهل العلم أول من طرق هذا العلم وينبغي أن تذكر الناحية التي سبق إليها .

أهو أول من تعرض للمناسبة من علماء بغداد لا من كل البلاد ؟

أم هو السابق في تعليمها مشافهة بعد تدوينها ممن سبق؟

وهل أفردها بالحديث بعد أن تناولها السابقون عرضاً ؟

أو أن تناول الأقدمين لها باعتبارها نظرية؟ وهو أول من طبقها على آي القرآن.

أم هل هو أول من استعمل لفظ المناسبة عند تعليمه للقرآن؟

أو أول من تحدث عن مناسبات الآيات والسور جميعاً؟ وأن غيره كان يتناول أحدهما دون الآخر .

ليس لدي دليل قاطع بواحد من ذلك، وقد تبين مما تقدم أن الكلام في المناسبة وأهميتها في تفسير القرآن حاصل منذ القرن الثاني والله أعلم.

(*) إمام الشافعية في عصره بالعراق سير أعلام النبلاء ١٥/٦٥ وفي تاريخ بغداد ١٠: ١٢٠-١٢٢، وشذرات الذهب ٢/٣٠٢، وتذكرة الحفاظ ٣: ٨٩، ولم أجد لأبي الحسن الشهراباني ترجمة.

(١) البرهان للزركشي ١: ٣٦ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢-٩٧٦، معترك الأقران ١: ٥٥ .

وشارك الرماني (ت٣٨٦هـ) فتكلم عن التلاؤم وهو عنده تعديل الحروف في التأليف، وحسن النظم، والرصف، وذكر أن القرآن في المرتبة العليا من التلاؤم، ومما فيه ربط لآي القرآن ما قاله بعد أن ساق قوله تعالى: [وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ] ثم قال: [فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا] فقطع بأنهم لن يفعلوا، وهذا ربط للآية بما قبلها "(١).

وأكد أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) براعة القرآن وترابطه، ومن ذلك ما بينه من ترابط قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ] فقال: فالإحسان داخل في العدل، وايتاء ذي القربى داخل في الإحسان، والفحشاء داخل في المنكر، والبغي داخل في الفحش قال: وهذا يدل على أن أعظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ؛ لأن المعاني إذا دخل بعضها في بعض هذا الدخول، وكانت الألفاظ مختارة حسن الكلام، وإذا كانت مرتبة حسنة والمعارض سيئة كان الكلام مردوداً (٢).

وقد ألمح أبو هلال إلى ضرورة كون الفاصله لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء المتقدم ومثل بقوله تعالى: [وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ] وقوله تعالى [وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ] على حسن موقع كل كلمة من الأخرى حيث قال: فأبكى مع أضحك وأحيا مع أمات، والانثى مع الذكر، والأولى مع الآخرة، والرضا مع العطية في نهاية الجودة وحسن الموقع (٣).

---

(١) انظر النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز (٩٦-٩٧)

(٢) الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري (ت٢٠١هـ) ت. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الحلبي، مصر.

(٣) المصدر نفسه ٤٧٠ .

الخطابي وتناسب القرآن :

وفي الوقت نفسه وضع قواعد مهمه فيما يتعلق بالنظم والإعجاز أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في رسالته بيان إعجاز القرآن، وإليك بعضاً مما قاله ونماذج من كتابه :-

حيث أشار إلى ما قيل في شأن وجه إعجاز القرآن من أقوال مناقشاً لها ومنها: رأي الأكثرين من علماء أهل النظر وهو أن إعجازه من جهة البلاغة قال:"وفي كيفيتها بعض الإشكال، فعده بعض منهم ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده وأخرون ما يحصل من العذوبة في حس السامع والهشاشة في نفسه".

وبين"أن القرآن نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه، مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن؛ ليكون آية بينة لنبيه ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه"(١).

قال: إنما يقوم الكلام على أشياء ثلاثة:-

١- لفظ حامل. ٢- معنى به قائم. ٣- رباط لهما ناظم.

وبين أن المقصود باللفظ الحامل أسماء اللغة العربية وألفاظها التى هي ظروف المعاني والحوامل لها ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ.

ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض.

قال:" وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ: أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً :أحسن تأليفاً وأشد تشاكلاً من نظمه"(٢).

---

(١)انظر بيان إعجاز القرآن للخطابي ٢١-٢٣ بتصرف واختصار.

(٢)انظر المصدر السابق نفسه ٢٣-٢٦.

قال : " وأما المعاني :فهي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عددا".

ثم قرر أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني.

ثم أشاد بتناسق القرآن وترابطه مشيراً إلى اختلاف المعاني التي تضمنها من:"توحيد له عزت قدرته،وتنزيه له في صفاته ودعاء إلى طاعته وبيان بمنهاج عبادته من تحليل، وتحريم، وحظر، واباحة، ومن وعظ، وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ولا يرى في صورة العقل أليق منه، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند منهم منبئاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الباقية من الزمان جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا اليه وأنبأ عن وجوب ماأمربه ونهى عنه".

وبعد إشادته بترابط آياته مع اختلاف موضوعاته عقب بقوله:"ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قُدَرُهُم"(١).

---

(١)انظر المصدر السابق ٢٧-٢٨ .

ومما يشير إلى إهتمامه بالنظم وترابط السياق قوله:"اعلم أن عمود هذه البلاغة التى تجمع لها هذه الصفات السابقة هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به."

ثم بين أنه إذا لم يوضع في مكانه :-

١-إما أن يتبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام .

٢- وإلا ذهب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة .

وأوضح أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة والحمد والشكر والبخل والشح وغيرها ثم بين الفروق بينها(١).

وذكرأن هذا هو سبب تهيب كثير من السلف تفسير القرآن؛ حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين، ثم نبه إلى أن المخاطبين به كانوا بطباعهم يثبتون مواضع تلك الأمور ويعرفون ما يلزمهم من شروطها ومن العهدة فيها ويعلمون أنهم لا يبلغون شأوها فتركوا المعارضة لعجزهم (٢).

ثم بين منهجه بقوله:"ولم نقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التى منها يتركب الكلام دون ما يتضمنه من ودائعه التي هي معانيه، وملابسه التي هي نظوم تأليفه ".

ثم أشاد بالنظم والسياق فقال:"وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"(٣).

وهو بهذا يبين نظرته إلى أهمية الترابط وما ينبغي لمن أراد الحذق فيها.

---

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي ٢٩ -٣٤باختصار .

(٢)انظر المصدر نفسه ٣٥ .

(٣)المصدر نفسه ٣٦ .

وبعد بيان نظرته إلى الترابط وإلى ما يقوم به السياق، بدأ في حكاية ما قيل من طعن وإشكال في النظم والسياق فقال: قالوا:" ومما يعرض فيه من سوء التأليف ومن نسق الكلام على ما ينبو عنه ولا يليق به قوله سبحانه [كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ] عقب قوله [أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] (الأنفال ٤-٥).

وكما في تشبيه شيء بشيء ولم يتقدم من أول الكلام ما يشبه ماتأخر منه.

وكقوله سبحانه: [وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ *٨٩* كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ *٩٠* الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ *٩١*] (الحجر).

وقوله: [كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ *١٥١*] (البقرة) (١). ومما قالوا وقد يدخل بين الكلامين ما ليس من جنسهما ولا قبيلهما كقوله سبحانه [لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ *١٦* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ *١٧* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ *١٧* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ *١٩*] عقيب [بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ *١٥*] بين يدي قوله [كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ *٢٠* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ *٢١*] (٢) وليس ذلك بالمستحسن ولا المختار عند أهل البلاغة وأرباب البيان.

ثم أورد رأيهم فيما كان ينبغي أن يكون عليه ترتيب القرآن في قولهم: والأحسن أن يكون الكلام مفصلاً مقسوماً على أبوابه وأن يكون لكل نوع منه حيز وقبيل لا يدخل في قبيل غيره.

قالوا:" ولو كانت سور القرآن على هذا الترتيب فتكون أخبار القرآن، وأقاصيصه في سورة، والمواعظ والأمثال في سورة، والأحكام في اخرى لكان ذلك أحسن في الترتيب وأعون على الحفظ وأدل على المراد" (٣).

---

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي ٣٩.

(٢) الآيات من سورة القيامة.

(٣) المصدر نفسه ٤٠.

وبعد ما حكى مطاعنهم واعتراضاتهم السابقة، بدأ بالرد على هذه الاعتراضات فبدأ بجواب مجمل: هو أن من تبحر في كلام العرب، وعرف أساليبه لم يسرع إلى النكير فيه والتلحين .

واستشهد على ذلك بما أورده بسنده عن أبي العباس بن سريج قال:"سأل رجل بعض العلماء عن قول الله عز وجل :[لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ] فأخبر أنه لايقسم ثم أقسم به في قوله :[وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ* وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا...](البلد١-٣) فقال له ابن سريج :أي الأمرين أحب إليك ؛أجيبك ثم اقطعك ،أواقطعك ثم أجيبك؟ قال: لا بل اقطعني ثم أجبني .فقال له :اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله صلىالله عليه وسلم بحضرة رجال وبين ظهراني قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا ،وعليه مطعنا فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ،ولكن القوم علموا وجهلت ،فلم ينكروا منه ما أنكرت ،ثم قال له:إن العرب قد تدخل [لا]في أثناء كلامها وتلغي معناها" (١).

وفيما ذكر تأكيد على أن الألفاظ المناسبة جعلت في أماكنهاالملائمة، وفيه رد على من أراد النيل من ترابط القرآن ونظمه، وإشارة إلى دليل من أقوى أدلة سلامة اسلوبه وبعده عن التناقض حيث أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قوم يبحثون عن مطعن أومغمز يطعنون به في كتاب الله عز وجل فلم يجدوه وهم أرباب الفصاحة والبيان .

وعقب رده المجمل بدأ بالرد المفصل فقال:"أما قوله سبحانه :[كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ]الآية ففيه وجوه :ذهب إليها أهل التفسير وأهل التأويل كلها محتملة، أيها اعتمدت وعلقت عليه الكاف حملها وصح الكلام عليه.

الوجه الأول: قال بعضهم أن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي بأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى بأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون"(٢).

---

(١)بيان إعجاز القرآن للخطابي ٤٧ .

(٢)انظر المرجع نفسه ٤٩ .

ثم أشار الخطابي إلى سبب النزول فقال: "وذلك أنهم في يوم بدر اختلفوا في الأنفال، وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه، فكره كثير منهم ماكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفل فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأنفذ أمره فيها، وأمرهم أن يتقوا الله، وأن يطيعوه ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء فيما بعد إن كانوا مؤمنين ووصف المؤمنين، ثم قال :[كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ](الأنفال:٥)"(١).

ثم ذكر بقية الوجوه وهي :

الوجه الثاني: أن كراهتهم لما فعلته في الغنائم ككراهتهم في الخروج معك وقد حمدوا عاقبته فليصبروا في هذا وليسلموا وليحمدوا عاقبتهم كذلك.

الوجه الثالث:أن معناه أولئك هم المؤمنون حقاً كما أخرجك ربك من بيتك بالحق.

الوجه الرابع:أن(كما) صفة لفعل مضمر وأن تأويله افعل في الغنائم كما فعلت في الخروج إلي بدر وإن كره القوم ذلك.

ثم افترض اعتراضاً آخر على النظم عبر عنه بقوله :" فإن قيل أوليس وإن توجه الكلام وصح على الوجه الذي ذكرتموه في معنى قوله :[كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ]فقد دخله من الانتشار بتفرق أجزائه وتباعد ما بين فصوله ما أخرجه من حسن النظم الذي وصفتموه به قيل: لا ،وذلك لأنه لم يدخل بينه وبين أول مايتصل به ما يفصل الكلام إنما قال :[وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] ثم وصف هذا الإيمان وحقيقته مشيراً إلى شعبه وأجزائه فلو لم يستوفه بالصفة الجامعة له لم يبن معه المراد ثم عطف بالكلام على أول الفصل فقال [كَمَآأَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ] فشبه كراهتهم ما جرى في أمر الأنفال وقسمها بالكراهة في مخرجه من بيته؛ وكل ما لا يتم الكلام إلا به من صفة وصلة فهو كنفس الكلام"(٢).

---

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي ٤٩-٥٠ .

(٢) انظربيان إعجازالقرآن٥٠-٥١ .

وفي المثال المتقدم اتضح كيف ربط ما أشكل على الآخرين ،وأن الأمر بالطاعة وهو توجيه بين الآيات لم يقطع الاتصال .

وأجاب على الإشكال الثاني وهو قوله تعالى:

[كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُم رَسُولاً مِنكُم] بقوله:"فمعناه كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول فيكم من أنفسكم كذلك أتم نعمتي عليكم "(١) .

ثم جاء إلى الإشكال الثالث من آيات سورة القيامة فقال:" فإن قيل: فما معنى قوله تعالى[لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ...]الآيه وقد اكتنفه من جانبيه قوله سبحانه[بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ]وقوله[كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ]

ولا مناسبة بين الكلامين الذين اعتوراه قيل: هذا عارض من حال دعت الحاجة إلى ذكره لم يجز تركه ولا تأخيره عن وقته كقولك للرجل وأنت تحدثه بحديث فيشتغل عنك ويقبل على شيء آخر، أقبل علي واسمع ما أقول، وافهم عني ونحو هذا من الكلام ثم تصل حديثك ولا تكون بذلك خارجاً عن الكلام الأول قاطعاً له إنما تكون به مستوصلاً للكلام مستعيداً له.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل الوحي وسمع القرآن حرك لسانه يستذكر به فقيل له تفهم ما يوحى إليك ولا تتلقفه بلسانك فإنا نجمعه لك ونحفظه عليك ثم أورد بسنده عن ابن عباس في قوله سبحانه :[لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ]قال: كان يحرك به لسانه مخافة أن يتفلت منه"(٢).

ثم تعرض الخطابي لمسألة التكرار وكان مما عابوه في القرآن فذكر أن التكرار على ضربين :

١- مذموم وهو ما كان مستغنىً عنه، وليس في القرآن منه شيء.

٢- ما لا يستغنى عن تكراره كالأمور المهمة التي تعظم العناية بها، والتي يخاف بترك تكراره وقوع الغلط والنسيان أو الاستهانه بقدرها، وأضاف أن الله قد أخبر بالسبب الذي من أجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن فقال سبحانه :[وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ](القصص ٥١) قال تعالى :[وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً](طه ١١٣)(٣).

---

(١) اعجاز القرآن للخطابي ٥٠ .

(٢)المصدر نفسه ٥١ .

(٣)انظر المصدر نفسه ٥٢ -٥٣ .

ثم جاء لقولهم لو كان نزول القرآن على سبيل التفصيل والتقسيم فيكون لكل نوع من أنواع علومه حيز وقبيل ،لكان أحسن نظماً وأكثر فائدة ونفعاً .

فأجاب الخطابي: بأنه إنما نزل القرآن على هذه الصفة من جمع أشياء مختلفة المعاني في السورة الواحدة وفي الآية المجموعة القليلة العدد لتكون أكثر لفائدته وأعم لنفعه .

ولو كان لكل باب منه قبيل، ولكل معنى سورة مفردة لم تكثر عائدته، ولكان الواحد من الكفار والمعاندين المنكرين له إذا سمع السورة منه لاتقوم عليه الحجة به إلا في النوع الواحد الذي تتضمنه السورة الواحدة فقط .

فكان اجتماع المعاني الكثيرة في السورة الواحدة أوفر حظاً وأجدى نفعاً من التمييز والتفريد للمعنى الذي ذكرناه والله أعلم ثم أورد حكمة أخرى قال فيها:

وقد أحب الله عز وجل أن يمتحن عباده ويبلو طاعتهم واجتهادهم في جمع المتفرق منه، وفي تنزيله وترتيبه، وليرفع الله الذين آمنوا منهم والذين أوتوا العلم درجات (١).

وبهذا يشير إلى بعض من حكم الله في كون القرآن على هذه الطريقة من استنفار همم العلماء ،وإقامة الحجة على الأعداء.

وهكذا فإن للخطابي في الدفاع عن أسلوب القرآن وبيانه وفي بيان مناسبات الآيات يد طولى وجهود متينة وقد أشار إلى قواعد مهمة للناظرين في تناسب القرآن، خاصة من أراد النظر في ترابط آياته وحسن سياقه فجزاه الله عما قدم خير الجزاء .

---

(١) بيان إعجاز القرآن ٥٤ .

التناسب في القرن الخامس الهجري .

الباقلاني وآراءه في اسلوب القرآن :

وفي نهاية القرن الرابع وعلى مشارف القرن الخامس الهجري عاش الإمام أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) فأتم المسيرة التي بدأها علماء القرآن في القرن الرابع الهجري لبيان اسلوب القرآن وترابطه .

وقد عد د.عبد الرؤوف مخلوف الباقلاني أول من تناول النظم على أنه التناسق والترابط حيث قال:"ولا يفوتنا أن نذكر أن الباقلاني من أسبق من تناولوا النظم على أنه التناسق والترابط بين أجزاء القطعة الفنية الواحدة باعتبارها كلاً لا تنقطع أوصاله"(١).

وما قاله ظاهر في كتابه اعجاز القرآن إذ بين فيه كيف تترابط الآية والآيات في سورة كاملة وساق لذلك أمثلة عديدة .

وقد بدأ كتابه موضحاً أن نبوة نبينا محمد عليه السلام بنيت على القرآن، وأن السور المبدوءة بالحروف المقطعه إذا تأملتها فهي من أولها إلى آخرها مبنية على لزوم حجة القرآن والتنبيه على وجه معجزته (٢).

وفي هذا تنبيه على ترابط أجزاء السورة ،وإشارة لوحدة موضوعها . وضرب مثالاً على ذلك بسورة غافر التي درسها دراسة تحليلية ربطاً بين أجزائها؛ بين فيها أن الله بدأها بقوله: [حمٓ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ].

ثم وصف نفسه بما هو أهله من قوله تعالى:[غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ* مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ] فدل على أن الجدال في تنزيله كفر، وإلحاد.

ثم أخبر بما وقع من تكذيب الأمم برسلهم بقوله عز وجل [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ] فتوعدهم بأنه آخذهم في الدنيا بذنبهم في تكذيب الأنبياء، ورد براهينهم فقال تعالى [فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ]،ثم توعدهم بالنار فقال تعالى [وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ](٣).

---

(١)الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن د.عبد الرؤوف مخلوف ط،دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨ م .

(٢)انظر إعجاز القرآن للباقلاني ٨-٩ .

(٣)المصدر نفسه ٩ -١٠ .

ثم ذكر الباقلاني ماسار عليه سياق السورة فقال:

" ثم عظم شأن المؤمنين بهذه الحجة بما أخبر من استغفار الملائكة لهم، وما وعدهم عليه من المغفرة......ثم ذكر تمام الآيات في دعاء الملائكة للمؤمنين .

ثم عطف على وعيد الكافرين فذكر آيات ،ثم قال:[هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ] فأمر بالنظر في آياته وبراهينه.

ثم لما خلص من الآيات في ذكر الوعيد على ترك القبول، ضرب لهم مثلاً بمن خالف الآيات وجحد الدلالات والمعجزات فقال:[أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً" الآيات...*٢١*غافر]ثم بين أن عاقبتهم صارت إلى السوآى .

ثم ذكر قصة موسى ويوسف عليهما السلام ومجيئهما بالبينات ثم ذكر كثيراً من الاحتجاج على التوحيد.

ثم ساق قوله تعالى:[أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ*٦٩*] فذكر أنه بين هذه الجملة وأن من آياته الكتاب فقال:[ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ*٧٠*] إلى أن قال[وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ*٧٨*]"(١).

كان هذا الكلام من الباقلاني لإثبات أن السورة بآياتها بنيت لإثبات النبوة دليلاً على ثبوت الإعجاز .

ثم عرض سورة أخرى ليؤكد ما توصل إليه في السورة السابقة فقال: "وكذلك ذكر في (حٓمٓ) السجده (فصلت) على هذا المنهاج الذي شرحناه" وفي قوله تعالى:[إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا]إلى قوله: [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ* لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ] قال:" فيه تأويلات وبعد أن ساقها قال:" فلا يخرج عن أن يكون متأولاً على مايقتضيه نظام الخطاب من أنه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة تقدح في معجزته أوتعارضه في طريقه وكذلك لا يأتيه الباطل من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالته وإعجازه وهذا أشبه بسياق الكلام ونظامه"(٢).

وواضح هنا اعتماده المعنى الذي يتفق مع النظم والسياق .

---

(١) انظر إعجاز القرآن للباقلاني ٩-١١ .

(٢)المصدر نفسه بتصرف ١٢-١٣ .

ثم قال الباقلاني: والذي ذكرناه من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور، فكرهنا سرد القول فيها؛ فليتأمل المتأمل ما دللناه عليه يجده كذلك.

ومما تضمنه كتابه إضافة إلى ماتقدم قواعد وفوائد مهمة يدرك منها وجه الإعجاز ووجه الترابط في الآي والسور ومنها:-

- وجه إعجاز القرآن أنه بديع النظم وعجيب التأليف إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه وأضاف بأن لهذا الوجه وجوه أخرى منها:-

أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التى يتصرف فيها: من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام وإعذار وإنذار ،ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة ، وسير مأثورة وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها (١) وقد تقدم التنبيه إلى مثل هذا عند الخطابي.

قال الباقلاني :"وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا.

- أن القرآن على اختلاف(فنونه) يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب" (٢).

ويظهر معنى المناسبة جلياً في الوجوه التي ذهب إليها من ترتيب خطابه واسلوبه الخاص ،وكذا عجيب نظمه وبديع تأليفه وعدم تفاوته أوتباينه عند اختلاف الوجوه وانتهاء :بعدم تفاوته عند الفصل والوصل وغيره.

- وقال في الثناء على نظم القرآن:(ونظم القرآن جنس متميز واسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص) (٣).

ويقول:(فأما نهج القرآن،ونظمه،وتأليفه ورصفه،فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه)(٤).

ثم أثنى على هذا النوع من العلم فقال:"واعلم أن هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب،ليست له عشيرة تحميه ولا أهل عصمة تفطن لما فيه وهو أدق من السحر وأهول من البحر، وأعجب من الشعر"(٥).

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ٣٦ بتصرف.

(٢) انظر المصدر نفسه ٣٧-٣٨.

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني (١٥٩)

(٤) المصدر نفسه (١٨٣)

(٥) المصدر نفسه (١٨٤)

- وقد أرشد إلى النظر فيما بين الكلمات من ترابط وأشاد بتآلف وانتظام كلمات القرآن وبين أن الناظر يجد كل لفظة في نفسها غرة وفي انفرادها درة (١).

وبعد لفت النظر إلى حسن الكلمة المفردة ،أرشد إلى النظر في الآيات ثم في سورة كاملة بما اشتملت عليه من كلمات وآيات ومقاطع بقوله :"ثم انظر في آية آية ،وكلمة كلمة :هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف؟ فكل كلمة لو افردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها مما تجري في الحسن مجراها ،وتأخذ في معناها؟ ثم من قصة إلى قصة ،ومن باب إلى باب من غيرخلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل وحتى يصور لك الفصل وصلاً ببديع التأليف وبليغ التنزيل "ثم أرشد من أراد تبين ماقال به فضل تبين وكان من أهل الصنعة أن يخبر عن قصة من قصص القرآن بألفاظ من عنده ليرى في لفظه النقص الظاهر ،ويتبين في نظم القرآن الدليل الباهر (٢).

- ثم أرشد إلى تأمل تمكن الفاصلة وهي الكلمة الثالثة وحسن موقعها وعجيب حكمتها وبارع معناها "(٣).

وقد حث على معرفة وجه الخلوص من شيء إلى شيء ،من احتجاج إلى وعيد، ومن إعذار إلى إنذار، ومن فنون من الأمر شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم ،ومتباعدة تتقارب بعلي الضم ،ليبين وجه الوقوف على شرف الكلام (٤).

- ثم أرشدإلى النظر" إلى ماحتوى من رد عجز الخطاب إلى صدره (٥).

---

(١) انظر إعجاز القرآن للباقلاني(١٨٧- ١٨٩)

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني (١٩٠)

(٣) انظر المصدر نفسه (١٩١-١٩٣) وفيها أشار إلى حصول ذلك في أي موضع منه .

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني (١٩٧).

(٥) المصدر نفسه (١٩٨).

- ثم بين منهجه الذي سار عليه فقال فيما يتعلق بالتناسب: "قد اعتمدنا على أن الآيات تنقسم إلى قسمين: أحدهما ما يتم بنفسه، أو بنفسه وفاصلته فينير في الكلام إنارة النجم في الظلام.

الثاني: مايشتمل على كلمتين أو كلمات، إذا تأملتها وجدت كل كلمة منها في نهاية البراعة وغاية البلاغة"(١).

ثم قال: "ونظم القرآن في مؤتلفه، ومختلفه، وفي فصله، ووصله، وافتتاحه واختتامه، وفي كل نهج يسلكه وطريق يأخذ منه وباب يتهجم عليه ووجه يؤمه على ما وصفه الله تعالى به - لا يتفاوت كما قال: [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً] ولا يخرج عن تشابهه وتماثله كما قال: [قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ] ولا يخرج عن إبانته كما قال: [بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ].

وغيره من الكلام كثير اللوث دائم التغير والتنكر... وقد تجد منه ما لا يتناسب ولا يتشابه ولا يتألف ولا يتماثل"(٢).

- وأشار إلى أنه في آيات الأحكام" إن لم تراع البديع البليغ في الكلمات، والأفراد، والألفاظ، والآحاد، فقد تجد ذلك مع تركب الكلمتين والثلاث ويطرد ذلك في الإبتداء، والخروج، والفواصل، وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الواسطة أو باجتماع ذلك أو في بعض ذلك ما يخلف الابداع في أفراد الكلمات وإن كانت الجملة والمعظم على ماسبق الوصف فيه"(٣).

ثم قال الباقلاني: "وقد بينا أن مراعاة الفواتح، والخواتم، والمطالع، والمقاطع، والفصل، والوصل بعد صحة الكلام، ووجود الفصاحة فيه - مما لا بد منه - وأن الإخلال بذلك يخل بالنظم ويذهب رونقه ويحيل بهجته ويأخذ ماءه وبهاءه"(٤).

---

(١) انظر إعجاز القرآن للباقلاني (٢٠٤-٢٠٥).

(٢) المصدر نفسه (٢٠٦).

(٣) المصدر نفسه (٢٠٨-٢٠٩).

(٤) المصدر نفسه (٢٤١).

- ثم أشار إلى ما قاله القادحون في نظم القرآن بقوله: " فإن قال قائل: فقد قدح الملحد في نظم القرآن وادعى عليه الخلل في البيان؛ وأضاف إليه الخطأ في المعنى واللفظ، وزعم وقال ماقال فهل من فصل؟.

قيل: الكلام على مطاعن الملحدة في القرآن مما قد سبقنا إليه، وصنف أهل الأدب في بعضه فكفوا، وأتى المتكلمون على ما وقع إليهم فشفوا ولولا ذلك لاستقصينا القول في كتابنا (١).

وبين الغرض الذي صنف فيه وهوالكشف عن إعجاز القرآن.

وأشار إلى عزمه التصنيف في "معاني القرآن " لأن أكثر مايقع من الطعن عليه، فإنما يقع لجهل القوم بالمعاني، أوبطريقة كلام العرب.

ويتضح سبب تأليف كتابه هذا من قوله: "ولولا أن العقول تختلف والأفهام تتباين والمعارف تتفاضل لم نحتج إلى ما تكلفنا" (٢).

وأختم هذا العرض المختصر لماسطره الباقلاني مما يتعلق بالتناسب بالإشارة إلى ماقاله الباقلاني في آخر فصول كتابه، وقد لخص ما يتعلق بالتناسب ومما قال: "وقد بينا في نظم القرآن:

- أن الجملة تشتمل على بلاغة منفردة.
- والأسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف.
- ثم الفواتح والخواتم.
- الطوالع والمقاطع.
- الوسائط والفواصل.
- الكلام في نظم السور والآيات ثم في تفاصيل التفاصيل ثم في الكثير والقليل.
- الخروج من فصل إلى فصل ووصل ومعنى إلى معنى ومعنى في معنى، والجمع بين المؤتلف والمختلف والمتفق والمتسق" (٣).

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (٢٤٥-٢٤٦).

(٢) انظر المصدر نفسه (٢٩٩).

(٣) انظر المصدر نفسه (٣٠٠- ٣٠٢) باختصار وتصرف.

وعاش في هذا القرن القاضي عبدالجبار الهمداني (ت٤١٥هـ) الذي تعرض للكلام في إعجاز القرآن في عدد من كتبه:

فعندما ساق قوله تعالى :[يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ] الآية قال:"ثم إنه تعالى بعد وصف المنافقين بعث المكلفين على عبادته فقال:[يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]ولا يصح أن يقول ذلك إلا مع الأمر بمعرفة الله تعالى وذلك مانبه عليه بقوله تعالى :[ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ] ونبه بذلك على أن العبادة إنما تليق به لأنه خالقنا والمنعم علينا"(١).

ويظهر مما تقدم ربطه للآية بما قبلها وربطه لأجزاء الآية الثانية

وفي موضع آخر حكى شبهة للطاعنين فقال:" قالوا:وقال الله تعالى:[فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا] ثم قال:[فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا] وليس لذلك تعلق بالأول فما الفائدة في ذلك ؟

وجوابنا: أن المراد فاذكروا الله كذكركم أبائكم بأن تسألوه مصالحكم في الدين والدنيا ولذلك قال:[وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً]فكأنه قال:اذكروا الله في أمر دينكم ودنياكم كما أن هؤلاء الناس يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وضرب المثل بالأباء لأن المعتاد أن المرء ينشأ على محبتهم وذكرهم وإلا فنعم الله أعظم من ذلك فذكرهم الله يجب أن يكون أكثر من ذكرهم لأبائهم"(٢).

وذكر من الطعون الموجهة للقرآن ما أورده ابن الراوندي في كتابه "الدامغ" من أن فيه تناقضاً واختلافاً (٣).

---

(١)تنزيه القرآن عن المطاعن إملاء عماد الدين عبدالجبار ابن أحمد ص١٧-ط دار النهضة الحديثه بيروت لبنان .

(٢) المصدر نفسه ص٣٨ .

(٣) انظرالمغني في أبواب التوحيد والعدل ٣٤٦/١٦إملاء القاضي عبدالجبار الهمداني الأسد آبادي ،قوم نصه أمين الخولي ط ١ الشركه العربية للطباعة والنشر مصر ١٣٨٠ .

الجرجاني ونظرية النظم :

أما عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ) أحد علماء القرن الخامس الهجري والمعروف بأنه صاحب نظرية نظم القرآن لاهتمامه بها في كتابه " دلائل الإعجاز" الذي حرص فيه على إثبات أن القرآن معجز بنظمه وبنى ذلك على أن بلاغة الكلام تكون بنظمه؛ فبدأ كتابه بالحديث عن معنى النظم، ثم فصل نظريته في النظم، وتحدث عن فنون البلاغة التي لها تعلق بارتباط الجمل والعبارات كالوصل والفصل وارتباط الكلام بالحروف والأدوات ،ثم بين متى اهتم بالبحث في هذا بقوله:" ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء:في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة"(١).

وفيما كتب قواعد يسترشد بها الناظر في تناسق الكلام وترابطه منها:١- أنه يرى أن في القرآن نظماً وترتيباً، وتأليفاً، وتركيباً، وصياغة وتصويراً.

٢- يرى أنه لابد من تبيين مزية الفصاحة فقال:"ولا يكفي أن تقولوا:إنه خصوصية في كيفية النظم، وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض ،حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها"(٢).

٣- بين وجه المعجز في القرآن بعد أن ذكر أن من تحدوا إلى عارضته عجزوا فقال :" أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها،ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر وصورة كل عظه وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان "

ثم قال:" وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شانها أويرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول،وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً لم يدع في نفس بليغ منهم - ولو حك بيافوخه السماء- موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول"(٣).

---

(١)انظر(٢٨-٢٩)من دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني بعناية محمد رشيد رضا ،ط دار المعرفة لبنان ١٤٠٢هـ .

(٢)المصدر نفسه (٣٠) .

(٣) المصدر نفسه ٣٢ .

ويتضح بهذا أن وجه الإعجاز عنده هو في ترابط القرآن واتصاله.

٤ـ أنه لابد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة، وعلة معقولة.

٥ـ أن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل.

٦ـ أنه باب من العلم، إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة ومعان شريفة، ورأيت له أثر في الدين عظيما، وفائدة جسيمة، ووجدته سبباً إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل (١).

٧ـ أنه ينبغي النظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً.

٨ـ أنه لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة.

٩ـ أنك لا تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها.

١٠ـ إنما قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه: قلقة ونابية ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبوء عن سوء التلاؤم (٢).

---

(١) دلائل الإعجاز ٣٣-٣٤.

(٢) انظر المصدر نفسه ٣٥-٣٦.

ثم تحدث عن الجمل المؤكدة لما قبلها فقال :

" أنه يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها ،وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها .

ومثل لها بأمثلة منها :

مثال ماهو من الجمل كذلك قوله تعالى :[الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ]قوله [لَا رَيْبَ فِيهِ]بيان وتوكيد وتحقيق لقوله :[ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ] وزيادة تثبيت له وبمنزلة أن تقول:هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب،فنعيد مرة ثانية لتثبته ، وليس يثبت الخبر غير الخبر ، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه وعاطف يعطفه عليه "(١).

ومما هو أصل في هذا الباب أنك ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لإمر عرض فيها صارت به أجنبية مما قبلها ، مثال ذلك قوله تعالى:[ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ]الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ماقبله من قوله [إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ] وذلك أنه ليس بأجنبي منه وذلك من رد العجز على الصدر(٢).

وفي المثال السابق مع أنه غير معطوف لأمر أوجب ذلك وهو أن قوله [إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ] حكاية عنهم أنهم قالوا وليس بخبر من الله تعالى وقوله :[ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ] خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم وإذا كان كذلك كان العطف ممتنعاً لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى معطوفاً على ماهو حكاية عنهم ولإيجاب ذلك أن يخرج من كونه خبر من الله إلى كونه حكاية عنهم(٣).

---

(١) انظر دلائل الإعجاز ١٧٤-١٧٥ .

(٢)المصدر نفسه:١٧٨- ١٧٩ .

(٣)المصدر نفسه ١٧٩ .

القرن السادس واهتمام المفسرين بالتناسب

ثم دخل القرن السادس وكان فيه علماء أجلاء أسهموا في تبين أسرار القرآن ومن أكثرهم أثراً في ذلك :-

١-الزمخشري المفسر (ت٥٣٨هـ).

٢-الإمام عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية (ت٥٤٢هـ).

٣-الإمام أبوبكر بن العربي(ت٥٤٣هـ).

٤-القاضي عياض (ت٥٤٤هـ).

أما الزمخشري فقد بدأ كتابه بقوله:" الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً"(١).

ثم ذكر كلام الجاحظ في أن المفسر لابد وأن يكون قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان ......وذكر من أوصافه أن يكون قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف ووعد بأن يؤسس كلامه على علمي المعاني والبيان (٢).

ومن أعظم ما اشتمل عليه تفسيره الربط بين الآيات كربطه لقوله تعالى :[كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ *١٥١* فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ *١٥٢*] قال :"إما أن يتعلق بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول ،أو بما بعده أي كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني بالطاعة"(٣).

---

(١)انظر مقدمة الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت-٥٣٨هـ)ط .دار المعرفة بيروت لبنان .

(٢) المصدر نفسه ٣/١ .

(٣)المصدر نفسه ١٠٣/١ .

وممن تعرض للتناسب الإمام ابن عطية المفسر حيث قال في مقدمة تفسيره عند حديثه عن الأحرف السبعة :"إن جبريل عارضه بها في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الرصف" (١).

ثم قال:"القول الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه .

ووجه إعجازه : أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة "(٢).

وهو ممن تعرض في تفسيره لربط بعض الآيات كما في قوله تعالى: [إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي] قال:"ذكر المفسرون أنه لما ضرب الله تعالى المثلين المتقدمين في هذه السورة قال الكفار : ماهذه الأمثال؟! الله أجل من أن يضرب هذه أمثالاً فنزلت الآية ونقل عن ابن قتيبة إنكار ضرب المثل في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت وقال قوم هذه الآية مثل للدنيا قال القاضي أبو محمد : وهذا ضعيف يأباه رصف الكلام واتساق المعنى"(٣).

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطيه ٤٥/١ ، ط قطر/المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق ابن عطية الأندلسي(ت -٥٤١) على أصح الأقوال تحقيق مجموعة من العلما مع الشيخ إبراهيم بن عبدالله الأنصاري ط١٤٠١ .

(٢) المرجع نفسه ٥٩/١-٦٠ .

(٣) المرجع نفسه ١/ ٢١١-٢١٢ .

وعند قوله [رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] قال:"وخص هاتين الصفتين لتناسبهما مع حالهما أي السميع لدعائنا والعليم بنياتنا"(١).وهذا ربط لطيف بديع لهذه الآية .

وعند قوله تعالى:[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ](١٤٠/البقرة).

قال ابن عطيه:"اختلف في الشهادة هنا ماهي ؟ فقال مجاهد والحسن والربيع هي مافي كتبهم من أن الأنبياء على الحنفية لا على ماادعوهم وذكر غيرها ثم قال والأول أشبه بسياق معنى الآية"(٢).

وفي هذاتصريح بتفسيره بمايناسب السياق .

وقال عند قوله تعالى:[وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ] رابطاً لها بالآية التي قبلها فقال:"الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله تعالى:[يَهْدِي مَن يَشَآءُ]أي كما هديناكم إلى قبلة إبراهيم وشريعته كذلك جعلناكم أمة"(٣).

وعند قوله تعالى :[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا] قال ابن عطيه:"ذكر الله تعالى الوحدانية ثم الآيات الدالة على الصانع الذي لايمكن إلا أن يكون واحداً ثم ذكر في هذه الآية الجاحدين الضالين تعجباً من سوء ظلالهم مع الآيات لأن المعنى إن في هذه الأمور لآيات بينة ومن الناس مع ذلك من يتخذ"(٤).

وعند قوله تعالى :[وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ ...]الآية قال ابن عطيه : "لما ذكر الله تعالى الندب إلى الإشهاد لمصلحة حفظ الأموال والديون عقب بذكر حال الأعذار المانعة من الكتب وجعل لها الرهن ونص من أحوال الرهن على السفر الذي هو الغالب من الأعذار لاسيما في ذلك الوقت لكثرة الغزو ويدخل في ذلك بالمعنى كل عذر"(٥).

وعند قوله تعالى:[لِّلَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ] قال:ابن عطية : "اختلف الناس في معنى هذه الآية فقال ابن عباس وعكرمة والشعبي : هي في معنى الشهادة التي نهي عن كتمها"(٦).

---

(١)المحرر الوجيز ٤٤٨/١ .

(٢) المرجع نفسه ١/ ٥٠٨ .

(٣) المرجع نفسه ٢/ ٣ .

(٤) المرجع نفسه ٥٤/٢ .

(٥) المرجع نفسه ٥٢١/٢ .

(٦) المرجع نفسه ٥٣٠/٢ .

وتعرض أبو بكر محمد بن عبدالله المعافري لشيء من ربط الآيات في كتابه "أحكام القرآن".

ومما نقل عنه واشتهر قوله في سراج المريدين: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"(١).

وقال: "إذا تأمل اللبيب المنصف هذه التوجيهات تحقق أن الصحيح المراد بقوله: [يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ] كل غيب أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كائن. وقوله: [وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ] عام في كل صلاة فرضا كانت أو نفلاً، وقوله تعالى: [وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] عام كل نفقة، وليس في قوة هذا الكلام القضاء بفرضية ذلك كله، وإنما علمنا الفرضية في الإيمان والصلاة والنفقة من دليل آخر وهذا القول بمطلقه يقتضي مدح ذلك كله خاصة كيفما كانت صفته"(٢).

وعند الآية الحادية والثلاثون - قوله تعالى: [إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]

فيها خمس عشرة مسألة:

المسألة الأولى - قوله تعالى: [إِنَّمَا]، وهي كلمة موضوعة للحصر تتضمن النفي والإثبات؛ فتثبت ماتناوله الخطاب وتنفي ماعداه؛ وقد بينا ذلك في ملجئة المتفقهين ومسائل الخلاف.

وقد حصرت هاهنا المحرم لاسيما وقد جاءت عقب المُحلل؛ فقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ] فأدت هذه الآية الإباحة على الإطلاق، ثم عقبها بالمحرم بكلمة [إِنَّمَا] الحاصرة؛ فاقتضى ذلك الإيعاب للقسمين؛ فلا محرم يخرج عن هذه الآية، وهي مدينة، وأكدتها الآية الأخرى التي روى أنها نزلت بعرفة: [قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا..] إلى آخرها، فاستوى البيان أولا وآخرا(٣).

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١-٣٦.

(٢) المرجع نفسه ١١/١.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٥١/١.

وتعرض القاضي عياض في كتابه الشفا لمزايا نظم القرآن فقال عند قوله تعالى :[إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] وقال [هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى ...] الآية .

فقال :"جمع مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات، ومنها جمعه فيه الدليل ومدلوله وذلك أنه احتج بنظم القرآن،وحسن وصفه،وإيجازه،وبلاغته،وأثناء هذه البلاغة أمره،ونهيه،ووعده،ووعيده،فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معاً من كلام واحد وسورة منفردة ، ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان وأحلى على الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبة على متحفظيه قال الله تعالى:[وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ]ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضاً وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة إلى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله ؛ والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه :فتأمل أول [ص] وما فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وماذكر من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتعجبهم مماأتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وماظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة، وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبى صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسيلتة بكل ماتقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء، كل هذا في أوجز كلام، وأحسن نظام، ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة، وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها إذ أكثرها داخل في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا في إعجازه، وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها ومابعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق"(١).

---

(١) الشفا للقاضي عياض ٢٧٩/١-٢٨٠ .

الرازي أشهر من تناول المناسبة في أواخر السادس وأوائل السابع .

وفي أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع عاش الفخر الرازي الذي أجمعت المصادر(١) على أنه أشهر من ألف في التفسير وتناول الإعجاز في هذا العصر، وأكثر من تناول القرآن وتناسبه في هذه الفترة، فقد أولى هذا العلم الكثير من العناية والرعاية كما سيتضح من خلال الدراسة التطبيقية لتفسير سورة الفاتحة والبقرة من تفسيره "مفاتيح الغيب".

وقد تناول هذه القضية في كتابه" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" ومما قال فيه:" لما ثبت أن عجز العرب إنما كان للمزايا التي ظهرت لهم في نظم القرآن والبدائع التي راعتهم من مبادئ الآيات ومقاطعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة، وتنبيه واعلام وتذكير وجب على العاقل أن يبحث عن تلك المزايا والبدائع ماهي ؟ وكم هي؟ وكيف هي؟ ثم ذكر أوجهاً بلاغية كالوصل والفصل"(٢).

ومن قواعده :

١ ـ أن للتركيب المفيد مراتب كثيرة، والطرف الأعلى أن يقع ذلك التركيب بحيث يمتنع أن يوجد ماهو أشد تناسباً واعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منه (٣).

٢ ـ أن رتب الكلم في الكلام المفيد هو أمر عقلي، ورتب الحروف في الكلمة أمر وضعي (٤).

٣- أكد على ضرورة النظر في الجمل لمعرفة موضع الفصل فيها من موضع الوصل ثم موضع الوصل بالواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم، وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل(٥).

---

(١) البرهان للزكشي ٣٦/١ . والاتقان ٩٧٧ .

(٢) انظر نهاية الإيجاز ٥٤-٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ٦٣-٦٤ .

(٤) المرجع السابق ٦٧ .

(٥) المرجع نفسه ١٩٥ -١٩٦ .

٤ ـ أن النظم لا يحصل في الكلمة الواحدة بل في كلمات بضم البعض إلى البعض وذلك النظم يعتبر فيه :- أحوال المفردات ٢- أحوال انضمام بعضها إلى بعض.

٥ ـ أن معارضة الكلام الفصيح إنما تكون بالإتيان بكلام يشبه الكلام الأول في مواقع مفرداته وفي اتصال بعضها بالبعض فيما يرجع إلى الدلالة على الغرض المطلوب (١) .

ثم تحدث في أقسام النظم فقال :

"إن الجمل الكثيرة إن نظمت نظماً واحداً فلا يخلوا إما أن يتعلق البعض بالبعض أو لا يتعلق فإن لم يتعلق البعض بالبعض لم يحتج واضع ذلك النظم إلى فكر وروية في استخراج ذلك النظم"(٢).

ثم قال :" أما إذا كانت الجمل متعلقاً بعضها بالبعض فهناك تظهر قوة الطبع وجودة القريحة واستقامة الذهن وكلما كان أجزاء الكلام أقوى ارتباطاً وأشد التحاماً كان أدخل في الفصاحة..."

ثم قال:" ليس لهذا الباب قانون يحفظ فإنه يجئ على وجوه شتى"(٣).

لكنه أشار إلى بعض الوجوه المعتبرة في ذلك .

فذكر ثلاثة وعشرين وجهاً منها ١- المطابقة . ٢- المقابلة . ٣-الاعتراض . ٤- الالتفات . ٥- الاقتباس . ٦- اللف والنشر . ٧-التعديد . ٨- تنسيق الصفات . ٩- الإبهام . ١٠ - مراعاة النظير. ١١- وحسن التعليل وغيرها .

ثم قال:" وقد اقتصرنا على هذا القدر من الأمور التي تربط الجمل بعضها بالبعض وإن كان مابقي أكثر مما أوردناه"(٤) .

وسرد أمثلة وتعريفات لبعضها .

أما " التفسير الكبير مفاتيح الغيب " فهو ميدان واسع ضم كثيراً من المناسبات وهو موضوع البحث وسيأتي الحديث عنه وعما فيه إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر نهاية الإيجاز ١٩٨ -١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ١٩٩ .

(٣) المرجع السابق ٢٠٠ -٢٠١ .

(٤) انظر نهاية الإيجاز ٢٠١ - ٢٠٩ .

الباب الثاني : الدراسة النظرية لعلم المناسبات .

المبحث الأول : قواعد علم المناسبة .

المبحث الثاني : المناسبة بين القبول والرد .

المبحث الثالث : فوائد علم المناسبة .

المبحث الرابع : أنواع علم المناسبة .

المبحث الأول : قواعد علم المناسبة .

تبين مما تقدم في الدراسة التاريخية لهذا العلم كثرة العلماء الذين أشادوا به وتناولوه، واتضح أنهم اعتنوا ببيان ترابط القرآن وتناسق آياته وتناسبها في كثير من كتبهم ؛ حتى أنه لا يكاد يخلو مؤلف في تفسير القرآن وإعجازه وبلاغته من بيان تناسقه وترابطه وبيان سبيل ذلك ،وكان من بين الذين تناولوه بالبحث والتقعيد علماء أجلاء ؛ ونظراً للحاجة إلى تدبر القرآن ، والاهتداء بهداه والاهتمام بترابطه ،وخشية من الخطأ في فهم كتاب الله ؛حاولت استخلاص أهم القواعد التي وقفت عليها فيما بين يدي من كتبهم في التفسير، والإعجاز، وعلوم القرآن ؛لأنتفع بها أنا ومن أراد النظر في كتاب الله عز وجل خاصة المتطلب للمناسبات لأن الأمر فيها كما قال الرازي:" ليس لهذا الباب قانون يحفظ فإنه يجئ على وجوه شتى"(١).

وأذكر هنا قواعد كلية عامة تتضمن قواعد جزئية مهمة مستخلصة من كتب العلماء المشارإليهم تعين على تعرف المناسبات في كتاب الله الكريم وهي كما يلي :

١- الوثوق بأن القرآن في الغاية من التناسب وإن لم نقف على وجه تناسبه لأنه تنزيل من حكيم حميد والتناسب والترابط من مقتضيات الحكمة[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً] وبناء على ذلك فإن الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب، وأن تكون الآية نفسها في غاية الترابط .

وقد ذكر البقاعي أنه ينبغي للمتدبر والمتأمل في الترابط " الوثوق بأنه في الذروة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى واللفظ لكونه كلام من جل عن شوائب النقص وحاز صفات الكمال إيماناً بالغيب وتصديقاً للرب قائلاً ماقاله الراسخون في العلم:[رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ] فانفتح له ذلك الباب ولاحت له من ورائه بوارق انوار تلك الاسرار، فسبحان من أنزله وأحكمه وفصله، وغطاه وجلاه وبينه غاية البيان وأخفاه "(٢).

---

(١) نهاية الإيجاز ٢٠٠ -٢٠١ .

(٢) نظم الدرر ١٠/١، ١٤، ١٦ .

وليكن حال المتدبر كما قال د.دراز " وليذكر دائماً أنه بمقياس ما يجده نحو اسلوب القرآن من استحسان أوتوقف إنما يختبر مافي مزاجه اللغوي من صحة أواعتلال ومافي دراسته اللغوية من نقص أوكمال وأنه ليس بأذواق القاصرين من المولدين أمثاله تختبر لغة القرآن "(١).

٢ ـ المناسبة بين آي القرآن ومقاطعه وسوره رابط معنوي تتلقاه العقول بالقبول .

لأن المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول(٢).

قال الجرجاني :"ومع العلم أن العقول تختلف والأفهام تتباين والمعارف تتفاضل إلا أنه لابد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده ،من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة، وعلة معقولة" (٣).

ويقول الخطابي :" والرابط بين المعنى واللفظ ركن مهم من أركان الكلام لأن الكلام إنما يقوم على أشياء ثلاثة :

- لفظ حامل - معنى به قائم - رباط لهما ناظم

وكل مالا يتم الكلام إلا به من صفة وصلة فهو كنفس الكلام"(٤).

ومما تقدم يتضح أنه لابد من وجود وجه يربط بين أجزاء الآية، أو بين الآية والآية،.وأنه لابد أن يكون الوجه معقولاً مقبولاً يتم به ترابط الكلام ، وهو مايعرف بوجه المناسبة أو الجهة الجامعة والتي بين السيوطي والزركشي أن المناسبة ترجع إليها . فالمناسبة إذاهي: الجهة الجامعة التي تُربط بها الآيات والسور، ولا يشترط في الجامع أن يكون من كل وجه بل يكفي التعلق على أي وجه كان"(٥).

---

(١)انظر النبأ العظيم هامش ص ١٦٢ .

(٢) البرهان للزركشي ٣٥/١ .

(٣) انظر دلائل الإعجاز(٣٣-٣٤) .

(٤) بيان إعجاز القرآن للخطابي : ٢٧ .

(٥) انظر البرهان ٤٩/١ والإتقان ٩٧٩/٢ .

ويمكن تقسيم الجامع تقسيماً أولياً إلى نوعين:- إما قرائن لفظية، أومعنوية .

فالقرائن اللفظية هي :

-أن يكون بين المتناسبين رابط عام أو خاص، عقلي، أوحسي، أوخيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات .

-أو يكون بينهما تلازم ذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول،والنظيرين ،والضدين ونحوه .

وزاد الزركشي التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر(١).

وكذا في حال العطف بين الجمل والآيات لا بد من قرائن لفظية ويكون المزج فيها لفظياً .

أما القرائن المعنوية فهي دعامة تؤذن باتصال الكلام وربطه .

قال الزركشي فيه :"وهذا مزج معنوي تنزل الثانية منزلة جزئها الثاني وله أسباب:

كالتنظير، والمضادة، والاستطراد، وحسن التخلص "(٢).

وأشارالرازي إلى بعض هذه الوجوه فذكر منها :

١- المقابلة .٢- الالتفات .٣-اللف والنشر ٤- تنسيق الصفات ٥- مراعاة النظير، وأتبعها بأمثلة لها(٣).

ومن أمثلة ما تتلقاه العقول بالقبول من المناسبات :

ما تناقله علماء التفسير والبلاغة من التناسب في قوله تعالى: [أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ *أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (*)]

ثم قال: فانظر إلى قوله تعالى في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية، لكونهم لم ينظروا القرون الهالكة وإنما سمعوا بها[أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ] كما قال في التي بعدها[أَوَلَمْ يَرَوْا] وقال تعالى بعد الموعظة السمعية[أَفَلَا يَسْمَعُونَ] وبعد الموعظة المرئية[أَفَلَا يُبْصِرُونَ] لأن الزرع مرئي لا مسموع ليناسب آخر كل كلام أوله(٤).

---

(١) انظر البرهان ٤٩/١ .

(٢)البرهان/٣٥، والاتقان للسيوطي ٩٧٨/٢ .

(٣)البرهان ٤٦/١-٥٠، الإتقان ٩٧٨/٢-٩٧٩ .

(٤)بديع القرآن لابن ابي الاصبع المصري ١٤٩/١/ وقدتقدم في ص٦ .

(*) السجدة/ ٢٦، ٢٧

وكما عند قوله تعالى [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]

قال الرازي :في مناسبة هذه الآية :"إن الله تعالى لما قدم أحكام الفرق الثلاثة ،أعني المؤمنين والكفار والمنافقين أقبل عليهم بالخطاب وهو من باب الإلتفات و[إياك نستعين]وذكر أن الآيات المتقدمة كانت في حكاية أحوالهم وأما هذه الآيات فإنها أمر وتكليف "(١).

٣ ـ استنباط المناسبة نوع من التفسير له شرف التفسير وموضوعه، فيشترط أن تكون هذه المناسبات المستنبطة مما تحتمله أساليب اللغة، وألا يصطدم بأصول الدين الكلية وقواعده المقررة.

فهو نوع من التفسير له ما في التفسيرمن شرفه وموضوعه وأنه يشترط للباحث فيه مايشترط للمفسر خاصة الإلمام باللغة والنحو وإدراك المعاني والبيان والبديع وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم (٢).

والكلام فيه هو من التدبر المأمور به متى ماسلم القول من الجهل والهوى والتكلف والحال أن القول بالتناسب هو كما قال د.دراز :" وهذا الباب من أبواب البحث والاستنباط الذي لايمس أصلاً من أصول الدين ، لايحل حراماً ،أويحرم حلالاً ،لن يزال مفتوحاً لكل مسلم أعطاه الله فهماً في كتابه على شريطة القصد والأناة في سير العقل ومع الاستضاءة في هذا السير بمصباحين من اللغة والشرع"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٨/٢ .

(٢) انظر الإتقان١٢٣/٢

(٣) انظر هامش النبأ العظيم /١٧١ .

٤ ـ الإلمام بعادات العرب وأساليبهم ولغتهم وطريقتهم في خطابهم ونظم كلامهم أساس لمعرفة ترابط القرآن و نظمه ومن ذلك :

ضرورة معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل (١).

لأن القرآن لما نزل على العرب وبلسانهم راعى بعض أحوالهم رحمة من الله بهم وإقامة للحجة عليهم .

كما عند قوله تعالى[فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآئَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً *٢٠٠*]

روى ابن عباس أن العرب كانوا عند الفراغ من حجتهم بعد أيام التشريق يقفون بين مسجد منى وبين الجبل، ويذكر كل واحد منهم فضائل آبائه في السماحة والحماسة وصلة الرحم ويتناشدون فيها الأشعار ويتكلمون بالمنثور من الكلام ويريد كل واحد منهم من ذلك الفعل حصول الشهرة والترفع بمآثر سلفه فلما أنعم الله عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لربهم كذكرهم لآبائهم .

قال الرازي :" اعلم أن الله تعالى بين أولاً تفصيلا مناسك الحج ثم أمر بعدها بالذكر فقال :[فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ] ثم بين أن الأولى أن يترك ذكر غيره وأن يقتصر على ذكره فقال[فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآئَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً] ثم بين بعد ذلك الذكر كيفية الدعاء فقال :[فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا]وما أحسن هذا الترتيب "(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٥-١٨٣ .

(٢) المصدر السابق ٥-١٨٦-١٨٧ .

(٣) المصدر السابق ٥/ ١٢٥ .

٥ ـ المعرفة بنظم الكلام العربي وبلاغته طريق لمعرفة نظم القرآن، وإدراك ماتميز به نظم القرآن كالوعظ في ثنايا الآي والمقاطع وأن ذلك يزيد الكلام تناسباً واتصالاً .

قال الجاحظ: "فلا يعرف نظم القرآن إلا من عرف صنوف التأليف وعرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام "(١).

وكما تقدم أن القرآن نزل بلغة العرب وأنه يفهم على طريقتهم فلا بد من فهم لسانهم ومن أعظم أركان كلامهم البيان والبلاغة وهو مما اشتمل عليه القرآن الكريم ويعرف بـ"نظم القرآن ".

وكلامهم إنما يقوم على أشياء ثلاثة :

- لفظ حامل. - معنى به قائم. - رباط لهما ناظم.

فلا بد من فهم للسانهم بدون إفراط :إغراق في الباطنية ولا تفريط أو تقصير في فهم اللسان بل على التوسط والإعتدال . لأن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل وهذا معلوم في علم المعاني والبيان كما نبه على ذلك الشاطبي (٢).

ومما يدخل في ذلك :ما نبه عليه الباقلاني .

ـ"المعرفة بوجه الخلوص من شيء إلى شيء، من احتجاج إلى وعيد ومن إعذار إلى إنذار، ومن فنون من الأمر شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم، ومتباعدة تتقارب بعلي الضم، ليبين وجه الوقوف على شرف الكلام "(٣).

ـ ومايدخل في علم المعاني من مراعاة الفواتح، والخواتم، والمطالع، والمقاطع، والوصل، والفصل .

ـ وقد نبه الرازي على أن الجمل الكثيرة إن نظمت نظماً واحداً فلا يخلو إما أن يتعلق البعض بالبعض أو لا يتعلق فان لم يتعلق البعض بالبعض لم يحتج الناظر إلى فكر وروية في استخراج ذلك النظم.

---

(١) انظر مجموع رسائل الجاحظ، رسالة في نظم القرآن .

(٢) انظر الموافقات ٣ /٣٨٣ ، ٤٠٩ .

(٣)إعجاز القرآن للباقلاني (١٩٧).

- أما إذا كانت الجمل متعلقاً بعضها بالبعض فهناك تظهر قوة الطبع وجودة القريحة واستقامة الذهن وكلما كانت أجزاء الكلام أقوى ارتباطاً وأشد التحاماً كانت أدخل في الفصاحة .

مع أن النظم لا يحصل في الكلمة الواحدة بل في كلمات بضم البعض إلى البعض وذلك النظم يعتبر فيه :- أحوال المفردات،وأحوال انضمام بعضها إلى بعض (١).

كما نبه الباقلاني إلى أن الوعظ ونحوه في ثنايا الآيات والمقاطع لا يمنع التناسب والاتصال بل إن الوعظ خلال القصص القرآني ميزة يقوى بها السياق و لا يتبتر معها الكلام ولا يتبدد .

وذكر الباقلاني ذلك مشيداً بمباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب، ومزيته عليها في النظم والترتيب، وتقدمه عليها في كل حكمة وبراعة (٢).

٦ - الاعتناء بسياق القرآن ومراعاته لازم من لوازم بحث المناسبة وشرط للترابط الصحيح ؛فإن العرب أولته العناية واعتبرت الكلمة بسياقها الذي هي فيه ، قال الشافعي:"إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها ، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها... وأن تبتدئ الشيء من كلامها يُبين أول لفظها فيه عن آخره وتبتدئ الشيء يُبين آخر لفظها منه عن أوله"(٣).

سواء في آية أو آيات ،أو قضية ، أو مقطع من السورة .

وأكد العلماء على أهميته في كلام الله وأخذوا به لإرشاده للمعنى الصحيح." كالإلتفات إلى أول الكلام وآخره ، بحسب القضية وما أقتضاه الحال فيها ، لأنه لا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض، ولأن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد فلا محيص عن رد آخر الكلام على أوله وأوله على آخره وبذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف"(٤).

---

(١) انظر نهاية الإيجاز ٥٤-٥٩ .

(٢)إعجاز القرآن للباقلاني (٢١٠-٢١١) .

(٣) الرسالة للإمام الشافعي(٥١-٥٢) تحقيق محمود شاكر.

(٤)انظر الموافقات ٣/٣ .

وقال أيضاً:"والمتتبع للسياق يرى أنه إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب في لواحقه أو سوابقه أوقرائنه وبالعكس،وكذلك الترجية مع التخويف.و ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار، وبالعكس "(١).

وقد أكد الرازي هذا في مواضع من تفسيره.

فذكر الرازى أن قوله تعالى:"[الٓمٓ] جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و[ذَٰلِكَ الْكِتَابُ] جملة ثانية، و[لَا رَيْبَ] ثالثة، و[هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ] رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعناق بعض، الثانية متحدة بالأولى وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة..."(٢).

وأشار الرازي إلى مقارنة الترغيب للترهيب والوعد للوعيد في كتاب الله في مواضع من تفسيره لسورة البقرة ثم بين الحكمة في ذلك فقال:اعلم أنه سبحانه وتعالى ماذكر في القرآن آية في الوعيد إلا ويذكر بجانبها آية في الوعد وذلك لفوائد:ـ

أحدها:ـ"ليظهر بذلك عدله سبحانه لأنه لما حكم بالعذاب الدائم على المصرين على الكفر وجب أن يحكم بالنعيم الدائم على المصرين على الإيمان.

وثانيها:ـ أن المؤمن لا بد وأن يعتدل خوفه ورجاءه.وثالثها:ـ أنه يظهر بوعده كمال رحمته،وبوعيده كمال حكمته فيصير ذلك سبباً للعرفان"(٣).

---

(١) انظر الموافقات ٣٥٨/٣.

(٢) انظر مفاتيح الغيب ٢٢/٢.

(٣)انظر المصدر نفسه ٣-١٦٢.

٧ - الاستعانة بأسباب التنزيل في استنباط الرابط فيما له سبب نزول من آي القرآن الكريم .

قال الزركشي:" وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق ومثل له بقوله تعالى:[إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا] (النساء /٥٨).

فإن مناسبتها للآية التي قبلها وهي قوله [أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا](النساء/٥١).

أن كعب بن الأشرف كان قدم إلى مكة فسألوه: من أهدى سبيلا ؟ النبي صلى الله عليه وسلم أو هم ؟ فقال : أنتم، فتلك الآية في حقه وحق من شاركه في تلك المقالة وهم أهل الكتاب يجدون عندهم في كتابهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته، وقد أخذت عليهم المواثيق ألا يكتموا ذلك وأن ينصروه، وكان ذلك أمانة لازمة لهم فلم يؤدوها وخانوا فيها ؛وذلك مناسب لقوله تعالى: [إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا]، قال ابن العربي في تفسيره: وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقولهم إن المشركين أهدى سبيلا فكان ذلك خيانة منهم فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات"(١).

وبسبب النزول تحمل الآية على أصح وجوهها،ويتبين كثيراً من المواضع التي يختلف مغزاها على الناظر (٣).

ولذلك أكد العلماء على معرفته حتى قال الشاطبي :"ومن أراد علم القرآن فعليه أن يعرف سبب النزول"(٤).

ووافقه على ذلك الزركشي ثم بين أن وجه المناسبة يقدم على سبب النزول لأنها المصححة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول إلا إذا توقفت على معرفة السبب .

---

(١) انظر البرهان للزركشي ٢٥/١ -٢٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ١/ ٢٦ .

(٣) انظر الموافقات ٣٤٧/٣-٣٥٠ .البرهان للزركشي ١/ ٢٥ .

(٤) الموافقات ٣٥١/٣ .

٨ ـ الاهتمام بمعرفة مقصود السورة المطلوب إدراك ترابطها لأن معرفة المقصود من السورة يفيد معرفة المقصود من جملها .

أو المعرفة بمقصود السورة وما سيقت للحديث عنه سبيل لإدراك ترابطها.وكذلك آياتها، ويدخل في هذا الاهتمام بوحدة موضوع السورة.

ويرى بعض العلماء أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء يظهر المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه (١).

ومن ذلك الاهتمام بموضوع السورة كالسور المبدوءة بالحروف المقطعه فإن الباقلاني قال:"إذا تأملتها فهي من أولها إلى آخرها مبنية على لزوم حجة القرآن والتنبيه على وجه معجزته صلى الله عليه وسلم"(٢).

وقد رتب البقاعي أسساً للنظر في مناسبات السورة أخذها عن شيخه المشدالي ،قال فيها:"الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر فيما يلي :

١ ـ في الغرض الذي سيقت له السورة .

٢ ـ فيما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات .

٣ ـ النظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب.

٤ ـ النظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن وفي موضع آخر قال: ـ بتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب معرفة مقصودها"(٣).

وقد أضاف الشاطبي قواعد النظر في سورة تتناول أكثر من معنى فقال:"أما السورة ذات القضايا لها اعتباران :أ-اعتبار من جهة تعدد القضايا فتكون كل قضية مختصة بنظرها ب- الاعتبار الثاني :من جهة النظم الذي وجدنا عليه السورة اذ هو ترتيب بالوحي لا مدخل فيه لآراء الرجال وجميع ذلك لا بد من النظر في أول الكلام وآخره ـ لأن اعتبار النظم في السورة لايتم به فائدة إلا بعد استفاء جميعها بالنظر وأن الاقتصار على بعضها غير مفيد غاية المقصود"(٤).

---

(١) الموافقات ٤١١/٣-٤١٥ .

(٢) اعجاز القرآن للباقلاني ٨-٩ .

(٣) انظر نظم الدرر ١٨/١-١٩ .

(٤) انظر المصدر نفسه٣٦بتصرف .

وقد أرشد د .محمد عبد الله دراز إلى كيفية الوقوف على ترابط سورة تتناول أكثر من معنى بما يلي :–

١- تمعن كيف بدئت ؟ ٢- كيف ختمت ؟ ٣- كيف تقابلت أوضاعها وتعادلت ؟ ٤- كيف تلاقت أركانها وتعانقت ؟ ٥- كيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ؟ ٦- كيف واطئت أولاها أخراها ؟

فستجد ترابطها المحكم تمام الإحكام (١).

٩ ـ الترتيب المصحفي للآيات والسور"ترتيب التلاوة "ركن لإثبات التناسب وهو توقيف من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إجماعاً في الآيات وعلى الراجح في السور.

والترتيب من أركان القول بالمناسبة قال الزركشي:"عن علم المناسبة، وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي"(٢).

وقال ابن تيمية في ترتيب الآي:" وأما ترتيب الآيات فهو منزل منصوص عليه فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم"(٣).

ونقل السيوطي عن جمع من العلماء منهم ابن الأنباري قوله :

"أنزل الله تعالى القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة فكانت السورة تتنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر، ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، على موضع الآية والسورة فاتساق السور، كاتساق الآيات والحروف، كلهن عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قدم سورة أو أخرها ،فقد أفسد نظم القرآن ".

وقريب منه مانقله عن الكرماني،والطيبي وغيرهم .

قال السيوطي :"والمختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث :‹أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل. أخرجه أحمد وغيره›"(٤).

فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) النبأ العظيم/١٥٤ .

(٢) انظر البرهان للزركشي ٣٨/١ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٣٩٦/٣١ .

(٤) انظر الإتقان ١٩٥/١- ١٩٧ .

١٠- ملاحظة ترتيب نزول القرآن مما يعين على فهمه، فإن المدني يبنى على المكي، مع أن الزمان لا يشترط في المناسبة، ولأن ترتيب الآيات والسور في مواضعها بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم حسب نزول الوحي فإنه ينبغي للناظر في ترابط القرآن أن يهتم بترتيب النزول والمكي والمدني .

قال الشاطبي:"إن اعتبار الترتيب في النزول مفيد في فهم الكتاب".

وقال :"إنه قد دل الاستقراء على بناء المدني على المكي وذلك إنما يكون ببيان مجمل أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق أو تفصيل مالم يفصل أو تكميل مالم يظهر تكميله".

- "وإذا تنزلت إلى سائر السور بعضها مع بعض في الترتيب وجدتها كذلك حذو القذة بالقذة فلا يغيبن عن الناظر في الكتاب هذا المعنى فإنه من أسرار علوم التفسير، وعلى حسب المعرفة به تحصل له المعرفة بكلام ربه سبحانه"(١).

ثم إن اعتبار الترتيب في النزول مفيد في فهم الكتاب والسنة.

ثم أكد على عدم قصر النظر على سورة بل ينظر فيما يسبقها في الترتيب الزماني والمكاني فقال:" كيف يتأتي بناء المدني على المكي وأن كلاً منهما مبني بعضه على بعض إذا أخذت كل سورة على حدتها غير منظور فيها لما ورد في غيرها أين يكون البيان والنسخ ؟ ومعلوم أنه لا يلزم في البيان ولا في النسخ أن يكون المنسوخ والناسخ والمبين والبيان في سورة واحدة "(٢).

وبين د. دراز أن "تجاور شيئين في المكان يكون دعامة لاقترانهما في النظم والسياق"(٣).

- وأن الاتفاق في الزمان لمعنيين دعامة ورابط لإقترانهما.

- وأشار الزركشي إلى أن الزمان لا يشترط في المناسبة لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها؛ والآيات كانت تنزل على أسبابها ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعها في المواضع التي علم من الله تعالى أنها مواضعها ؛ثم قال : ولا يرد على هذا أن قصة كعب ابن الأشرف كانت عقب بدر ونزول [إن الله يأمركم] في الفتح أو قريب منها(٤).

---

(١) انظر الموافقات ٤٠٦/٣-٤٠٧ بتصرف يسير .

(٢) انظر الموفقات وتعليق دراز ٤٢٠/٣ .

(٣)النبأ العظيم ص١٥٨- ص١٦٣ .

(٤) انظر البرهان نفسه ١/ ٢٦ .

١١ ـ العناية بفواتح السورة وخواتمها ومقاطعها وفوصلها لمعرفة ترابط أجزاءها والوقوف على وجه اتصالها بالآية فهي إما مؤكدة أومبينة أو متممة لها .

وقد تعرض للفواصل وضرورة مناسبتها لما قبلها الزركشي:

فقال:"وهذا الباب يطلعك على سر عظيم من أسرار القرآن، فاشدد يديك به".

ثم قال:"واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً"

وقال نقلاًعن الزمخشري :"أنه لاتحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها، على النهج الذي يقتيضيه حسن النظم وإلتئامه"(١)

ومن أمثلة ذلك:ما قاله الرازى عن تفسيره للآيات التي فيها وصف المنافقين في صدر سورة البقرة في ختم آية الأمر بالإيمان في قوله تعالى :[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ السُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ *١٣*] بقوله[وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ]وفي ختام آية النهى عن الإفساد وإثبات الفساد للمنافقين بقوله[وَلَٰكِن لا يَشْعُرُونَ]وذلك عند قوله تعالى :[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصلِحُونَ *١١*أَ لَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ *١٢*]

حيث قال :" إنما قال في آخر هذه الآية [لا يعلمون] وفيما قبلها [لا يشعرون] لوجهين:- (الأول) أن الوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل أمر عقلي نظري ، وأما أن النفاق وما فيه من البغي يفضي إلى الفساد في الأرض فضروري جار مجرى المحسوس.

(الثانى) أنه ذكر السفه هو جهل ، فكان ذكر العلم أحسن طباقا له والله أعلم"(٢)

وهذا الذى ذكره الرازى رحمه الله مستفاد من كلام صاحب الكشاف، على هاتين الفاصلتين فقد أطال الزمخشرى في الكلام عليها وما نقلته عن الرازى هو مجمل له .

والمناسبة في ختام آية الأمر بالإيمان بقوله تعالى [ولكن لا يعلمون] وفي ختام آية النهى عن الإفساد وإثبات الفساد للمنافقين بقوله [ولكن لا يشعرون].

---

(١) انظر البرهان ٧٨-٧٩ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ٦٨/١ .

١٢- أما فواتح السور وخواتمها فقد قرر الباحثون في التناسب مناسبة السورة لما قبلها ومناسبة أول السورة لآخر ماقبلها معتمدين على أن ترتيبها توقيفي كما تقدم وقد ذكر السيوطي اهتمام عدد من العلماء بهذا النوع منهم أبو جعفر بن الزبير الغرناطي في كتابه البرهان(١).

ومثل له بموافقة أول السورة لآخر السورة التي قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة، وذكر أن سورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الاسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران بمنزلة الجواب من شبهات الخصوم .

قال :" وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ،ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى ومثل له بافتتاح البقرة بقوله تعالى :[الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ] إشارة إلى الصراط في قوله تعالى: [إِهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ]كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب،وهذا معنى حسن يظهر فيه إرتباط سورة البقرة بالفاتحة"(٢).

وقد اعتمد ذلك الرازي كما عند قوله تعالى:[لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*٢٨٤*

حيث قال:" في كيفية النظم وجوه (الأول) قال الأصم : إنه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الأصول ، وهو دليل التوحيد والنبوة ، وأشياء كثيرة من علم الأصول ببيان الشرائع والتكاليف ، ...ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الآية على سبيل التهديد ..."(٣).

---

(١) الاتقان ٢/ ٩٧٦ .

(٢)انظر المصدر نفسه ٩٨٦/٢ -٩٨٧ ،ونقل بعضه عن البرهان ١ /٣٨ .

(٣) مفاتيح الغيب ٩٤/٣ .

١٣- النظر في السنة أمر مهم لأنها شرح وبيان للقرآن .
وهي أولى ما يفسر به كتاب الله ومتى أراد المتدبر أن يربط آية بآية أوسورة بسورة فعليه أن ينظر هل ورد في السنة مايدل على ذلك فيعتمده ،أو ما يمنعه فيمتنع عنه ؛ لأن السنة شارحة ومبينة للقرآن قال الشافعي :"وقد سن رسول الله مع كتاب الله ،وسن فيماليس فيه بعينه نص كتاب .وكل ماسن فقد ألزمناالله اتباعه "(١).
ويقول الشاطبي :"بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان صحيح لا إشكال في صحته ؛ لأنه لذلك بعث قال تعالى:[وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ] ولا خلاف فيه "(٢).
فاتضح أنه لا غنى عن السنة عند تفسير القرآن :
وبعد فهذا مجمل للقواعد المتقدمة إذ هي على النحو التالي:-
١ - المناسبة بين آي القرآن ، وسوره،رابط معنوي تتلقاه العقول بالقبول ، ويعرف بالجهة الجامعة .
٢- الوثوق والتسليم بأن القرآن في الذروة والغاية من إحكام الربط وإن لم ندرك وجه ترابطه .
٣ - الإلمام بعادات العرب وأساليبهم في خطابهم أساس لمعرفة ترابط القرآن .
٤ - المعرفة بنظم الكلام العربي وبلاغته سبيل لمعرفة نظم القرآن، وإدراك ماتميز به نظم القرآن كالوعظ في ثنايا الآي والمقاطع وأن ذلك يزيد الكلام تناسباً واتصالاً .
٥ - الاعتناء بسياق القرآن ومراعاته لازم من لوازم بحث المناسبة وشرط للترابط الصحيح.
٦ - الاستعانة بأسباب التنزيل في استنباط الرابط فيما له سبب نزول من آي القرآن الكريم .
٧ - المعرفة بمقصود السورة وماسيقت للحديث عنه سبيل لإدراك ترابطها.
٨ - التركيز على الترتيب المصحفي للآيات والسور"أي ترتيب التلاوة " ركن لإثبات التناسب وهوتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم إجماعاًفي الآيات وعلى الراجح في السور .

---

(١)انظر الرسالة للإمام الشافعي :٨٨-٨٩ .

(٢) الموافقات :٣/٣٣٧ .

٩ ـ ملاحظة ترتيب نزول القرآن مما يعين على فهمه ، فإن المدني يبنى على المكي ، مع أن الزمان لا يشترط في كل مناسبة .

١٠ ـ العناية بفواتح السورة وخواتمها ومقاطعها وفواصلها سبيل لمعرفة ترابط أجزائها وإتصالها بموضوع السورة .

١١ ـ الاتفاق في زمن نزول معنيين دعامة ورابط لإقترانهما في النظم وتجاور شيئين في المكان سبيل لاقترانهما في النظم والسياق.

١٢ ـ النظر في السنة أمر مهم لأنها شرح وبيان للقرآن .

١٣ ـ استنباط المناسبة نوع من التفسير له شرف التفسير وموضوعه ، فيشترط أن تكون هذه المناسبات المستنبطة مما تحتمله أساليب اللغة ، وألا يخالف أصول الدين الكلية وقواعده المقررة .

١٤ ـ أن هذاالباب من أبواب التدبر المأمور به لالتماس الحكمة على شرط عدم الجزم بأن هذا هو مراد الله تعالى، مع البعد عن التكلف والتعسف .

١٥ـ أن هذا الباب من أبواب البحث والاستنباط الذي لا يمس أصلاً من أصول الدين ، لا يحل حراماً ،أويحرم حلا لاً،لن يزال مفتوحاً لكل مسلم أعطاه الله فهماً في كتابه على شريطة القصد والأناة في سير العقل، ومع الاستضاءة في هذا السير بمصباحين من اللغة والشرع(١).

---

(١)انظر هامش النبأ العظيم /١٧١

المبحث الثاني : المناسبة بين القبول والرد وفيه:

القائلون بالمناسبة .

والمانعون .

الرد على المانعين ، وبيان الراجح.

المناسبة بين القبول والرد: (١)

تقدمت الإشارة إلى أنه قد قال بالمناسبة ومثل لها علماء أجلاء كابن قتيبة، والخطابي، والباقلاني، وتعرض لها ابن جرير، وابن المنذر وأكدها في تفاسيرهم جمع من المفسرين كالزمخشري، والرازي، وأقرها البغوي، وابن تيمية، وابن كثير، ومضى على ذلك جمهور العلماء والمفسرين حتى نقل الزركشي عن بعضهم قوله: "إنها متفق عليه في مجاري كلام الله تعالى "(٢).

وخالف في ذلك بعض العلماء فانقسم الناس فيها إلى قسمين:

---

(١) وقد صور الخلاف فيها محقق 'البرهان' لابن الزبير بقوله: "إن الناس إزاء علم المناسبة بين منتصر غلا في تكلف المناسبة حتى فيما لا مناسبة فيه، حجته في ذلك أن ترتيب القرآن في آياته وسوره توقيفي ولا يخلو ذلك من أسرار من أجلها الإعجاز بالنظم فطفق يثبت ذلك بكل الوسائل.

وبين مقصر أغفل التنبيه حتى إلى ما ظهرت ووضحت مناسبته، مستنده أن آي القرآن وسوره على حسب الوقائع المتفرقة، والأزمان المتباعدة، ومن التكلف المناسبة بينها.

وبين معتدل توسط في ذلك، ونبه إلى المناسبة في مواطن ظهورها ورغب عن التكلف فيما لا سبيل فيه إلى المقاربة، ودليله في ذلك أن المناسبة بين الآيات والسور - وإن سلمنا بوجودها - فهي مترددة بين الظهور والخفاء، فلا داعي إلى ركوب متن التكلف والتمحل فيما خفي منها".

البرهان في تناسب سور القرآن ٦٣/٦٤.

بل لام بعض العلماء من أغفل المناسبة ولم يعتن بها منهم حتى قال الرازي: "إني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر".

مفاتيح الغيب ٧/١٢٨.

(٢) انظر البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٦/٥٢.

الأول: قسم قبلوا المناسبة، وساروا في تناولها والحديث عنها في القرآن الكريم على القواعد التي سبق ذكرها في قواعد المناسبة (*).

القسم الثاني :- القائلون بالمنع "المانعون "ويشمل :

١- من أقرها في صور ومنعها في أخرى وحقه أن يلحق بالقسم الأول لكنه دلل على منع المناسبة في صور بأدلة اعتمد عليها من منع المناسبة جملة؛ فألحق بهم .

٢ - من أنكر الاشتغال بها وعده من تضييع الأوقات.

٣ - من نفى وجودها في القرآن و قال بالاقتضاب وهو: الانتقال إلى غير ملائم .

أما الصنف الأول: وهم الذين وافقوا على بعض صورها فأقروها في مواضع وصور، وخالفوا في بعض فمنعوها، كالإمام عبدالعزيز بن عبدالسلام حيث ركز على التناسب اللفظي أكثر من تركيزه على المعنوي وكان مفهوم التناسب عنده بين الجزء والجزء يعني اتحادهما أو تماثلهما في قضية واحدة مع التماسها بين المعاني المتجاورة خاصة .

(*)وقصر بعض المشتغلين بالمناسبة في تطبيق القواعد فمالوا إلى شيء من التكلف أو التعسف كالذين اشترطوا أن تكون الصلة بين الجزئين المراد ربطهما هو الاتحاد أو التماثل أو التداخل وغير ذلك من الصلات القريبة الواضحة،والحق أنه يربط بين الجزئين بأي وجه معقول تقبله العقول حتى ولو كان هو التضاد ،أو التناظر ونحو ذلك كما تقدم في قواعد المناسبة،والأمر كما قال السيوطي:" لا يشترط في الجامع أن يكون من كل وجه بل يكفي التعلق على أي وجه كان."

ومثلهم الذين ضيقوا دائرة البحث فجعلوها في المعاني المتجاورة خاصة وهو خطأ بين ،ومثلهم الذين يحاولون الربط بين قضية أو قضايا في السورة من غير نظر لموضوع السورة ومقاصدها، وقد ذكر الشيخ محمد دراز أن جهل هذا يؤدي إلى التكلف والتعسف . انظر الإتقان ٩٧٩/٢، النبأ العظيم ١٦٠ .

قال العز بن عبد السلام رحمه الله :

"واعلم أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعاً مبترا وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه إرتباط أحد الكلامين بالآخر ومن ربط ذلك فهو متكلف لمالم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل على الرسول عليه السلام في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة وما كان كذلك لايتأتى ربط بعضه ببعض إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع إختلاف العلل والأسباب ولذلك أمثلة :

أحدها - أن الملوك يتصرفون في مدة ملكهم بتصرفات مختلفة متضادة وليس لأحد أن يربط بعض ذلك ببعض .

المثال الثاني - الحاكم يحكم في يومه بوقائع مختلفة وأحكام متضادة وليس له أن يلتمس ربط بعض أحكامه ببعض .

المثال الثالث - أن المفتي يفتي في مدة عمره أو في يوم من أيامه أو في مجلس من مجالسه بأحكام مختلفة وليس لأحد أن يلتمس ربط بعض فتاويه ببعض .

المثال الرابع - أن الإنسان يتصرف في خاصته بطلب أمور موافقة ومختلفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض والله أعلم والحمد لله وحده"(١).

ويظهر مما تقدم من كلام العز أنه مقر للربط آخذ بالتناسب لكنه اشترط للقول بالمناسبة : اتحاد الأمر وارتباط أوله بآخره .

وقد بين ما لا يمكن ربطه في نظره وأن من يقوم بربطه متكلف ولا يربط حينئذ إلا بوجه ركيك .

---

(١) انظر الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص٢٢١) لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠ هـ) تصوير دار الحديث القاهرة .

٢-الصنف الثاني :وهم الذين اعتبروه علماً متكلفاً وأنكروا على المفسرين الاشتغال به كالإمام محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) ومن تابعه كالشيخ محمد بن عبدالله الغزنوي (ت ١٢٩٦هـ) والاستاذ محمد فريد وجدي (ت١٣٧٣هـ).

ويجمع قولهم ما أورده الشوكاني في تفسيره (١) ومنه:

أولاً- أن المفسرين حين ذكروا المناسبة بين الآيات جاءوا بعلم متكلف لا فائدة منه، وأنهم تكلموا فيه بمحض الرأي المنهي عنه.

ثانياً- أنهم ساروا على ترتيب 'التلاوة' الموجود في المصاحف ،مع أن القرآن نزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله .

ثالثاً- أن كل عاقل يدرك أن القرآن عند نزوله تضمن أشياء مختلفة :- منها

١- اختلاف الحوادث التي نزل القرآن بشأنها فقد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالاً، وتحليل أمر كان حراماً وإثبات أمر لشخص أوأشخاص تناقض ما كان قد ثبت قبله .

٢- تنوع الخطاب فتارة مع المسلمين وتارة مع المشركين، وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر .

٣- تنوع الموضوعات فحيناً في عبادة ،وحيناً في معاملة ،ووقتاً في ترغيب ووقتاً في ترهيب، وآونة في بشارة وآونة في نذارة ،وطوراً في أمر دنيا وتارة في أمر آخرة ، ومرة في تكاليف آتية ومرة في أقاصيص ماضية .

رابعاً- يرى الشوكاني أن طلب المناسبة في أمور متباينة يفتح أبواب الشك والريب على من في قلبه مرض ،أوكان مرضه الجهل والقصور.

ومماقال :"فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا الأمر لابد منه، وأنه لايكون القرآن بليغاً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة ،وتبين الأمر الموجب للارتباط ،فإن وجد الاختلاف بين الآيات رجع إلى ماقاله المتكلمون في ذلك ،فوجده تكلفاً محضاً وتعسفاً بيناً ،انقدح في قلبه ماكان في عافية وسلامة منه .

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ٧٣،٧٢/١ .

خامساً ـ أن ترتيب المصحف ليس حسب النزول بل هو من عمل الصحابة قال: "فأي معنىً لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ماأنزل الله متأخراً ،وتأخر ما أنزل الله متقدماً؟! فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة ."

سادساً ـ أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي فأنزله بلغة العرب وسلك فيه مسالكهم في الكلام وجرى فيه مجاريهم في الخطاب ومنها الإتيان بفنون مختلفة وطرائق متباينة في المقام الواحد فضلاً عن المقامات .

سابعاً ـ قارن المشتغل بتناسب آي القرآن بمن يلتمس المناسبة بين ماقاله رجل من البلغاء في خطبه ورسائله وإنشاءاته، وبالباحث عن المناسبة بين ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد في المدح والهجاء،والتشبيب والرثاء.

الصنف الثالث : ـ من قال:إن الأصل عدم التناسب ،وزعم أن القرآن جاء على طريقة العرب في'الاقتضاب' وهو أبو العلاء بن غانم. حيث قال: "إن القرآن إنما وقع على الاقتضاب،الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم "(٢).

أي أن قارئ القرآن يجد السورة تشمل عدة موضوعات لا علاقة بينها ولا رابط.

---

(١) انظر فتح القدير مختصراً ٧٢/١-٧٣ .

(٢) انظر الإتقان ٩٨٠/٢ . والاقتضاب ضد التخلص وذاك أن يقطع كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالأول ذكر صاحب المثل السائر قول أبي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي إن كتاب الله خال من التخلص . وقال : وهذا القول فاسد لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة كالخروج من الوعظ والتذكير والأنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد ، ومن الحكم إلى متشابه ، ومن صفة لنبي مرسل وملك منزل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد بلطائف دقيقة آخذ بعضها برقاب بعض " المثل السائر ١٢٨/٢ .المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير . قدمه وحققه وعلق عليه د.أحمد الحوفي و د.بدوي رضا ط مكتبة نهضة مصر ومطبعتها مصر الأولى . ١٣٨هـ -١٩٦٠ م

وبالنظر في أقوال من تقدم يمكن ضم الأصناف لبعضها فتصبح قسمين:

القسم الأول :ـ القائلون بالمناسبة :

وهم الذين اشتغلوا بها وأقروها وبينوا مكانتها في كتاب الله ومكانها، سائرين في بيانها على القواعد التي سبق ذكرها في قواعد المناسبة.

القسم الثاني :ـ المانعون :

ويضم من أنكر وجودها في القرآن، ومن زعم أنها تكلف وقول بالرأي، ومن أقرها في صور ومواضع مشترطاً أن يقع الكلام في أمر متحد يرتبط أوله بآخره، ومنعها في ماعدا ذلك.

ويمكن دمج أقوالهم وأدلتهم التي احتجوا بها فيما يلي :

أـ أن القرآن جاء على الاقتضاب.

ب ـ أن في القول بالتناسب قول على الله بالرأي والهوى.

جـ ـ أن المشتغل بتناسب آي القرآن كمن يتطلب المناسبة بين ماقاله رجل من البلغاء في خطبه ورسائله وإنشاءاته، وإلى ماقاله شاعر من الشعراء من القصائد في المدح والهجاء، والتشبيب والرثاء.

د ـ أن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، ولم يرتب حسب النزول.

هـ ـ أن القرآن تضمن الحوادث المختلفة والموضوعات المتنوعة، وأنه لاستنباط المناسبة لابد أن يقع الكلام في أمر متحد يرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه إرتباط أحد الكلامين بالآخر."

وـ أن المشتغل بربط آيات القرآن يربط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع إختلاف العلل والأسباب كالذي :يربط تصرفات الملوك فيما يتصرفون، أوالحاكم فيما يحكم في وقائع يومه المختلفة، أوالمفتي فيما يفتي في مدة عمره من أحكام مختلفة وكذا تصرف الإنسان في أمور موافقة ومختلفة ومتضادة، وزعموا أنه ليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض.

ز ـ أن طلب المناسبة في أمور متباينة يفتح أبواب الشك والريب على من في قلبه مرض، أوكان مرضه الجهل والقصور؛ إذا لم يدرك وجه الربط أو وجد ماقاله المتكلمون تكلفاً محضاً فلا يكون القرآن عنده بليغاً معجزاً.

الرد على المانعين :

بعد ذكر رأي المانعين وما احتجوا به على منع المناسبة يحسن إيراد الردود عليهم، وقد تقدم في الدراسة التاريخيه ذكر جهود العلماء في الدفاع عن القرآن وعلى هذا كان العلماء في كل زمان ومكان يهبون للدفاع عن القرآن ضد كل قول باطل، أومجانب للصواب في شأن الكتاب، ومما نال نصيبه من الدفاع تناسب القرآن، حيث قام عدد من أهل العلم بالرد على ماستدل به المانعون، بل إن من الباحثين(*)من اعتبرأدلتهم شبهاً تثار حول المناسبة .

وهذا تفصيل الردود :

١- أما دعوى الاقتضاب في القرآن فقد نفاها عن القرآن، وأنكر على القائلين بها جمع من أهل العلم قديماً وحديثاً :

قال الزركشي:" عند حديثه عن التخلص (*) وقد أنكره أبو العلاء محمد بن غانم الغانمي وقال:"ليس في القرآن منه شيء وليس كماقال"(٢).

أما السيوطي فقد غلّط الغانمي و ذكر رأيه في التخلص حيث قال: وقد غلط أبوالعلاء محمد بن غانم في قوله:"لم يقع في القرآن شيء لما فيه من التكلف ".

ثم أتبعه بقول الغانمي :"إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هوطريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم " قال السيوطي: وليس كما قال ،ففيه من التخلصات العجيبة مايحير العقول (٣).

(*)الباحث محمد عناية الله قام بإيراد قول المانعين في شبه ثلاث ورد عليها ضمن رسالته للماجستير"إمعان النظرفي نظام الآي والسور.)في جامعةالإمام عام ١٤٠١هـ،

'١' وحسن التخلص هو:أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه يختلسه اختلاساً، دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني؛ لشدة الالتئام بينهما(الإتقان ٩٨٠/٢)

(٢)انظر البرهان للزركشي ٤٣/١ .

وقد اتبع الشوكاني الغانمي فأقر بمعنى كلامه فقال:"وصف الله سبحانه هذا القرآن بأنه عربي، وأنزله بلغة العرب، وسلك فيه مسالكهم في الكلام ،وكانت عادتهم أن يأتوا بفنون متخالفة وطرائق متباينة في المقام الواحد، فضلاً عن المقامين، فضلاً عن المقامات"(انظرفتح القدير للشوكاني ٧٣/١)

(٣)انظر الإتقان ٩٨٠/٢ .

ورد على دعوى الاقتضاب في القرآن د.دراز بقوله: "وفريق آخر متى لم يجد هذه الصلة من وجه قريب - اتحاد أو تماثل أو تداخل-أسرع إلى القول بأن في الموضع اقتضاباً محضاً ؛جرياً على عادة العرب في الاقتضاب، ألا إن هذا الرأي لأوغل بشعبيته في الخطأ من سابقه،وإن الأخذ به على علاته لغفلة شديدة عن مستوى البلاغة التي تميز بها القرآن عن سائر الكلام "(١).

وقد مثل كل من الزركشي والسيوطي بعدة أمثلة إثباتاً للمناسبة في القرآن والرابط فيها حسن التخلص رداً على الغانمي ومنها : ماذكره الزركشي عند قوله تعالى :[وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ]حيث قال: فإنه قد يقال :ماوجه اتصاله بما قبله، وهو قوله :[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا](الآية *١١٤*البقرة)قال الشيخ أبومحمد الجويني في تفسيره :سمعت أبا الحسين الدهان يقول :وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ،أي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوها، فإن لله المشرق والمغرب (٢).

وقال الفخر الرازي في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه:"فأما من حملها على النصارى وخراب بيت المقدس قال :تتصل بما قبلها من حيث أن النصارى ادعوا أنهم من أهل الجنة فقط، فقيل لهم كيف تكونون كذلك مع أن معاملتكم في تخريب المساجد والسعي في خرابها هكذا، وأما من حمله على المسجد الحرام وسائر المساجد قال:جرى ذكر مشركي العرب في قوله:[كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم] وقيل:جرى ذكر جميع الكفار وذمهم، فمرة وجه الذم إلى اليهود والنصارى ومرة إلى المشركين"(٣).

وهذا الوجه الذي ذهب إليه الرازي داخل في حسن التخلص .

---

(١) انظر النبأالعظيم ١٦٠ .

و عرف الاقتضاب في الهامش بقوله:" وهو تضيق دائرة البحث في المناسبات بالتماسها بين المعاني المتجاورة خاصة،" النبأ١٦٠ .

(٢)البرهان للزركشي ٤٢/١- ٤٤ .

(٣) مفاتيح الغيب ١٠/٤ .

أما قولهم: إن المتكلم في المناسبة يوقع نفسه في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه .

فيرد بما ورد من أمر الله بتدبر القرآن وفهمه كقوله: [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا](٢٣:محمد) وما ورد من أحاديث وآثار تحث على التدبر في القرآن والاعتبار كما في قول علي رضي الله عنه رداًعلى أبي جحيفةرضي الله عنه ‹أوفهماً يعطيه الله رجلا في القرآن ›(١)

وفي دعائه صلى الله عليه وسلم لابن عباس: ‹اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ›(٢) قال ابن حجر في دعاء النبي لابن عباس :"جواز تأويل القرآن"(٣).

وماروى ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال:التفسير على أربعة أوجه:

١- وجه تعرفه العرب بكلامها. ٢- و تفسير لايعذر أحد بجهالته.

٣- وتفسير يعلمه العلماء. ٤- وتفسير لايعلمه أحد إلا الله .

والمناسبةتكون في الوجه الأول والثاني والثالث وقد تغمض فتدخل في النوع الرابع والله أعلم.

ومُكث ابن عمرفي البقرة ثمان سنين(٤)، و الآثار الواردة عن الصحابةفي تفسير آي القرآن النابعة من التدبر فيه تدل على جواز ذلك،وتبين امتثالهم للأمربتدبر القرآن؛ إذ لا يعقل أن يكون ابن عمر-رضي الله عنه - قد استغرق تلك السنين في الحفظ المجرد بل كان ذلك على وفق طريقة الصحابةمن تعلم القرآن والعمل جميعاً.

أما ما ورد من النهي عن القول بالرأي في القرآن فصحيح معتبر ويحمل على الرأي الذي لادليل عليه و ماشتمل على صورة من صور التفسير بالرأي المنهي عنه ومنها :

١ - إعتقاد معان ثم حمل ألفاظ القرآن عليها.

٢- تفسير القرآن بمجرد ما يسوغ عند العرب من غير اعتبار لمن أنزل القرآن، ومن أنزل عليه .

٣-القول بمعنى مع معرفة أن الحق سواه.

---

(١)رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي جحيفة ،كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير ٢:١٧٨ .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الوضوء،باب وضع الماء عند الخلاء ١:٤٠ .

(٣) انظر فتح الباري ٨ /٧٣٦ .

(٤)المؤطأ للإمام مالك ٢٠٥/١ صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي .

٤ -القول من دون نظر وعلم بل بمقتضى الجهل .

٥ - القول فيما لا سبيل إلى معرفة تفسيره كما استأثرالله بعلمه.

٦- ماخالف الكتاب و السنه ،أو أصلاً مستنبطاً منهما .

٧- المسارعة إلى التفسير بظاهر اللغة دون نظر لما ورد، ومثله ما لا تحتمله أساليب اللغةمن المعاني ؛فإن القرآن نزل بلسان عربي .

وبهذا يتبين أن ماورد من النهي عن القول في القرآن بالرأي معتبر فإن كان في القول بالمناسبة شيء منها فهو قول بالرأي مردود على قائله؛ ولأجل ذلك تقدم ذكر قواعد المناسبة ليسير عليهاالمتدبر عند استنباطها ؛وإلا فقد تكون المناسبة عند إهمال القواعد رأياً مردوداً،أما إذا كان استنباط المناسبة سالماً مما تقدم من انواع الرأي بعيداً عن الجهل والهوى، ليس الدافع إليه اعتقاد باطل أوتكلف، واتبع فيه المتدبر ما تحتمله لغة العرب معتبرأأنه كلام الله. غير مخالف لما ورد في كتاب الله وماورد من تبيين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تضمنته تفاسير الصحابة أواتفق عليه التابعون سائراً على قواعد الاستنباط الصحيحة ،فهو مقبول غير مردود والله أعلم .

وتدل أقوال العلماء على جواز استنباطها من كتاب الله ومن ذلك :ما نقله الزركشي عن أبي القاسم بن حبيب النيسابوري والبغوي،والكواشي وغيرهم في أن التأويل : هو صرف معنى الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط ،قال: وهذا غير محظور على العلماء "(١).

وقد ذكره الزركشي قسيماً للتفسير بمانقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أوالصحابةأو عن رؤس التابعين فقال:"الثاني - مالم يرد فيه النقل عن المفسرين وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب (المفردات) فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير اللفظ لأنه اقتضاه السياق"(٢).

وبهذا يتضح أن إدراك المناسبات في القرآن الكريم هو توفيق الله فهو علم توفيقي يرجع إلى توفيق الله للمتدبر يشترط له مايشترط للتفسير، ولابد من السير فيه على قواعد سليمة، بعيداًعن الهوى، والجهل، والمخالفة؛ والله أعلم.

١- البرهان للزركشي ١٥٠/٢ .

٢- انظرالمرجع نفسه١٧٢/٢ .

أما قولهم:" إن المشتغل بتناسب آي القرآن كمن تصدى للمناسبة بين ماقاله رجل من البلغاء في خطبه ورسائله وإنشاءاته ،وإلى ماقاله شاعر من الشعراء من القصائد في المدح والهجاء، والتشبيب والرثاء." فقول لا يصح لأن قياس تنزل القرآن منجماً على الخطب والرسائل المفرقة خطأ بين ؛ لأن القرآن وإن كان قد نزل منجماً مفرقاً، فهو موجود جملة في اللوح المحفوظ [بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ]

وبايدي السفرة الكرام البررة في السماء الدنيا كما تدل على ذلك الآيات والآثار الصحيحة عن ابن عباس، وهو متميز عن كلام العرب بالإحكام والصدق، وسلامته من الاعوجاج فهو قرآن عربي غير ذي عوج يقول الله في شأنه [وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً *٥٢*] (الأعراف) فهذه مما تميز به القرآن ومن أجل ماتميز به اتصاله واتساقه المعتبر عند كثير من أهل العلم ركن إعجازه قال السمين الحلبي عند حديثه عن كلمة مثاني من قوله تعالى :[كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ]:"أي أنه يثنى أي يكرر على مرور الأوقات ،وكر الأعصار واختلاف الأحوال فلا يمل،ولا تخلق ديباجة حُسنه ولا تنقضي عجائبه ،ولا تفنى فوائده،ولا تضمحل اضمحلال غيره من الكلام وفي صفته لا يعوج فيقوم ،ولا يزيغ فيستعتب،ولا يخلق على كثرة الرد"(١).

أما كلام الخطيب وشعر الشاعر فيعتريه النقص ويلحقه الخلل والتفكك يدرك ذلك ناقده بل قائله فإنه إذاعاد إليه بدل وغير وقدم وأخر أما القرآن فلا تمله الآذان ولا يزيده الترديد إلا حسناً وجمالاً وتلك إحدى عجائبه التي لا تنقضي ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد .

وقد يكون وجه المقارنة هو تنوع الموضوعات في كلام الله، وتنوعها واختلافها وتضادها في أقوال المخلوقين من شعراء وخطباء،وهو قريب مما حكاه العز فيماذكره من:- أن المشتغل بربط آيات القرآن يربط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع إختلاف العلل والأسباب كالذي :يربط تصرفات الملوك فيما يتصرفون، أوالحاكم فيما يحكم في يومه من وقائع مختلفة ،أوالمفتي فيما يفتي في مدة عمره من أحكام مختلفة وكذاتصرف الإنسان في أمور موافقة ومختلفة ومتضادة .- قال:" وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض ."أ.هـ.

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ص (٨٣) صورة مخطوطة تحقيق محمد الدغيم ،ط ١ ،١٤٠٧هـ.

ويمكن أن يقال :- أما ربط تصرفات الله في خلقه وكلامه ومقارنته بتصرفات المخلوقين من الملوك والحكام،أوالمفتين أوتصرف الإنسان في أمور موافقةومختلفة، وكذا مقارنة كلامه تعالى بكلام الخطيب وشعر الشاعر فغير صحيح لمايلي :

أولاً:يظهرأن مقصدهم بالربط هنا الربط بإحدى الصلات المعروفة اتحاد وتماثل وتداخل - وقد تقدم في قواعد المناسبةأنه يربط بكل وجه معقول .

ثانياً: تصرفات الله فيما تضمن القرآن لاتخلوا من حكمة وفائدة فإنزال القرآن بحكمة الله وعلمه وقدرته، والعبد مجبول على العجز والضعف؛ فشتان بين كلام الحكيم العليم القدير، وكلام العبد العاجز الفقير .

ثالثاً:ومن أوجه المقارنة تضاد الموضوعات والتصرفات ونظراً لعلم الله المحيط فإن ماورد من موضوعات مختلفة فيما اشتمل عليه القرآن لاتخلوا من ترابط لما تقدم من إحكامه وإتقانه .

وعلم العبد القاصر يقتضي تناقض فعله وتضاده تضاداً لايمكن جمع شتاته في العقول ؛ لأنه مجبول على النقص والتقصير ونحوه مماتنزه عنه رب العالمين .

وربما كان وجه المقارنة كون كل منهما صادر عن جهة واحدة وشتان بين الخالق والمخلوق .

فتصرفات العبد لايضمها ديوان ،بل يؤثر فيها الغضب،والرضا،والهوى، والشهوة،والشيطان .

أما القرآن فإنه كلام الحكيم الخبير وصدق الله إذ يقول [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً].

وقد سبق بالرد الشيخ ولي الدين الملوي حين رد على قول العزبن عبدالسلام فقال:"وقد وهم من قال : لايطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة".

قال :" وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعدده أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقا، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر فإنه [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ]"(١).

---

(١)البرهان للزركشي ٣٧/١ .

أما قولهم: "إن القرآن تضمن الحوادث المختلفة والموضوعات المتنوعة، وأنه لاستنباط المناسبة لابد أن يقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه إرتباط أحد الكلامين بالآخر"

فيرد عليه بأن اشتمال القرآن على الأحكام والموضوعات المختلفة، والحوادث المتفرقة المتغايرة، والنازلة على أسباب متباينة في أزمنة متباعدة ميزة له حيث ترابطت أحكامه النازلة عند أحداثها ودواعيها مع تنوع موضوعاته واختلاف مخاطبيه. قال د. دراز "إن الحديث في القرآن ذو شجون، ولكنه حين يجمع الأجناس المختلفة لا يدعها حتى يبرزها في صورة مؤتلفة، وحتى يجعل من إختلافها نفسه قواماً لائتلافها، وهذا التأليف بين المختلفات مازال هو 'العقدة' التى يطلب حلها في كل فن وصنعة جميلة (١).

وفيما تقدم من رد الشيخ ولي الدين الملوي بين أن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام وموضوعات مختلفة قد جمعت فيه على أحسن طريق حيث بين أن آي القرآن على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، ومثل لاختلاف ترتيب التلاوة عن ترتيب النزول بقوله: "وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعدده أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقا، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة. ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر فإنه [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] "(٢).

وما تقدم يتضمن الرد على الإشكال الذي أوردوه حيث بين أنه وإن نزل على حسب الوقائع والحوادث المختلفة فإن ترتيبه الحالي المعروف بترتيب "التلاوة" مرتب بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة وكالمثبت في اللوح المحفوظ.

وأن اشتماله على الأحكام والموضوعات المختلفة، والحوادث المتفرقة المتغايرة، والنازلة على أسباب متباينة في أزمنة متباعدة بترابط حكيم يكسبه عظمة ويزيده إعجازاً.

---

(١) انظر النبأ العظيم ١٦١.

(٢) البرهان للزركشي ٣٧/١.

أما أن طلب المناسبة في أمور متباينة يفتح أبواب الشك والريب على من في قلبه مرض ،أو كان مرضه الجهل والقصور؛إذا لم يدرك وجه الربط أووجد ماقاله المتكلمون من تكلف محض فلا يكون القرآن بليغاً معجزاً.

فيرد عليه بأن القرآن[تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ]ثم إن ترابطه أمر تقره العقول وتحس به وتشهد كل النفوس والقرآن مترابط وإن لم يدرك وجه ترابطه ثم إن التناسب هو أظهر وجوه الإعجاز وللإعجاز أوجه أخرى فجهله في موطن أومواطن لايضر والنظر في المناسبة هو اختبار لما في حس المتدبر من صحة أو اختلال وقد نبه على هذا الشيخ دراز رحمه الله حيث بين:

"أنه قد يعرض جهل وجه الحسن والترابط فيها ويجهل وضع الوصل منها وقد لايجد جهة معينة أو ناحية محدوده إذ يصعب تحديد ذلك، ومع ذلك فإن التالي لايجد في ذلك انفصالاً بل يجدها متصلة مرتبطة".

قال:"وإن لم نجدالحسن الجمالي فلنعلم أن الخلل من أنفسنا ولا نتعجل بالحكم وليعلم المتدبر أن مايجده نحو اسلوب القرآن من استحسان أوتوقف إنماهو اختبار لما في مزاجه اللغوي من صحة أواعتلال ومافي دراسته اللغوية من نقص أوكمال وأنه ليس بأذواق القاصرين تختبر لغة القرآن .كيف وقد درج أهلها الذين سجدوا لبلاغته؛ ولكم وقف علماء التشريح عن إدراك سر الخلق في بعض الأعضاء الباطنة لعدم الإهتداء لوظيفتها فهل وسع أحداً من علماء التشريح أن يحكموا بخلوها عن الحكمة والفائدة كلا فإنهم لما بهرتهم عجائب الصنعة في سائر أجزاء البدن لم يسعهم في القليل الذي جهلوه إلا الاعتراف بأن له حكمة لم يكتشفها العلم ثم قد لايلبث أن يكشفها من اعانته همة البحث،وأيده التوفيق "(١).

وما قال المتكلمون ,منه ماهو تكلف فيرد ولا يقبل ،ومالم يكن متكلفاً فيقبل بشروطه .

---

(١) انظر النبأ العظيم هامش ص١٦٢بتصرف .

أما قولهم: " إن ترتيب المصحف ليس حسب النزول بل هو من عمل الصحابة ،أي معنىً لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ماأنزل الله متأخراً ،وتأخر ما أنزل الله متقدماً- لأنه تنزل في نيف وعشرين سنة -فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة ".

فمنه مقبول ومردود أما أن القرآن لم يرتب حسب النزول فحق مع أن النظر للقرآن من حيث نزوله معتبر وعليه يقوم أول مانزل وآخر مانزل، وأسباب النزول التي تعين على ربط الآيات.

وأما أن ترتيب المصحف على ما هو عليه الآن من عمل الصحابة ففيه نظر: أما ترتيب الآيات في سورها فليس من عمل الصحابة إجماعاً بل هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يعلم في هذا خلاف .

ففي صحيح البخارى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية.

وأجمعت الأمة على ذلك .

قال الإمام الزركشي: فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف فيه ولهذا لا يجوز تعكيسها "ونقل عن مكي أن ترتيبها بأمر من النبي وعن الباقلاني أنه بأمر من جبريل(١).

وقال ابن تيمية :وأما ترتيب الآيات فهو منزل منصوص عليه فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم (٢).

قال السيوطي:الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك قال أما الإجماع :فنقله غير واحد منهم الزركشي في "البرهان " وابن الزبير في "مناسباته "وعبارته :"ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين "(٣).

---

(١)البرهان في علوم القرآن ٢٥٦/١ .

(٢)انظر مجموع الفتاوى ٣٩٦/١٣ .

(٣)الإتقان ١٨٩/١-١٩٠ .

أما ترتيب السور ففيه أقوال ثلاثة :

الأول :أن ترتيب السور كما هي عليه في ترتيب التلاوة توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم كما رجح ذلك القاضي أبوبكر ابن الأنباري (ت٣٢٣هـ) والكرماني (ت٥٠٠هـ) وابن الحصار (ت٦١١هـ) والطيبي(ت٧٤٣هـ).

القول الثاني :أن الترتيب بتوقيف من النبي عليه الصلاة والسلام في كل السور سوى الأنفال والتوبة لقول ابن عباس لعثمان بن عفان :‹ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر " بسم الله الرحمن الرحيم"،ووضعتموهما في السبع الطول ،ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان : كان رسول الله مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هولاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ،وإذا نزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآيةفي السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر " بسم الله الرحمن الرحيم " ووضعتها في السبع الطوال›(١).

القول الثالث قول الجمهور :إن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة وليس بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لاختلاف مصاحف الصحابة كابن مسعود، وأبي؛ ولو كان بتوقيف من النبي عليه الصلاة والسلام لم يقع اختلاف كما لم يقع في الآيات .

وقد ناقش ابن الزبير الثقفي من قال بأن ترتيب السور باجتهاد الصحابة بقوله :"اعلم أن الأمر في ذلك كيفما قدر فلابد من رعي للتناسب والتفات للتواصل والتجاذب ،فإن كان بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم فلا مجال للخصم بعد ذلك التحديد الجليل والرسم، وإن كان مما فوض فيه الأمر إلى الأمة بعده فقد أعمل الكل من الصحابة في ذلك جهده ،وهم الأملياء بعلمه ،وإنما ألفوا القرآن على ماكانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٢)

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٤:٥) كتاب التفسير باب تفسير سورة التوبةوأشار إلى الاختلاف في أحد رواته،وقد جزم الشيخ أحمد شاكر بضعفه ولهذا يلحق القائلون بالتفصيل بالقائلين بالتوقيف مطلقاً.

(٢)انظر البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الثقفي ص٧٣ .

ثم عاد فأكد أنه مرتب بالتوقيف فقال:" وكيفما دار فمنه صلى الله عليه وسلم عرف ترتيب السور ،وعلى ماسمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر ،فإذاً إنما الخلاف هل ذلك بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر ؟ فهذا موضع الخلاف.

ثم قال :ومن ظن ممن اعتمد القول بأن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة ،أنهم لم يراعوا في ذلك التناسب والاشتباه ،فقد سقطت مخاطبته ،وإلا فما المراعى وترتيب النزول غير ملحوظ في ذلك بالقطع؟ بل هذا معلوم في ترتيب آي القرآن الواقع ترتيبها بأمره عليه السلام وتوقيفه بغير خلاف، ألا ترى أن سورة البقرة من المدني وقد تقدمت سور القرآن بتوقيفه عليه السلام في الصحيح المقطوع به ،وتقدم المدني على المكي في ترتيب السور والآي كثير جدا، فإذا سقط تعلق المكان بترتيب النزول لم يبق إلا رعي التناسب والاشتباه، وارتباط النظائر والأشباه.،"(١)

وقد أسهم السيوطي برد نفيس على من قال بالاجتهاد في ترتيب السور فقال : "والحاصل أني أقول : ترتيب كل من المصاحف بتوقيف ، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على الترتيب العثماني "(٢)

ويؤيد هذا ماذكره الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت/٤٤٤هـ)في المقنع بسنده قال:حدثنا خلف بن حمدان بن خاقان المالكي قال :حدثنا محمد بن عبد الله بن زكريا قال :حدثنا يونس قال ابن وهب: سمعت مالكاًيقول: إنما ألف القرآن على ماكانوا يسمعون من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)

وهكذا أكد العلماء قول من قال بالتوقيف وأوضحوا مراعاة التناسب في ترتيب سور القرآن ،وأنه بتوقيف منه عليه الصلاة والسلام .

أما قولهم إن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربي فأنزله بلغة العرب وسلك فيه مسالكهم في الكلام وجرى فيه مجاريهم في الخطاب و منها الإتيان بفنون مختلفة وطرائق متباينة في المقام الواحد فضلاً عن المقامات .فهو حق أيضاً، لكنه لايستلزم تفكك الكلام ونفي الترابط والتناسب في كتاب الله لاشتماله علىأحكام وموضوعات مختلفة فإنها لاتخلوا من وجود رابط معقول مقبول .

---

(١)انظر البرهان لابن الزبير ٧٤- ٧٥ .

(٢) مقدمة تناسق الدرر في تناسب السور (ص ٣١).

(١)انظر المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط ص٨ .تأليف الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ) مطبعة الترقي دمشق ١٣٥٩هـ.

وهذا يؤكد صحة ماتقدم من أن السبب في منع العز الربط في بعض المواضع النظر والبحث عن الصلات الجزئية بنظر قريب إلى القضية أو القضايا مع غض النظر عن النظام الكلي الذي وضعت عليه السورة في جملتها وقد تقدم أن الصلة بين الجزء والجزء لا تعني اتحادهما أو تماثلهما أو تداخلهما وما إلى ذلك من الصلات الجنسية بل يكفي الربط بأي وجه معقول تتلقاه العقول بالقبول وقد أقر بدلالة السياق واعتبره العز بن عبد السلام حيث يقول: السياق يرشد إلى تبيين المجملات وترجيح المحتملات ،وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً وإن كانت ذماً بالوضع وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذماً وإن كانت مدحاً بالوضع كقوله تعالى: [ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ] (الدخان٤٤) (١) .

ومن ضروب التفسير مايتردد بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض، ويترجح بعضها على بعض، وأولى الأقوال مادل عليه الكتاب في موضع آخر أوالسنة أوإجماع الأمة أوسياق الكلام ،وإذا احتمل الكلام معنين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق الحمل عليه أولى .

وقد يقدر بعض النحاة مايقتضيه علم النحو لكن يمنع أدلة الشرع فيترك ذلك التقدير ويقدر تقديراً آخر يليق بالشرع ،وقد يعبر النحاة والمفسرون وغيرهم بالعام ويريدون به الخاص فيجهله كثير من الناس؛ وعلى الجملة فالقاعدة في ذلك أن يحمل القرآن على أصح المعاني وأفصح الأقوال فلا يحمل على معنى ضعيف ولا على لفظ ركيك وكذلك لا يقدر فيه من المحذوفات إلا أحسنها وأشدها موافقة وملاءمة للسياق، وإذ كان للاسم الواحد معان كالعزيز بمعنى القاهر وبمعنى الممتنع وبمعنى الذي لانظير له حمل في كل موضع مايقتضيه ذلك السياق كيلا يتبتر الكلام وينخرم النظام .

ومن ضروب التفسير ذكر أنواعاً منها :"بيان ترجيح مايناسب الكلام ويطابقه على ماليس كذلك"(٢) .

---

(١) انظر كتاب الإشارة إلى الإيجاز في أنواع الإعجاز /٢٢٠ .

(٢) فوائد في مشكل القرآن لعزالدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) ت .د. سيدرضوان علي الندوي ،ط الثانية دار الشروق جدة ١٤٠٢هـ.

وبالنظر في كلام الشوكاني وما أورد من أمثلة للربط في كتابه يتضح أنه نظر إلى المناسبة بغير ماذكره العلماء من الربط بأي وجه كان حتى من باب التضاد، والتناظر وغيره .بل لا بد من ظهور إحدى هذه الصلات: الاتحاد أو الموافقة أو التداخل.

وكما تقدم عن الشيخ دراز أن من منع القول بالمناسنه نظر إلى المناسبة ملتزماً إحداها أو ضيق دائرة البحث في المناسبات بالتماسها بين المعاني المتجاورة خاصة فقد أخطأ خطأً بيناً؛ فربما ترتبط الآية بما تقدمها بآيات عديدة، وأنه إذا قرن ذلك بالتزام طريق معين للمناسبة كأن تكون من قبل التجانس المعنوي فإنه يزيد المسألة ضيقاً وحرجاً.

ولا بد أن يعلم أن الحديث في القرآن متنوع ذو شجون ولكنه تميز أنه وإن جمع الأجناس المختلفة فإنه يبرزها في صورة مؤتلفه جاعلاً من إختلافها نفسه قواماً لإتلافها .والتأليف بين المختلفات هو العقدة التي يطلب حلها في كل فن وصنعة جميلة.

ثم إن روعة القرآن لاتقوم دائماً على حسن التجاور بين الآحاد بل ربما تراه قدأتم طائفة ..من المعاني ثم عاد إلى طائفة ...أخرى تقابلها فيكون الموقع هو حسن المقابلة بين الأول من كل منهما ،أوبين الأواخر لا بين الأول من هذه والأخر من ذلك مع عدم الغفلة عن النظام المجموعي الذي وضعت عليه السورة (١).

وبهذا يثبت أن القول بالمناسبة قول صحيح مقبول إذا سار المتدبر على قواعد سليمه والكلام في هذا كما قال د. دراز"إن هذا الباب من أبواب البحث والاستنباط الذي لا يمس أصلاً من أصول الدين ،لا يحل حراماً ،أويحرم حلا لاً،لن يزال مفتوحاً لكل مسلم أعطاه الله فهماً في كتابه على شريطة القصد والأناة في سير العقل مع الاستضاءة في هذا السير بمصباحين من اللغة والشرع"(٢).

---

(١) النبأ العظيم .ملخصاً من كلامه في صـ ١٥٨ -١٦٣ .

(٢) انظر هامش النبأ العظيم /١٧١ .

المبحث الثالث : فوائد المناسبة

المبحث الثاني :

فوائد المناسبة :

- استجاب أهل العلم لأمر الله بتدبر القرآن في أمثال قوله تعالى: [كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ] (ص/٢٩) فتدبروه .

وكان من ثمرة تدبرهم ودفاعهم عنه علم مناسبات القرآن وهو علم عظيم .

قال ابن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتضمة المباني علم عظيم"(١).

وقد أثنى عليه جمع من أهل العلم وبينوا مزاياه وفوائده وممن أثنى عليه الجرجاني عند حديثه عن نظم القرآن حيث قال:"هو باب من العلم، إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة ومعان شريفة، ورأيت له أثراً في الدين عظيما، وفائدة جسيمة، ووجدته سبباً إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل، وإنه ليؤمنك من أن تغالط في دعواك وتدافع عن مغزاك، ويربأ بك عن أن تستبين هدى ثم لا تهتدي إليه وتدل بعرفان ثم لا تستطيع أن تدل عليه"(٢).

- ونقل البقاعي ثناء الأصبهاني (ت ٧٤٩هـ) على هذا العلم بقوله:"فإن القرآن معجز والركن الأبين الإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب"(٣).

وقد عده القرطبي أحد أوجه الإعجاز(٤).

و قال الزركشي :"واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول"(٥).

ثم نقل عن ولى الدين الملوي قوله :"ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، فإنه [كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] (هود:١) ثم قال :"وفي ذلك علم جم "(٦).

---

(١) انظر البرهان للزركشي ٣٦/١ .

(٢) انظر دلائل الإعجاز(٣٣-٣٤) .

(٣) نظم الدرر ٤٣/١ .

(٤) تفسير القرطبى ٧٥/١ .

(٥) انظر البرهان ٣٥/١ .

(٦) المصدر نفسه ٣٧/١ .

وقال الزركشي :

"وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض ،فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم الأجزاء " ثم قال :"وهذا النوع يهمله بعض المفسرين،أو كثير منهم ،وفوائده غزيرة "(١).

وقد أشار إلى فوائده عدد من الباحثين، واشتغل بإبراز شيء منها الباحث/محمدعناية الله ضمن رسالة ماجستير في جامعة الإمام"(٢).

---

(١)انظرالبرهان للزركشي ٣٦/١ .

(٢) وقد ضمن رسالته للماجستير فصلاً بين فيه مزايا المناسبة ومنها:

١ ـ أن تتبع النظام في دراسة القرآن يرشد إلى فحوى الكلام وملابساته، ومن يغفل عن نظام الآيات فقد يتعذر عليه العثور على ماترمي إليه تلك الآيات .

٢ ـ النظام هو الدليل على صحيح التأويل إذا اشتبهت الوجوه وكثرت الاحتمالات .

٣ ـ النظام هو مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه ،كما أنه سر من أسرار إعجازه ،فإنه الذي يظهر القرآن بحراً لايسبر غوره ولاينفد كنزه .

٤ ـ النظام يجلي لنا الأمور في أكمل صورها ويكشف عن قدرها وأهميتها .

٥ ـ النظام هو الذي يشخص معاني الآيات المكررة ،ويحدد مراميها، لكن الذي يغفل عن النظام يتعثر ولايكاد يفرق بين موطن وآخر .

٦ ـ النظام يفتح العيون على وجوه البلاغة في القرآن .

٧ ـ رعاية النظام تفتح على الإنسان ماتقر به عينه ويستنير به قلبه، وتورثه برد اليقين الذي لايتزلزل ولايتزعزع .

٨ ـ رعاية النظام هي التي تمكن من فهم أسباب النزول ،لكن الذي يغفل النظام يتحير في فهمها ويضعها في غير موضعها ثم يتحير في تأويل الآيات وتفسيرها .

٩ ـ الوقوف على نظام الآيات يؤدي بالطالب إلى ذروة الشوق والمحبة واللذة التي قد لايصل إليها من لايهتم بنظامها فإن تلك المشاعر وتلك الأحاسيس تزداد بقدر زيادة المعرفة بمحاسن الكلام وحسن النظام وقوة البرهان

وقد بينها الكاتب وفصلها بالأمثلة والأدلة في رسالته إمعان النظر، ومجملها في ص ١٢٠-١٢١ .

وفيما يلي أهم الفوائد التي تحصل من هذا العلم وأمثلة تبين وتوضح مضمون الفائدة :

١- في البحث عن المناسبات وطلبها امتثال لأمر الله بتدبر القرآن كقوله تعالى :[كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ](١).

وفتح لأقفال القلوب لقوله :[أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ](٢).

فهو استجابة لأمرالله بتدبره للوقوف على حكمه وأحكامه.

قال الرازي عند قول الله :"حكاية عنهم [بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ]إنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان،تنبيها على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد، وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال ،وترك التعويل على ما يقع في الخاطر من غير دليل ،أو على ما يقوله الغير من دليل"(٣). إلا ما كان على لسان نبي أو [illegible]

قال تعالى :[وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ*١٧١*]

قال الفخر الرازي:" إعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله تركوا النظر والتدبر ،وأخلدوا إلى التقليد، وقالوا [بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا]ضرب لهم هذا المثل تنبيها للسامعين لهم إنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الإهتمام بالدين، فصيرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام، ومثل هذا المثل يزيد السامع معرفة بأحوال الكفار ،ويحقر إلى الكافر نفسه إذا سمع ذلك ،فيكون كسراً لقلبة ،وتضييقاً لصدره، حيث صيره كالبهيمة فيكون في ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه عن أن يسلك مثل طريقه في التقليد"(٤).

---

(١) سورة ص : ٢٩ .

(٢) سورة محمد : ٢٤ .

(٣) مفاتيح الغيب ٥/٧ .

(٤)انظر مفاتيح الغيب (٥-٧) .

وعند قوله تعالى :[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ *١٧٢*].

قال الفخر:" إعلم أن هذه الآية شبيهة بما تقدم من قوله:[كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا] ثم نقول :إن الله سبحانه وتعالى تكلم من أول السورة إلى هنا فى دلائل التوحيد والنبوة واستقصى فى الرد على اليهود والنصارى"(١).

وفي هذا الموضع :أوضح الرازي أن هذه الآية وثيقة الصله بما تقدم من آيات، وأن هذه وما بعدها هي بيان للأحكام .

وعند قوله تعالى:[إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ*١٦٤*]

قال الرازي: "أما قوله تعالى [لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ] فانما خص الآيات بهم لأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه، والاستدلال به على مايلزمهم من توحيد ربهم وعدله وحكمه ليقوموا بشكره ،ومايلزم من عبادته وطاعته"(٢).

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٢٠٣/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٩/٥ .

٢- إبراز هداية القرآن الكريم حيث يجمع في الموضع الواحد بين الخطاب والقصة مقروناً بالوعظ ومختوماً بالترغيب والترهيب .

كما في ربط قوله تعالى: [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ*١٤١*]

قال الرازي في ربطها بماقبلها: " اعلم أنه تعالى لما حاج اليهود في هؤلاء الأنبياء عقبه بهذه الآية ليكون وعظاً لهم وزجراً حتى لا يتكلموا على فضل الآباء فكل واحد يؤخذ بعمله "(١).

وعند قوله تعالى: [يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ *٢٠٨*]

قال الرازي: " اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافق أنه يسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ،أمر المسلمين بما يضاد ذلك وهو الموافقة في الإسلام وفي شرائعه ،فقال [يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً] ومن قال بهذا التأويل احتج على صحته بأن هذه الآية إنما وردت عقيب مامضى من ذكر المنافقين وهو قوله تعالى [وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ]الآية فلما وصف المنافق بما ذكر دعا في هذه الآية إلى الإيمان بالقلب وترك النفاق"(٢).

وبالنظر في هذه الآية والآية السابقة لها وهي المتحدثة عن المنافقين يتضح أنه خاطبهم بالظاهر من حالهم وهو الإيمان فقال:

[يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ] ثم طلب منهم التحقق به فقال :[ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً] ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وفي ذلك إشارة إلى جمع القرآن بين الأمر وضده ليظهر الفرق حتى يهتدي الخلق .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٤ /٩٠ .

(٢) انظر المصدر السابق ٥ /٢٠٦-٢٠٧ .

وتظهر هداية القرآن في القصة وما ختمت به كما في قوله تعالى:[وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا، وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ *٦١*]

فقد ختمت الآية وعللت بقوله تعالى :[ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ] قال الفخر:" واعلم أنه تعالى لما ذكر إنزال العقوبة بهم بين علة ذلك فبدأ أولاً: بما فعلوه في حق الله تعالى وهو جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه : بما يتلوه في العظم وهو قتل الأنبياء ثم ثلثه :بما يكون منهم من المعاصي التي تخصهم ثم ربع بما يكون منهم من المعاصي المتعدية إلى الغير مثل الاعتداء والظلم ،وذلك في نهاية حسن الترتيب"(١).

وفيما تقدم من ربط الرازي لفاصلة الآية بما قبلها وبيان سبب العقوبة لهم بالذلة والمسكنة لعصيانهم لربهم واعتدائهم وظلمهم وهذه صفاتهم اللازمة لهم وكل ذلك يهدي لمعرفة حالهم وما انطوت عليه نفوسهم وطبائعهم .

وكما في قوله تعالى [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ]

قال الرازي :"اعلم أن عادته تعالى في القرآن أن يذكر بعد بيان الاحكام القصص ليفيد الإعتبار للسامع، ويحمله ذلك الإعتبار على ترك التمرد والعناد، ومزيد الخضوع والإنقياد فقال [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ]"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٣-١٠٣ .

(٢)المصدر نفسه ١٦١/٦ .

٣- الاعانة على ترجيح المعنى الصحيح على المعانى الأخرى التي تحتملها الآية (*).

ومما يوضح ذلك مانقله الرازي عند قوله تعالى [وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ *٤٥-٤٦*]

حيث ذكر أن العلماء اختلفوا في المخاطبين بقوله سبحانه وتعالى [وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ] على أقوال :

١- قال قوم هم المؤمنون بالرسول قال لأن من ينكر الصلاة أصلاً والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقال له استعن بالصبر والصلاة، فلا جرم وجب صرفه إلى من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولا يمتنع أن يكون الخطاب أولا في بني اسرائيل ثم يقع بعد ذلك خطاباً للمؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٢- قال الرازي:"والأقرب أن المخاطبين هم بنوا إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النظم ،فإن قيل كيف يؤمرون بالصبر والصلاة مع كونهم منكرين لهما؟ فقال:(قلنا لا نسلم كونهم منكرين لهما وذلك لأن كل أحد يعلم أن الصبر على مايجب الصبر عليه حسن، وأن الصلاة التي هي تواضع للخالق والاشتغال بذكر الله تعالى يسلي عن محن الدنيا وآفاتها، إنما الإختلاف في الكيفية فإن صلاة اليهود واقعة على كيفية،وصلاة المسلمين على كيفية أخرى وإذا كان متعلق الأمر هو الماهية التي هي القدر المشترك زال الإشكال المذكور وعلى هذا نقول:(إنه لما أمرهم بالإيمان وبترك الاضلال وبالتزام الشرائع وهي الصلاة والزكاة وكان ذلك شاقاً عليهم لما فيه من ترك الرياسات والاعراض عن المال والجاه لاجرم عالج الله تعالى هذا المرض فقال [وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ]"(١).

ووافقه على ذلك أبو السعود لما ذكر أن قوله تعالى [وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ] متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا مافيه مشقة من ترك الرئاسة والإعراض عن المال عولجوا بذلك "(٢).

(*) وهذا مألوف ومطرد عند عدد من علماء التفسير كابن جرير وابن عطية وشيخ الاسلام بن تيمية كماتقدم وابن كثير كما في ٥١٥/٤،٥١٧ طبع احياء التراث بيروت ١٣٨٨هـ.

(١) مفاتيح الغيب ٤٨/٣-٤٩ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٩٨/١ .

قال الشاطبي :"يصح في الإعتبار أن... يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما، وذلك أنه يبين بعضه بعضاً حتى أن كثيراً منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى ولأن كل منصوص عليه فيه من أنواع الضروريات مثلاً مقيداً بالحاجيات

فإذا كان كذلك فبعضه متوقف على البعض في الفهم ،فلا محالة أن ماهو كذلك فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد بهذا الإعتبار"(١).

ولعل مما يشهد لهذا ما ساقه الرازي عند قوله تعالى:[أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ *٢١٤*]

قال الرازي:" إعلم أنه سبحانه وتعالى لما بالغ في بيان أنه يجب على كل مكلف أن يكون معرضاً عن طلب العاجل ،وأن يكون مشتغلاً بطلب الآجل، وأن يكون بحيث يبذل النفس والمال في ذلك شرع بعد ذلك في بيان الأحكام وهو من هذه الآية إلى قوله[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَارِهِمْ] لأن من عادة القرآن أن يكون بيان التوحيد وبيان الوعظ والنصيحة وبيان الأحكام مختلطا بعضها بالبعض ، ليكون كل واحد منها مقوياً للآخر ومؤكداً له"(٢).

---

(١) انظر الموفقات وتعليق دراز ٤٢٠/٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ٢٢/٦ .

وتوضح المناسبة معنى الآية في غاية الوضوح والانكشاف كما في قوله تعالى: [وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *٢٢٠*]

قال الرازي: "اعلم أن المفسرين اختلفوا في أن هذه الآية إبتداء حكم وشرع، أو هو متعلق بما تقدم، فالأكثرون على أنه إبتداء شرع في بيان ما يحل ويحرم وقال أبو مسلم: بل هو متعلق بقصة اليتامى، فانه تعالى لما قال [وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ] وأراد مخالطة النكاح عطف عليه ما يبعث على الرغبة في اليتامى، وأن ذلك أولى مما كانوا يتعاطون من الرغبة في المشركات، وبين أن أمة مؤمنة خير من مشركة وإن بلغت النهاية فيما يقتضى الرغبة فيها، ليدل بذلك على ما يبعث على التزوج باليتامى، وعلى تزويج الأيتام عند البلوغ ليكون ذلك داعية لما أمر به من النظر في صلاحهم وصلاح أموالهم، وعلى الوجهين فحكم الآية لا يختلف "(١).

ففي تعلق قوله تعالى: [مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *٢٤٥*]

بقوله تعالى [وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ*٢٤٤*]

قال الرازي: "إنه تعالى لما أمر بالقتال في سبيل الله ثم أردفه بقوله: [مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا] اختلف المفسرون فيه على قولين: (الأول) أن هذه الآية متعلقة بما قبلها والمراد منها القرض في الجهاد خاصة، فندب العاجز عن الجهاد أن ينفق على الفقير القادر على الجهاد وأمر القادر على الجهاد أن ينفق على نفسه في طريق الجهاد، ثم أكد تعالى ذلك بقوله [وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ] وذلك لأن من علم ذلك كان اعتماده على فضل الله تعالى أكثر من اعتماده على ماله وذلك يدعوه إلى إنفاق المال في سبيل الله، والاحتراز عن البخل بذلك الإنفاق.

(والقول الثانى) أن هذا الكلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله (٢).

والأول أولى لأن الكلام يصح به ويترابط، ثم لما هو ظاهر في القرآن من تعقيب الأمر بالجهاد والقتال بالأمر في الإنفاق لتلازمهما والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٤/٦ .

(٢) المرجع السابق ١٦٦/٦ .

وكما في مناسبة قوله تعالى :[حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ *٢٣٨*] لما قبلها وما بعدها من آيات الطلاق قال الرازي :"اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين للمكلفين ما بين من معالم دينه ، وأوضح لهم من شرائع شرعه أمرهم بعد ذلك بالمحافظة على الصلوات وذلك لوجوه (أحدها) أن الصلاة بما فيها من القراءة والقيام والركوع والسجود والخضوع والخشوع تفيد إنكسار القلب من هيبة الله تعالى ، وزوال التمرد عن الطبع وحصول الإنقياد لأوامر الله تعالى والإنتهاء عن مناهيه ، كما قال:[إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ](والثانى) إن الصلاة تذكر العبد جلالة الربوبية وذلة العبودية وأمر الثواب والعقاب فعند ذلك يسهل عليه الإنقياد للطاعة ولذلك قال:[اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ](١)

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤٥/٦ .

٤- أنه يبين جمع القرآن للنواحي الأخلاقية، والجهادية، والإصلاحية، والمالية، والدينية والدنيوية، في ترابط وانسجام مما يُذكر بشمولية هذا الدين.

ومثال ذلك ماحواه قوله تعالى:[وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ *٨٣*]

فقال الرازي :"إن الله تعالى بين ههنا أنه كلفهم بأشياء هي مانصت عليه الآيات من عبادة الله، والإحسان إلى الوالدين والإحسان إلى من ذكر بعدهم، ثم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة"(١).

وقد وقف الفخر عند قوله تعالى:[لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً] بين فيها سر اتباع الأمر بعبادة الله الأمر بالإحسان إلى الوالدين فقال:-«إنماأردف عبادة الله بالإحسان إلى الوالدين لوجوه :-

١-أن نعمة الله تعالى على العبد أعظم النعم فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره ثم بعد نعمة الله فنعمة الوالدين أعم النعم وذلك لأن الوالدين هما الأصل والسبب في كون الولد ووجوده كما أنهما منعمان عليه بالتربيه وأماغير الوالدين فلا يصدر عنه الإنعام بأصل الوجود بل بالتربية فقط فثبت أن إنعامهما أعظم وجوه الإنعام بعد إنعام الله تعالى.

٢-أن الله سبحانه هوالمؤثر في وجودالإنسان في الحقيقه والوالدان هما المؤثران في وجوده بحسب العرف الظاهر فلما ذكر المؤثر الحقيقي أردفه بالمؤثر بحسب العرف الظاهر.

٣- أن الله تعالى لايطلب بإنعامه على العبد عوضاً البتة بل المقصود إنماهو محض الإنعام والوالدان كذلك فإنهما لا يطلبان على الإنعام على الولد مالا ولاثوابا فإن من ينكر الميعاد يحسن إلى ولده ويربيه، فمن هذاالوجه أشبه إنعامهما إنعام الله تعالى.

٤-أن الله تعالى لايمل من الإنعام على العبد ولو أتى العبد بأعظم الجرائم فإنه لايقطع عنه مواد نعمه وروادف كرمه وكذا الوالدان لايملان الولد ولايقطعان عنه مواد منحهما وكرمهما وإن كان الولد مسيئا إلى الوالدين»(٢).

---

(١)مفاتيح الغيب ١٦٤/٣ .

(٢)المصدر نفسه ١٦٥/٣ .

وفي فائدة تعقيب الأمر بالإحسان إلى الوالدين بأن يحسن لذي القربى قال الرازي:"اعلم أن حق ذي القربى كالتابع لحق الوالدين لأن الإنسان إنما يتصل به أقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين والاتصال بالوالدين مقدم على الاتصال بذي القربى، فلهذا أخر الله ذكره عن الوالدين"(١).

ومن أعظم مايدل على جمع القرآن للنواحي الأخلاقية ،والدينية والدنيوية ، في ترابط وانسجام مااشتملت عليه هذه الآية من تذكير بما اشتملت عليه السورة مما يُذكر بشمولية هذا الدين وكماله وتمامه .

فقد قال الرازي عند قوله تعالى :[لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *٢٨٤*]"إنه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الأصول، وهو دليل التوحيد والنبوة ، وأشياء كثيرة من علم الأصول ببيان الشرائع والتكاليف، وهى في الصلاة ، والزكاة ، والقصاص، والصوم، والحج، والجهاد ، والحيض، والطلاق، والعدة ، والصداق، والخلع، والإيلاء ، والرضاع، والبيع، والربا ، وكيفية المداينة ، ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الآية على سبيل التهديد ...ونقله عن الأصم"(٢).

---

(١)مفاتيح الغيب للرازي ٣-١٦٦ .

(٢)المصدر نفسه ١٢٣/٧ .

٥- هذا العلم يعين على العودة إلى القرآن لتدبره وفهم أحكامه واستنباطها :

كما في قوله تعالى [وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ] فقد ذكر الرازي فيه وجوهاً (أحدها) أن يكون هذا خطابا مع الذين يطيقونه فقط، فيكون التقدير: وأن تصوموا أيها المطيقون أو المطوقون وتحملتم المشقة فهو خير لكم من الفدية (والثانى) أن هذا خطاب مع كل من تقدم ذكرهم، أعنى المريض والمسافر والذين يطيقونه، وهذا أولى لأن اللفظ عام، ولا يلزم من اتصاله بقوله [وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ] أن يكون حكمه مختصا بهم، واللفظ عام ولا منافاة في رجوعه الى الكل، فوجب الحكم بذلك وعند هذا يتبن أنه لابد من الإضمار في قوله [فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ] وأن التقدير: فأفطر فعدة من أيام أخر (الثالث) أن يكون قوله [وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ]عطفا عليه على أول الآية فالتقدير : كتب عليكم الصيام وأن تصوموا خير لكم ...أما قوله [إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ] أى أن الصوم عليكم فأعلموا صدق قولنا وأن تصوموا خير لكم (الثانى) أن آخر الآية متعلق بأولها والتقدير كتب عليكم الصيام وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون أى إنكم إذا تدبرتم علمتم ما في الصوم من المعانى المورثة للتقوى وغيرها مما ذكرناه في صدر هذه الآية (الثالث)أن العالم بالله لا بد وأن يكون في قلبه خشية الله على ما قال [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] فذكر العلم والمراد الخشية، وصاحب الخشية يراعى الإحتياط والاحتياط في فعل الصوم، فكأنه قيل: إن كنتم تعلمون الله حتى تخشونه كان الصوم خيرا لكم،أما قوله تعالى :[يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] فعلم أن هذا الكلام إنما يحسن ذكره هنا بشرط دخول ما قبله فيه والأمر ههنا كذلك لأن الله تعالى أوجب الصوم على سبيل السهولة واليسر فانه ما أوجبه إلا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك القليل ما اوجبه على المريض ولا على المسافر وكل ذلك رعاية لمعنى اليسر والسهولة ...(١)

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ٨٢/٦، ٩١ .

٦ـ يعين على استنباط معان جديدة يقتضيها السياق.

كما في قوله تعالى:[بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]نقل الرازي عن الزمخشري وجه في المناسبة فقال:"قال صاحب الكشاف [بَلَىٰ]إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله تعالى [لَن تَمَسَّنَا النَّارُ]أي بلى تمسكم أبداً بدليل قوله [هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]"(١).

وفي الآية التي تليها وهي قوله تعالى [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *٨٢*]

قال:اعلم أنه سبحانه وتعالى ماذكر في القرآن آية في الوعيد إلا ويذكر بجانبها آية في الوعد وذلك لفوائد :ـ

أحدها:ـ ليظهر بذلك عدله سبحانه لأنه لما حكم بالعذاب الدائم على المصرين على الكفر وجب أن يحكم بالنعيم الدائم على المصرين على الإيمان .

وثانيها:ـ أن المؤمن لابد وأن يعتدل خوفه ورجاءه .

وثالثها:ـ أنه يظهر بوعده كمال رحمته،وبوعيده كمال حكمته فيصير ذلك سبباً للعرفان(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٣-١٤٤ .

(٢)المصدر نفسه ٣-١٦٢ .

٧- علم المناسبة يزيد الإيمان، ويشرح الصدر،وقد أكد البقاعي من جملة فوائده:أنه يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب وذلك أنه يكشف للإعجاز طريقين أحدهما :نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب ،وكلما دقق الناظر النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز ثم إذا عبر من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها وانفتح له ذلك الباب رسخ من غير مرية إيمانه(٣).

وقد سبق الرازي في تفسيره إلى ما يؤيد هذا ويؤكده، كما عند قوله:[يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ]"وفرع على تذكيرها الأمر بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال [وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ] ثم عقبها بذكر الأمور التي تمنعهم عن الإيمان به، ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الإجمال ثانياً بقوله مرة أخرى [يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ] تنبيهاً على شدة غفلتهم،ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله [وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ] مقروناً بالترهيب البالغ بقوله [وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا] إلى آخر الآية،ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع ،وإذ قد حققنا هذه المقدمة فلنتكلم الآن في التفسير بعون الله"(٢).

وذكر أن في قوله[وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ] غاية الوعد للمطيعين، ونهاية الوعيد للمذنبين، فلهذا السبب ختم الله هذه السورة بهذه الآية.

ومما ذكره في النظم أنه تعالى لما قال [وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ]بين أنه لا يخفى عليه من سرنا وجهرنا وباطننا وظاهرنا شيء البتة، ثم قال إنه تعالى ذكر عقيب ذلك ما يجرى مجرى المدح لنا والثناء علينا، فقال[ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ] كأنه بفضله يقول عبدى أنا وإن كنت أعلم جميع أحوالك، فلا أظهر من أحوالك، ولا أذكر منها إلا ما يكون مدحا لك وثناء عليك، حتى تعلم أنى كما أنا الكامل في الملك والعلم والقدرة، فأنا الكامل في الجود والرحمة، وفي إظهار الحسنات، وفي الستر على السيئات(٣).

---

(١) نظم الدرر ١١/١ .

(٢) مفاتيح الغيب ٢٩/٣ .

(٣) المرجع السابق ١٢٧/٧ .

٨- رد شبه أعداء الإسلام القائلين بتناقض القرآن الكريم بإثبات ترابط القرآن وتناسبه، وكان المهتمون بهذا العلم عبر التاريخ هم المدافعون عن القرآن ضد من يحاول الطعن أو التشكيك فيه(١).

ومن هذا قول الرازي: "اعلم أنا قد بينا أن الله تعالى استدل على صحة دين محمد عليه الصلاة والسلام بوجوه: بعضها إلزامية وهو أن هذا الدين دين إبراهيم فوجب قبوله، وهو المراد بقوله [وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ] وبعضها برهانية وهي قوله [قُولُوٓاْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ] ثم إنه سبحانه وتعالى عقب هذا الإستدلال بحكاية شبهتين لهم (إحدهما) قوله [وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْ] (والثانية) استدلال لهم بإنكار النسخ على القدح في هذه الشريعة، وهو قوله [سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا] وأطنب الله تعالى في الجواب عن هذه الشبهة وبالحق فعل ذلك، لأن أعظم الشبهة لليهود في إنكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام إنكار النسخ، فلا جرم أطنب الله تعالى في الجواب عن هذه الشبهة، وختم ذلك الجواب بقوله [وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ] فصار هذا الكلام مع مافيه من الجواب عن الشبهة تنبيهاً على عظيم نعم الله تعالى، ولا شك أن ذلك أشد استمالة لحصول العز والشرف في الدنيا، والتخلص من الذل والمهانة يكون مرغوباً فيه، وعند اجتماع الأمرين فقد بلغ النهاية في هذا الباب"(٢).

---

(١) انظر الدراسة التاريخية ص٤٤-٥٣ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ١٤١/٤-١٤٢ .

٩- يتناسب ترتيبه وتعدد موضوعاته وتنوعها مع الخلق المعرّضين للنسيان، ولعل الأمر في هذا الباب كما قال البقاعي :"إن المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف بديعة الرصف عالية الأمر عظيمة مباعدة لمعاني الكلام على أنها منها أخذت، فسبحان من أنزله، وأحكمه، وفصله،وغطاه، وجلاه، وبينه غاية البيان، وأخفاه"(١).

كما في قوله تعالى:[وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ *٩٢*].

قال الرازي :" اعلم أن تكرير هذه الآية يغني عن تفسيرها والسبب في تكريرها أنه تعالى لما حكى طريقة اليهود في زمان محمد صلى الله عليه وسلم ووصفهم بالعناد والتكذيب ومثلهم بسلفهم في قتلهم الأنبياء الذي يناسب التكذيب لهم بل يزيد عليه،أعاد ذكر موسى عليه السلام وما جاء به من البينات وأنهم مع وضوح ذلك أجازوا أن يتخذوا العجل إلهاً وهو مع ذلك صابر ثابت على الدعاء إلى ربه والتمسك بدينه وشرعه فكذلك القول في حال معكم وإن بالغتم في التكذيب والإنكار، ثم ساق قوله تعالى:

[وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ*٩٣*]

قال الرازي:"اعلم أن في الإعادة وجوهاً:١-أن التكرار في هذا وأمثاله للتأكيد وإجاب الحجة على الخصم على عادة العرب.

٢-أنه إنما ذكر ذلك مع زيادة وهي قولهم [سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا] وذلك يدل على نهاية لجاجهم"(٢).

والتعقيب بقوله[إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ]المراد التشكيك في إيمانهم والقدح في صحة دعواهم(٣).

---

(١) انظر نظم الدرر ١٢/١-١٣ .

(٢) مفاتيح الغيب٣/١٨٧ .

(٣) المصدرنفسه ٣/١٨٨ .

١٠- أنه يوقف بواسطته على الحق في معاني آيات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب (١).

وعند قوله تعالى: [وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ*٤٩*]

قال الرازي: اعلم أن هذا الإنعام الخامس.

ثم ذكر رأي المفسرين القائلين في الآية بعدم الارتباط أو بالانقطاع عما يليها من آيات ثم يعقب عليه بقوله:

قال بعض المفسرين: هذه الآية وما بعدها منقطعة عما تقدم من التذكير بالنعم وذلك لأنها أمر بالقتل والقتل لا يكون نعمة.

ثم إن الرازي علق على هذا الكلام بقوله: وهذا ضعيف من وجوه:

أحدها:- أن الله تعالى نبههم على عظم ذنبهم، ثم نبههم على ما به يتخلصون عن ذلك الذنب العظيم وذلك من أعظم النعم في الدين، وإذا كان الله تعالى قد عدد عليهم النعم الدنيوية فبأن يعدد عليهم هذه النعمة الدينية أولى، ثم إن هذه النعمة وهي كيفية هذه التوبة لما لم يكن وصفها إلا بمقدمة ذكر المعصية كان ذكرها أيضاً من تمام النعمة فصار كل ما تضمنته هذه الآية معدوداً في نعم الله فجاز التذكير بها.

وثانيها:- أن الله تعالى لما أمرهم بالقتل رفع ذلك الأمر عنهم قبل فنائهم بالكلية فكان ذلك نعمة في حق أولئك الباقين، وفي حق الذين كانوا موجودين في زمان محمد عليه الصلاة والسلام.

وثالثها:- أنه تعالى لما بين أن توبة أولئك ما تمت إلا بالقتل مع أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان يقول لهم لا حاجة بكم الآن في التوبة إلى القتل بل إن رجعتم عن كفركم وآمنتم قبل الله إيمانكم فكان بيان التشديد في تلك التوبة تنبيهاً على الإنعام العظيم بقبول مثل هذه التوبة السهلة الهينة.

ورابعها:- أن فيه ترغيباً شديداً لأمة محمد صلوات الله وسلامه عليه في التوبة، فإن أمة موسى عليه السلام لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلأن يرغب الواحد منا في التوبة التى هي مجرد الندم كان أولى، ومعلوم أن ترغيب الإنسان في ما هو المصلحة المهمة من أعظم النعم (٢).

---

(١) نظم الدرر ١٣/١.

(٢) مفاتيح الغيب ٣/- ٧٩.

المبحث الرابع : أنـواع المنـاسبات .

أنواع المناسبات :(١)

اتضح من خلال الدراسة التاريخية الخطوات التي خطاها هذا العلم منذ كان إشارات في كلام أهل العلم حتى أصبح علماً مستقلاً له ميادينه ومجالاته الواسعة في القرآن الكريم وحتى تنوع إلى أنواع كثيرة ،وقد تناول عدد من العلماء الذين ألفوا في المناسبة أنواع المناسبة ،ومماتقدم تبين أن أول ماظهر الاهتمام به من مسائل المناسبات مايلي :

١- بالمناسبات اللفظيه بين أجزاء الكلام كالبعد عن التعقيد اللفظي،و تنافر الكلمات .

٢- المناسبات المعنوية التي تضمنتها الألفاظ وبذا يتضح أن هذا العلم أولَ ما بدأ وضم قسمين هما:

١ - المناسبات اللفظية. ٢- والمناسبات المعنوية .

ثم ظهر الاهتمام والاعتناء بالتناسب الذي يشمل الترابط المعنوي واللفظي جميعاً ويهتم بالمناسبة اللفظية في تركيزه على المناسبة المعنوية .

ومن خلال التركيز على المناسبة المعنوية اتسع النظر في ترابط القرآن حتى أصبح الحديث في الأنواع يشمل قسمين رئيسين هما :-

١- مناسبات الآي .

٢- مناسبات السور .

و قد اشتغل جمع من أهل العلم بكل من هذين النوعين فألف بعضهم مؤلفات تضم النوعين كالبقاعي في نظم الدرر والسيوطي في "أسرار التنزيل" ويسمى "قطف الأزهار في كشف الأزهار"(٢).

وألف البعض في مناسبات السور خاصة" كالبرهان في تناسب القرآن لابن الزبير الثقفي "

وتناول جمع من المفسرين مناسبات الآيات .

وقد ذكر السيوطي:"أن الأنواع الداخلة ضمن التناسب مما تضمنه كتابه السابق تصل إلى بضعة عشر نوعاً"(٣).

---

(١)عرف الجرجاني النوع بأنه:اسم دال على عدة أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص . التعريفات للجرجاني ٢٤٧ .

(٢) مخطوط برقم "٤١" مكتبة مراد بخاري تركيا.

(٣) مقدمة السيوطي لتناسق الدرر في تناسب السور ص ٢٥-٢٦،ت عبدالله الدرويش .

وهذه محاولة لحصر الأنواع التي يشتمل عليها كل من القسمين السابقين، أولاً الأنواع الداخلة ضمن مناسبة الآيات وهي :-

١- الربط بين أجزاء الآية الواحدة .

٢- مناسبة آخر الآية لأولها،وهو مايعرف بالتذييل والفاصلة.

٣- الربط بين الآية والآية .

٤- الربط بين عدة آيات .

٥- الربط بين مقطع ومقطع .

٦- الربط بين أجزاء السورة ،أي جميع الآيات في السورة الواحدة.

٧- مناسبة أول السوره لآخرها،وهو مايعرف بمناسبة فواتح السور لخواتمها.

وممايدخل ضمن مناسبات السور من أنواع مايلي :

- المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها .
- مناسبة مضمون السورة لمضمون ما قبلها.
- مناسبة آخر السورة لأول ماقبلها .
- تناسب بين السورتين في الموضوع .
- تناسب بين فاتحة السورة وفاتحة التي قبلها كالحواميم .
- تناسب مجموعة سور كالسبع الطول، والحواميم، والمسبحات .

وماتقدم هو تقسيم بحسب المواضع التي تكون عليها الآيات والسور ويمكن جعله قسيماً لنوع آخر اهتم به العلماء المتأخرون وإن وجدت الإشارة إليه من العلماء السابقين وهو مناسبة الموضوع.

فيكون التقسيم الثاني تقسيم المناسبة إلى نوعين :

الأول :مناسبات مَوضعيه وهي ماتقدم ذكرها، الثاني :مناسبات مَوضُوعية وهي مايتناول موضوعاً واحداً وعرفت بعد باسم (الوحدة الموضوعية) حيث يتكامل الحديث عن الموضوع الواحد بجمع آياته من مواضعها التي تتناسب فيه مع ماجاورها من آيات لأن السورة تشتمل على موضوعات ولها موضوع أومحور تدور عليه موضوعات السورة جميعاً يقول أحد الباحثين "وجمع القرآن لموضوعات عدة تصب في موضوع واحد،وتؤدي إلى هدف واحد في سورة واحدة عجيب ومعجز حقاً إذ هو يلائم بين موضوعات تبدو مختلفة ولكنها بصياغة تترابط في سورة،وبصياغة اخرى لبعضها تترابط مع موضوعات أخرى في سورة أخرى، ثم قال: ولا يستطيع بشر أن يفعل ذلك،وهذا واضح جد الوضوح في القصص القرآني،إذ القصة الواحدة واردة في أكثر من سورة، ولكنها تختلف في سورة منها عنها في أخرى تبعاً لموضوع السورة العام،وغرضها الذي يؤدي إليه ومما يزيد اليقين تباعد زمن نزول السورة "(١).

وحديثه المتقدم عن موضوع واحد متتبع خلال السورالقرآنيه ويمكن الوقوف على مناسبات موضوعية أخرى :

- كمناسبة أجزاء السورة لموضوع السورة، أومحورها الذي تدور عليه السورة وتتصل به الآيات مع بعضها بعضا، فلا ينظر فيه إلى آية بمفردها،بل إلى جميع الآيات .
- الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية .
- وحدة الموضوع في سورتين مرتبتين أومتفرقتين .
- تناسب مجموعة سور كالسبع الطول،وذوات الراء،أو الحواميم والمسبحات .
- موضوعات من خلال جميع السور القرآنية .
- هدف القرآن وموضوعه الأساسي .

---

(١)انظرالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية د.رفعت فوزي عبد المطلب، ص ٧-٨ بتصرف .

ثم إن للمناسبة من حيث الخفاء والوضوح، قسمان :ـ حيث أنها تكون جلية أو خفية .

وأما الجلي فهو: الذي يلتفت الذهن إليه في أول سماع الكلام.

وأما الخفي فهو: الذي لا يكون كذلك، واتفق على ذلك الأصوليون والبلاغيون فقد قسموا المناسبة إلى جلية وخفية (١).

قال الرازي بعد إيرادها: "ولا شك في تقديم الجلي على الخفي".

وعند المهتمين بالمناسبة في القرآن الكريم :من حيث الخفاء والجلاء على درجات ثلاث :

١ـ مناسبة ظاهرة جلية، وأمثلتها كثيرة وهي ماتبنى على الصلات الواضحة القريبة، وهو أن تكون الثانية مكملة للأولى وصلتها بها ظاهرة لأن الكلام متعلق بعضه ببعض ولم يتم بالآية الأولى فالأمر واضح والعلاقة بينة ويدخل في هذا ما ذكره الزركشي من أنه إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير والاعتراض الشديد فإن الأمر كذلك وزاد السيوطي البدل واتفقا على أن هذا القسم واضح لا يحتاج إلى كلام فيه (٢).

٢ـ مناسبة خفية ومثلوا لها بمثل قوله تعالى :[كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ*١٥١*] عقب قوله تعالى[وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *١٥٠*] (٣).

وكما في مناسبة قوله تعالى :[حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ *٢٣٨*] لما قبلها وما بعدها من آيات الطلاق(٤).

٣ـ ومتوسط بين الخفاء والوضوح ويمثل لها بالسؤال عن الأهلة (٥).

---

(١)"انظر المحصول ٦١٤/٢/٢ والإتقان ٩٨٢/٢-٩٨٤.
وموسوعة مصطلحات الفنون للتهانوي ٦/(١٣٦٦-١٣٦٧).

(٢)البرهان للزركشي ٣٧/١ الاتقان للسيوطي ٩٧٧/٢ .

(٣)انظر ربط الرازي مفاتيح الغيب ١٤٢/٤-١٤٣ وسيأتي ضمن ربط الآية بالآية ،وانظر بيان إعجاز القرآن للخطابي ٣٩ ،والإعجاز البياني ٤٦٧ .

(٤)تقدمت الإشارة إلى ربط الرازي ص(١٣٣).

(٥)الإعجاز البياني ص ٤٦٦ ،وسيأتي ربط الرازي لها.

وقد جعل السيوطي فصلاً في الاتقان ذكر فيه أنواع المناسبات:-

١- النوع الأول مناسبة فواتح السور وخواتمها،وإرتباط أوائل السور بخواتمها ظاهر جداً، وقد أُلف فيه السيوطي جزأ لطيف سماه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع" وأورد في الإتقان ماذكره الزمخشري في سورة المؤمنون حيث قال :"قال الزمخشري وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنون [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ] وأورد في خاتمتها [إنه لا يفلح الكافرون] فشتان مابين الفاتحة والخاتمة (١).

والمناسبة فيما ذكره واضحة جداً من مقدمة هذه السورة وخاتمتها على ذكر الشيء وضده فقد ذكر فلاح المؤمنين في أولها ونفاه عن الكافرين في خاتمتها والجامع التضاد.

٢- مناسبة السورة للسورة: أو ما أطلق عليه السيوطي مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ماقبلها: قد ذكر هذا النوع واهتم به عدد من العلماء منهم ابو جعفر بن الزبير الغرناطي في كتابه البرهان.

ونقل السيوطي عن أحدهم قوله:-"إذا اعتبرت اختتام كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم يخفى تارة ويظهر تارة أخرى ومثل له بافتتاح سورة البقرة بقوله [الٓمٓ* ذَٰلِكَ الْكِتَابُ] فإنه إشارة إلى الهداية إلى مافي قوله [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة، ثم بين أن لوضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفى صادر عن حكيم منها:

موافقة أول السور لآخر السورة التي قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة، ونقل عن بعض الأئمة أن سورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الاسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين،وآل عمران بمنزلة الجواب من شبهات الخصوم" (٢).

---

(١) التعريفات للشريف على بن محمد الجرجاني الطبعة الأولى بيروت دار الكتب العلمية ص٢٤٧.

(٢) انظر الاتقان ٢/٩٨٦-٩٨٧.

٧- ومن مسائل علم المناسبات: المناسبة في مقاطع الفواصل:-(*)

قال الزركشي: "واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً (١).

ثم تعرض إلى الفواصل وضرورة مناسبتها لما قبلها:

بعد أن ذكر أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام، وأواخره، وإيقاع الشيء فيها لما يشاكله فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً؛ وإلا خرج بعض الكلام عن بعض.

ثم حصر الفواصل في أربعة أشياء:

١- التمكين: وهو أن تمهد تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير "نافرة" ولا قلقة، متعلق معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاما؛ بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم (٢).

٢- التصدير: أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية، وتسمى أيضاً (رد العجز على الصدر).

ونقل السيوطي عن ابن المعتز تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

١ - أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر نحو [أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً *١٦٦*] (النساء)

٢ - أن يوافق أول كلمة منه نحو [وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ *٨*] (آل عمران).

٣ - أن يوافق بعض كلماته نحو [وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *١٠*] (الأنعام).

٤ - التوشيح: وهو أن يكون في أول الكلام مايستلزم الفاصلة.

قال: والفرق بينه وبين التصدير أن هذا دلالته معنوية.

٥ - الإيغال: وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها (٣).

---

(١) انظر البرهان للزركشي ١/٦٠-٦٣.

(٢) انظر المصدر نفسه ٧٢-٧٩.

(٣) انظر الإتقان ٢/٩٦٠-٩٦١، ٢/٨٦٩.

(*) ويأتي في الدراسة التطبيقية مزيد تفصيل له إن شاء الله تعالى.

الباب الثالث : الدراسة التطبيقية والمناسبات في تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي وفيه فصول .

الفصل الأول : نبذة عن حياة الفخر الرازي وكتابه .

الفصل الثاني : الدراسة التطبيقية لسورة الفاتحة .

الفصل الثالث : مقاصد سورة البقرة وموضوعاتها .

الفصل الرابع : ربط أجزاء الآية الواحدة .

الفصل الخامس : الفاصلة والتذييل .

الفصل السادس : الربط بين الآية والآية .

الفصل السابع : مناسبات المقاطع .

الفصل الثامن : مناسبات أجزاء السورة .

الفصل الأول : نبـذة عن حياة الفخـر الرازي ، وكتابه، وفيه :

ترجمة موجزة للرازي .

وصيـــتـه .

نبـذة عن التفسير الكبير «مفاتيح الغيب ».

الرازي والمناسبات بين التأثر والتأثير .

نبذة عن حياة الرازي :(١)

عاش الفخر الرازي في مدينة الري من أرض فارس في منتصف القرن السادس الهجري إلى مطلع القرن السابع الهجري وبالتحديد ما بين(٥٤٤-٦٠٦هـ) وهذه ترجمة موجزة لحياته :

اسمه : محمد بن عمر، ويعرف بابن الخطيب .

نسبه : محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي .

نسبته : الرازي،الطبرستاني،القرشي ،التيمي،البكري ابن الخطيب،ابن خطيب الري .

الملقب: بالإمام، شيخ الإسلام في هرات، الفقيه الشافعي،المفسر، الإمام الأصولي، المتكلم، فخر الدين، إضافة إلى أنه شاعر فيلسوف، ونحوي لغوي، وخطيب مربي .

المكنى: بأبي عبد الله، وأبي المعالي .

صفاته : وصفه السبكي بالمراقبة، ومحاسبة النفس، ورقة النفس، وكثرة البكاء، واشتهر بإجادة الوعظ باللسان العربي والعجمي ،قال ابن كثير :"وكانت له عبادات وأوراد،ثم نقل عن أبي شامة قوله :"ولا كلام في فضله ولا فيما كان يتعاطاه ،وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعاً زائداً"

مولده :ولد بالري في شهر رمضان سنة (٥٤٤هـ)، على الصحيح وقيل سنة (٥٤٣هـ).

---

(١)مادة هذه الترجمة هي ما دون في المصادر الأصيلة من كتب التراجم والتاريخ إضافة إلى كتب حديثة ورسائل علمية رصينة وللاستزادة في ترجمته انظر:وفيات الأعيان لابن خلكان(٢٤٨-٢٥٢) تحقيق إحسان عباس طبعة دار صادر بيروت .

طبقات الشافعية لابن السبكي ٨١/٨-٩٦،ت عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي (ط ١ عيسى البابي الحلبي)وسير أعلام النبلاء(٥٠٠/٢١) ط١ مؤسسة الرساله، ت بشار معروف محي هلال وآخرون.

البدايه والنهاية لابن كثير٦٠/١٣، ط ١،دار الكتب العلمية بيروت.

نشأته و علمه:

نشأ الفخر الرازي في بيت علم ودين تحت رعاية والده الفقيه الشافعي المربي الفاضل خطيب الري وعالمها المعروف "بضياء الدين عمر"، الذي علمه ورباه على يديه (*) فنشأ محباً للعلم حافظاً له شغوفاً به باذلاً جل وقته في طلبه حتى قال: "والله إني لأتأسف في الفوات عن الاشتغال في طلب العلم في وقت الأكل، فإن الوقت والزمان عزيز "(١).

واشتهر بكثرة المطالعة، ودقة الفهم، واتقاد الذهن، وسرعة البديهة وتعلم على يدي والده وعلماء بلده فحوى علوماً وثقافات شتى، وبرع فيما اشتهر به أهل بلده من علوم كعلم الكلام ونحوه فأثر ذلك على علمه بالحديث النبوي إذ لم يكن من المشتغلين به.

رحلاته:

انتقل الرزاي من بلده إلى كثير من البلدان في طلب العلم وهذا مجمل رحلاته :

١- رحل إلى خوارزم ثم أخرج منها قبل أن يبلغ الأربعين.

٢- ثم رحل إلى بخارى سنة ٥٨٠هـ تقريباً.

٣- ثم رحل إلى سمرقند وخجند وبناكيت وغزنة وبلاد الهند.

٤- ثم عاد إلى بخارى.

٥- ثم عاد إلى الري ثم تنقل بينها وبين هرات ثم أقام بهرات أواخر حياته.

وفاته :

توفي الرازي عن ثلاث وستين سنة في أول شوال وقيل في ذي الحجة من سنة (٦٠٦هـ) (٢).

(*) وكان الرازي يأخذ عنه ويشير إليه في كتبه فيقول: (الشيخ الوالد، الاستاذ الوالد، والإمام السعيد).

(١) انظر الوفيات ٦٧٧/١، وعيون الانباء ٣٣/٢.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ٣٠٢/٩. والبداية والنهاية لابن كثير ٦١/١٣.

مآخذ على الرازي :

الرازي رأس من رؤوس أهل الكلام فهو إمام المذهب الأشعري في زمنه وقد نحى به منحى فلسفيا حيث يعتبر المقعد للمذهب الأشعري قال د.محمد صبحي: "واختط في علم الكلام منهجاً وإن لم يكن مستحدثاً تماما إلا أنه قد عدل فيه عن منهج سابقيه من متكلمي الأشاعرة "(١).

ويمكن إجمال المؤاخذات على الرازي فيما يلي :

١- أنه جعل مصدر التلقي في أصول الدين (العقل) ويدل على هذا ما قاله في تفسير قوله تعالى :[يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ *٢١* ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ *٢٢*]

حيث قال:"اعلم أنه سبحانه لما أمر بعبادة الرب أردفه بما يدل على وجود الصانع وخلق المكلفين وخلق من قبلهم ؛ وهذا يدل على أنه لا طريق إلى معرفة الله تعالى إلا بالنظر والاستدال، وطعن قوم من الحشوية في هذه الطريقة وقالوا الاشتغال بهذا العلم بدعة، قال ولنا في إثبات مذهبنا وجوه عقلية ونقلية "(٢).

وأعاد ذلك في تفسيره لقوله تعالى:[وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا ...الآية*٢٣*] بقوله :"اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع وإبطل القول بالشريك عقبه بما يدل على النبوة وذلك يدل على فساد قول التعليمية الذين جعلوا معرفة الله مستفادة من معرفة الرسول وقول الحشوية الذين يقولون لا تحصل معرفة الله إلا من القرآن والأخبار"(٣).

---

(١) انظر في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ٢/ الأشاعرة ٢٧٨، د. أحمد محمود صبحي، ط ٥ دار النهضه بيروت .

(٢) مفاتيح الغيب ٨٧/٢ .

(٣) انظر المصدر نفسه ٢/ ١١٥ .

ومما يؤخذ عليه :- قوله " إن علم الكلام هو أشرف العلوم وأجلها " في مواضع من كتبه ؛ مع أن علم الكلام مذموم عند الأئمة الأعلام وقد نقل الرازي نفسه عن الشافعي أنه قال :"حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل منكسين، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأخذ في الكلام ، ونقل عنه غير ذلك مما قال في ذم علم الكلام"(١).

ومما يبين مذهبه في صفات الله تعالى قوله :"وأقول أنه قد ثبت أن الصفات التى هى كمالات حقيقة ليست إلا القدرة والعلم ، فعبر سبحانه عن كمال القدرة بقوله [لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] ملكا وملكا ، وعبر عن كمال العلم المحيط بالكليات والجزئيات بقوله [وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ] وإذا حصل كمال القدرة والعلم، فكان كل من في السموات والأرض عبيدا مربوبين وجدوا بتخليقه وتكوينه "(٢).

وهنا كأنه قصر صفات الله على القدرة والعلم؛والصواب أن كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فهو صفة كمال فيوصف بكل ما وصف به نفسه من غير تأويل أو تشبيه أوتمثيل بل تمر كما جاءت .

أما الرازي فإنه يوؤل بعضها كما في صفة المجيء من قوله تعالى: [هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَآئِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ *٢١٠*]فقد أورد الرازي قول المتكلمين وزعم أن المجئ لآيات الله بدلالة الآية المتقدمة حيث قال الوجه الثالث :وهو قول جمهور المتكلمين أنه لابد من التأويل على سبيل التفصيل.

ثم قال:" فلما كان المقصود من الآية إنما هو الوعيد والتهديد وجب أن يضمر في الآية مجيئ الهيبة والقهر والتهديد ومتى أضمرنا ذلك زالت الشبهة بالكلية "(٣).

والأدلة الصحيحة تدل على إثبات صفة المجيئ له سبحانه كما يليق بجلاله ، ومما يستدل به على ذلك هذه الآية .

---

(١) انظر مناقب الإمام الشافعي (٩٩- ١٠٦)تحقيق د.أحمد حجازي السقا، ط١ الكليات الأزهرية مصر ١٤٠٦هـ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٢٣/٧-١٢٤ .

(٣)المصدر نفسه ٢١٤/٥ .

ومما يؤخذ عليه أنه ألف كتباً في السحر والتنجيم والرمل :
فقد صحح الزركان نسبة كتاب "السر المكتوم في مخاطبة النجوم" للرازي بإحالات الرازي إليه في كتبه الأخرى وضح فيها أنه ألف كتاباً في السحر باسم "السر المكتوم في مخاطبة النجوم ".

كما صح أنه ألف كتاباً سماه "الإختيارات العلائية "(١).

ولقد انتقد الرازي في تأليفه لهما جمع من المتقدمين منهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال :" صنف الرازي كتاباً في عبادة الكواكب والأصنام وعمل "السحر ومخطابة النجوم "ويقال:إنه صنف كتاباً سماه "الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية ".

قال :"وهذه الاختيارات لأهل الضلال بدل الاستخارة التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين (٢)".

وقال الذهبي في ترجمته "وله كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم سحر صحيح، فلعله تاب منه إن شاء الله تعالى"(٣).

وقد جاء في تفسيره مايشير إلى أنه رجع عن هذه المؤلفات وأمثالها فعند قوله تعالى: [كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ*٢٨*]

قال :" هذه الآية دالة على أمور الأول: أنها دالة على أنه لا يقدر على الإحياء والإماتة إلا الله تعالى فيبطل به قول أهل الطبائع من أن المؤثر في الحياة والموت كذا وكذا من الأفلاك والكواكب والأركان والمزاجات كما حكى عن قوم في قوله [مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ](٤).

---

(١)انظر فخر الدين الرازي وأراءه الكلامية والفلسفية(١٠٨-١١١).

(٢)انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ١٨٠- ١٨١ .

(٣)ميزان الاعتدال في نقد الرجال(٣/٣٤٠) ت علي محمد البجاوي .

(٤) مفاتيح الغيب ٢/١٥٢ و ٢ / ١٥٨ .

ويضاف للمؤاخذات ما أخذ عليه في التفسير خاصة:

- ادخال الفلسفه والعلوم المختلفه إلى تفسيره كما عابوا عليه كثرة الاستطرادات وهذا واضح من تفسيره وقد أشار لذلك في وصيته فقال:" وأما الكتب العلمية التي صنفتها أو استكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها فمن نظر في شيء منها فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام وإلا فليحذف القول السيء، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وتشحيذ الخاطر والاعتماد في الكل على الله تعالى.

وينسب لابن تيمية أنه قال عن تفسيره فيه كل شيء إلا التفسير وصحح بعضهم العباره فقال:"فيه كل شيء مع التفسير" فيكون الجميع متفقون على أنه ضم ماليس بتفسير والناظر في تفسير سورة "الفاتحة" يجد أنواعاً زاحمت تفسير السورة حتى لايكاد يرى.

- تأثير الفلسفة على علمه بالحديث مما أوقعه في بعض الموضوعات كما يتضح من كتبه وقد أشار ابن تيمية إلى أن الرازي وأمثاله لم يكن لهم من المعرفة بالحديث ما يعدون به من عوام أهل الصناعة فضلاً عن خواصها (١).

- إثارة شبه واشكالات ثم ضعفه عن الرد قال ابن حجر :"وكان يعاب بإيراد الشبه الشديدة ويقصر في حلها حتى قال بعض المغاربة :"يورد الشبهة نقداً ويحلها نسيئة"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى ٧١/٤ .

(٢) انظر لسان الميزان لابن حجر ٤٢٦/٤-٤٩٢ .

ماتقدم كان عرضاً لما أخذ على الرازي وقبل ذكر ماله من محاسن يأتي ذكر وجه إيراده ما تقدم وقد دافع الرازي عن نفسه في مواضع من أهمها :

وصيته قبل موته :

حيث قال فيها:"يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسين الرازي وهو في آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاسي، ويتوجه إلى مولاه كل آبق :-

وبعد حمده الله بما يستحق من المحامد قال:" وأصلي على الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين وجميع عباد الله الصالحين ثم أقول بعد ذلك:"اعلموا أنني كنت رجلاً محباً للعلم فكنت أكتب في كل شيء لا أقف على كميته وكيفيته سواء كان حقاً أو باطلا غثاً أو سمينا؛ إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي أن هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبره .....ولقد أختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع من التعمق في إيراد المعارضة والمناقضات وما ذاك إلا للعلم لأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضائق العميقة والمناهج الخفية .

ثم قال :وأما ماانتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد فهو كما هو، والذي لم يكن كذلك أقول ياإله العالمين " ثم دعا الله أن يرحمه فيما مر به قلمه أو خطر بباله؛ لأنه لم يرد بذلك تحقيق باطل أو إبطال حق .

ثم قال: وأقول ديني متابعة سنة محمد سيد المرسلين وكتابي هو القرآن العظيم وتعويلي في طلب الدين عليهما " ثم دعا الله معترفاً بالزلة والقصور ثم قال:" وأما الكتب العلمية التي صنفتها أو استكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها فمن نظر في شيء منها فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام وإلا فليحذف القول السيء، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وتشحيذ الخاطر والاعتماد في الكل على الله تعالى"(١) .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب التعريف بالمؤلف ج١ المقدمة ،وطبقات الشافعية ٩٠/٨.

ثم سرد الوصية إلى آخرها ثم قال:" وهذا منتهى وصيتي في هذا الباب والله تعالى الفعال لما يشاء وهو على كل شيء قدير وبالإحسان جدير"(١).

وقد أثنى ابن حجر على وصيته فقال :"أوصى وصية تدل على حسن الاعتقاد"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في سياق من رجع إلى منهاج السلف قبل الموت أو عند الموت:" وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات [الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ]، [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ]، واقرأ في النفي [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]،[وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا]،[هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا] ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وكان يتمثل كثيراً :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا(٣).

وقال ابن حجر:" والفخر كان من أئمة الأصول وكتبه في الأصلين شهيرة وله مايقبل وما يرد.

قال :"وكان مع تبحره في الأصول يقول من التزم دين العجائز فهو الفائز"(٤).

وذكر الفاضل بن عاشور:"أن الرازي بنى تفسيره على ماورد في وصيته من تفضيل المنهج القرآني على المناهج الفلسفية والطرق الكلامية فقال:وقد جعل الإمام الرازي غايته ....أن يضع القرآن العظيم موضع الدراسة والبحث والتحليل على منهج يرى تفوق الحكمة القرآنية على سائر الطرائق الفلسفية ثم أورد ماأملاه في وصيته من اختبار الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ثم قال وعلى هذا الأساس أقام فخرالدين الرازي تفسيره الكبير"(٥).

---

(١) انظر مفاتيح الغيب التعريف بالمؤلف ج١.

(٢) لسان الميزان ٤٢٩/٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ٧٢/٤-٧٣ .

(٤) لسان الميزان ٤/ ٤٢٦- ٤٢٩ .

(٥) انظر التفسير ورجاله للفاضل بن عاشور ١٠٤.

وممن تعرض لما لتفسير الرازي من محاسن د.محسن عبد الحميد فقد ذكر من ميزاته:

١- حسن تقسيمه للموضوع الذي يتناوله .

٢- عد من ميزاته استخراج الحكم القرآنيه .

٣- عرضه لقضية الإعجاز من خلال عرضه لمفهوم النظم .

٤- إذا قرأنا النماذج التى قدمناها مرة ثانية بامعان رأينا أن آراء الرازي لا تقل في مستواها وموضوعيتها عن مستوى آراء كبار العلماء والمفسرين بل تفوق عليها في بعض الأحيان، وحتى الآراء التى لا نقبلها نعترف بقوة الرازي المنطقية فيها، وقلما نجد عنده رأيا لا نرضاه، ففي النموذج الثانى نرى في رأيه ضعفا واضحا، لأن الخطاب مفهوم بالبديهة، وهذا الرأى ناتج عن تطبيقه الحرفي لقواعد الأصول التى كان بارزاً فيها ومتأثرا بها إلى حد كبير .

٥- أن الرازي يبتعد في إبداء آرائه عن التكلفات فهو يحاول أن يفهم الآية الكريمة بأقرب الطرق وأبعدها عن التكلف مراعيا أمورا معينة حددت منهجه في تناول تفسير الآية (١) .

وأكد الزركان ومحسن عبد الحميد: أن ابن الخطيب وإن أخذ بالسبل الكلامية والفلسفية إلا أنه كان يحس أن طريقة القرآن هي أفضل الطرق قال د. محسن، وقد ظهر هذا الإحساس بسورة واضحة ابتداء من تأليفه التفسير الكبير وبلغ قمة وضوحه في الوصية (٢).

---

(١) الرازي مفسراً ٢٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ٢٤٠، ٢٢٦-٢٢٧ .

(*) وقد تناول هذه القضية في كتابه" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " ومماقال فيه:" لما ثبت أن عجز العرب إنما كان للمزايا التي ظهرت لهم في نظم القرآن والبدائع التي راعتهم من مبادئ الآيات ومقاطعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة،وتنبيه واعلام وتذكير وجب على العاقل أن يبحث عن تلك المزايا والبدائع ماهي ؟ وكم هي؟ وكيف هي؟ ثم ذكر أوجهاً بلاغية منهاالوصل والفصل(نهاية الإيجاز ٥٤-٥٩) .

مؤلفاته وآثاره :

ألف الرازي مؤلفات كثيرة في فنون عديدة وقد ذكر ابن كثير أن مؤلفاته (نحو من مائتي مصنف من التصانيف الكبار والصغار)

ذكر الباحثون أنه نسب إلى الرازي كتب كثيرة منها ما ثبت تأليفه لها ومنها ماهو مشكوك فيه أما ما ثبت تأليفه له فهو في العلوم التالية :-

١- التفسير .

٢ - الإعجاز .

٣- المنطق والفلسفة .

٤- علم الكلام .

٥- الجدل والخلافيات .

٦- الفقه والأصول .

٧- أدب اللغة العربية وعلومها .

٨- التاريخ .

٩- الرياضة والفلك .

١٠- السحر والرمل والتنجيم .

١١- كتب عامة أو دوائر معارف .

١٢- كتب مجهولة الموضوع(١).

ومن الضروري في هذا الموضع تناول ما يتعلق بالتفسير والإعجاز(*) بشيء من التفصيل وبالله التوفيق .

---

(١) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية دار الفكر بيروت (٥٦-١١٨)، الرازي مفسراً د.محسن عبدالحميد ٣٨-٤١ .

(*) تقدم الحديث عن كتابه في الإعجاز ص:٨٤ - ٨٥ .

نبذة عن التفسير الكبير «مفاتيح الغيب».

أما التفسير فله التفسير الكبير المعروف "بمفاتيح الغيب" بدأ الرازي تفسيره بحمد الله والصلاة على رسوله ثم قال أما بعد فهذا كتاب مشتمل على شرح بعض مارزقنا الله تعالى من علوم سورة الفاتحة ونسأل الله العظيم أن يوفقنا لإتمامه ...وهذا الكتاب مرتب على مقدمة وكتب أما المقدمة ففيها فصول .

وقال في الفصل الأول :"اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من أهل الجهل والغي والعناد....فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول"(١).

وكما تقدم قبل في مقدمته لسورة الفاتحة بين أنه سيجعله على مقدمة وكتب، ويظهر من مقدمته أنه ماكان ينوي الكتابة في سوى الفاتحة.

واجمعت المصادر أن له تفسيراً للقرآن يسمى"التفسير الكبير مفاتيح الغيب " لكنها اختلفت بعد ذلك فبعض المصادر تشير إلى أنه أتمه ، وأخرى صرحت بأنه لم يتمه .

وذكر ابن خلكان: أن له تفسير القرآن الكريم،جمع فيه كل غريب وغريبة ، وهو كبير جداً، لكنه لم يكمله"

ثم اختلف المؤرخون فيمن أتم تفسير الرازي، فمنهم من قال: أتمه أحد تلاميذه وهو شمس الدين الخوئي (ت ٦٣٩هـ).

ومنهم من قال:"إن الذي أكمله نجم الدين القمولي المتوفي (سنة ٧٢٨هـ وقيل ٧٢٧هـ)(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٣/١ .

(٢)طبقات المفسرين للسيوطي(١٠٠)والبداية والنهاية(٥٥/١٣) وانظر طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوي ١٦٩/١ ت.كمال الحوت ط ١ دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ.

وذكر المؤرخون له تفسيرات مفردة هي :

١- تفسير سورة الفاتحة "مفاتيح العلوم ".

٢- تفسير سورة الإخلاص .

٤- اسرار التنزيل وأنوار التأويل،وأشار الباحثون إلى أنها ضمن التفسير .

وأمام الروايات التاريخية اختلفت آراء الباحثين إلى ما يلي :

الأول : رأي الشيخ محمد حسين الذهبي وهو يرى أن الإمام فخر الدين، كتب تفسيره إلى سورة الأنبياء، معتمداً على ماورد في كشف الظنون عن شرح الشفا للشهاب الخفاجي(١).

الثاني : رأي الشيخ محمدالفاضل بن عاشور حيث يقول :" والذي يبدو في نظرنا فيصلا بين ذلك كله أن الرازي لما انتصب في آخر حياته لتصنيف التفسير تمكن من إخراج شيء منه في تحريره النهائي وبقي شيء في الامالي والمسودات بيد بعض تلاميذه، فأقبل على تصنيفه وتحريره، والحق في ذلك الفرع بالاصل؛ فالكتاب بروحه هو للرازي كله وبتحريره هو من وضعه في الاول ووضع تلميذه الخوئي في الآخر .

ثم قال :"على أن تحقيق محل الفصل بين التحريرين أمر لا دليل عليه ولا سبيل إلى تحقيقه بالقطع، ولا سيما وبين يدينا أدلة على أن تفسير الرازي قد كان ذكره شائعاً ونصه مفقوداً في أوائل القرن الثامن ببلاد العجم كما ورد ذلك في كلام للامام شرف الدين الطيبي في حاشيته على الكشاف نقلا عن والده ومن ذلك يستقرب أن مطلع النص التحريري للكتاب إنما كان من الشام و مواطن الشهاب الخوبي،بحيث لم ينتشر في أقصى بلاد العجم إلا في القرن الثامن"(٢).

الثالث: الدكتور العماري وقد مال إلى أن الرازي أتم تفسيره وأن التفسير له كاملاً عدا سورة الواقعة(٣).

---

(١) التفسير والمفسرون ٢٩٢/١ -٢٩٣ .

(٢) أنظر التفسير ورجاله لمحمد الفاضل ابن عاشور صـ٩٠ وما بعدها .

(٣)انظر الرازي وآثاره للدكتور على العماري وقد أطال النفس في هذه القضية وختم بأن الكلمة الفاصلة في هذه القضية لا تزال في زاوية مجهولة من زوايا التاريخ ١٦١-١٨٧ .

الرابع : يرى كل من الشيخ الدكتور محمد القاسم (١)والدكتور محمد الزركان(٢) والدكتور محسن عبدالحميد (٣)والدكتور محمد هنادي(٤)أن الرازي أتم تفسيره وأن تفسير مفاتيح الغيب له اعتباراً من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الناس .

ولعل مايفصل النزاع ويحل الإشكال في هذه المسألة هو الوقوف على النسخ الخطية كاملة لتتم المقارنة ويظهر الصواب في هذه المسألة .

وإن مما يؤيد رأي القائلين بأن الرازي لم يتم تفسيره وإنما أتمه الخوئي مافي نسخة مخطوطة لتفسير الرازي أصلها في مكتبة تشستربتي (برقم ٤١٦٥) وتوجد صورتها في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وهي نسخة كتبها بقلم نسخي دقيق :حسن بن حسين ابن عمار القراحصاري الصاحبي (سنة ٨٨٥) الصفحات الأولى مزخرفة وفي الحاشية تصحيحات وتقييدات وقد انتشر الحبر فيها إضافة إلى آثار الرطوبة وقد جاء بعد تفسير (سورة يس) أنه من أول تفسير سورة العنكبوت إلى تفسير هذه السورة ليست من تفسير الفخر الرازي وإنما هي من تفسير القاضي شمس الدين الخوئي (٥).

ثم إن الناظر في الأسلوب الكتابي الذي يسير عليه الرازي يجده مخالفاً ومغايراً للإسلوب الذي كتب به مابين(سورة العنكبوت إلى سورة يس)(٦) مما يؤكد ما تقدم في المخطوطة السابقة بأن هذا الجزء هو من تفسير أوصياغة القاضي شمس الدين الخوئي .

فيكون هذا حلاً لبعض ما قيل أنه ليس من تفسير الرازي بل هو من تفسير الخوئي أما ما نسب للقمولي فلا يمكن الحكم على ذلك إلا بعد الوقوف على النسخ الخطية كاملة .

ومهما يكن فإن العلماء مجمعون على أن الفخر الرازي هو الذي ألف تفسير سورتي الفاتحة والبقرة وهي مجال البحث في هذه الدراسة .

---

(١)الإعجاز البياني د.محمد القاسم ٤٦ .

(٢) انظر فخر الدين الرازي وآراءه الكلامية ٦٥-٦٦ .

(٣) انظر الرازي مفسراً٥٢-٦٣ .

(٤) الرازي وآراءه النحوية والصرفية ٤٠-٤١ رسالة دكتوراة في جامعة أم القرى لمحمد هنادي .

(٥) انظر فهرست المخطوطات والمصورات الجزء الثاني(٢٨١/٢) ط عمادة شؤون المكتبات بجامعة الإمام الرياض .

(٦)انظر مفاتيح الغيب ٢٥ /٢ -٣٨/٢٦ .

وقد أشاد الزركشي والسيوطي بما تضمنه تفسير الرازي من مناسبات: فقالا :" قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته؛ وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي، وقال في تفسيره :"أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط "(١).

وأثنى عليه كذلك من الباحثين المعاصرين:

الشيخ د.محمد القاسم فقال عن تفسير الرازي :" وهذا الكتاب يعتبر أول مادون في علم التفسير الذي يهتم بمناسبات القرآن،فالفخر الرازي وإن كان مسبوقاً بهذا الفن في الدراسة لكنه أول من دون فيه وأودع هذا الكتاب الحافل بهذا النوع من التفسير"(٢).

وقال في مدى تعرض الكتاب للمناسبات :"إن الكتاب حافل بالمناسبات الكثيرة،سواء بين الآية والآية، أو والنجم والنجم،أو أجزاء السورة عامة أو بين السورة وسابقتها أو لاحقتها، ولو جمعت هذه المناسبات في كتاب مستقل لكانت سجلاً عظيماً"(٣).

ومن ذلك قول د. علي العماري :"والرازي ينتبه إلى دقائق في النظم ربما غفل عنها الكثيرون ." ويقول :"والحق أن نظرات الرازي في هذه المناسبات متنوعة، ولطيفة وبارعة وقد تحتاج في تبيانها إلى رسالة خاصة"(٤).

واعتبر د.محسن تفسيرالرازي دراسة إسلوبية بلاغية اعتمد فيها ما ذهب إليه عبدالقادر الجرجاني في نظرية النظم فوسعها الرازي وطبقها على الآيات القرآنية وأضاف إليها أموراً كثيرة ومن أهمها الأهتمام بنظم الآيات وترتيبها والاستدلال بذلك في إعجاز القرآن الكريم(٥).

وبين أن حديث الرازي عن الروابط بين السور من ميزات تفسيره.ثم أشار إلى اهتمامه بترتيب الآيات إيماناً منه بالوحدة القرآنية وتناسق آياتها وتسلسل معانيها(٦).

وقد أكد ذلك د. رفعت فوزي فقال:"إن الرازي أول من حاول الوقوف على الموضوع الكلي للسوره أومايعرف بالوحدة الموضوعية للسورة(٧)".

---

(١)انظر البرهان للزركشي ٣٦/١،والإتقان للسيوطي ٩٧٦/٢ .

(٢)الإعجاز البياني ٤١ .

(٣)المصدر نفسه٤٧ .

(٤) انظر الرازي وآثاره للدكتور على العماري ١٣٢-١٣٣ .

(٥) انظر الرازي مفسراً ٦٤ .(٦) المصدر نفسه١٦٣-١٦٤ .

(٧) انظر الوحدة الموضوعية للسورة القرآنيةص ١٣- ١٤د.رفعت فوزي عبد المطلب، ط.دار السلام .القاهرة ١٤٠٦هـ .

الرازي والمناسبات بين التأثر والتأثير :

وممن صرح الرازي بالأخذ عنهم :

١- ابوبكر الأصم (ت/في الدوله العباسية بعد زمن المأمون.) وينقل عنه ربطه للآيات قال الأصم :إن الله تعالى فرض الحج والعمرة ثم أمر عباده أن يتموا الآداب المعتبرة،وذكر الشيخ الامام بو حامد الغزالى رحمة الله في كتاب الاحياء مايتعلق بهذا الباب فقال:الأمور المعتبرة قبل الخروج إلى الاحرام ثمانية(١).

٢- القفال (ت/٣٦٥هـ) وينقل عنه كثيراًمن الربط بين الآيات كما نقل عنه ربط[وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ] بماقبلها.

٣- القاضي عبد الجبار الهمداني (ت/٤١٥هـ) وقد نقل بعض أقواله في ربط الآيات كما في ربط [وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ]بقوله[وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ].

٤ - جار الله الزمخشري (ت/٥٣٨هـ)في مواضع كثيرة .

كقوله :عند قوله تعالى[هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ] إنها جملة مستقلة وما قبلها جملة أيضا وكذا ما بعدها فقال نقلاً عن صاحب الكشاف ويجوز أن يقال إن قول [الٓمٓ] جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و[ذَلِكَ الْكِتَابُ] جملة ثانية ، و[لاَ رَيْبَ] ثالثة ، و[هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ] رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعناق بعض ، الثانية متحدة بالأولى وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة(٢).

٥- وأبو مسلم الأصبهاني محمد بن بحر وهو ممن يأخذ عنه المناسبات له تفسير مفقود .

٦- أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت٤٨٧هـ)(٣)

٧- وعبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز(٤).

كان هذا سرداً لمن استفاد الرازي منهم في تفسيره خاصة من أخذ عنهم شيئاً مما يربط به بين الآيات .

---

(١)مفاتيح الغيب ٥-١٤٤ .

(٢)انظر المصدر نفسه٢٢/٢ ، الكشاف ٢١/١ .

(٣) مفاتيح الغيب ٤/٦ .

(٤)المصدر نفسه ٤/٦ .

ـ ذكر من أخذوا عن الرازي واستفادوا منه فيما يتعلق بربط الآيات واكتفيت بإشارات مختصرة لبعض منهم :

١ـ أبوحيان في تفسيره "البحر المحيط" في مواضع أخذها منه فيما يتعلق بنظم القرآن وغيره (١) .

٢ـ الحسن بن محمد القمي النيسابوري (ت/٧٢٨هـ)حيث ضمن كتابه "غرائب الفرقان"الكثير من تفسير الفخر الرازي ونوه بذلك في مقدمة تفسيره "غرائب القرآن ورغائب الفرقان".

فقال:"ولما كان التفسير الكبير المنسوب إلى الإمام الأفضل، والهمام الأمثل، الحبر النحرير، والبحر الغزير، الجامع بين المعقول والمنقول، الفائز بالفروع والأصول، أفضل المتأخرين،فخر الملة والحق والدين "محمد بن عمر بن الحسن الخطيب الرازي " تغمده الله برضوانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق لمسماه ، وفيه من اللطائف والبحوث مالا يحصى، ومن الزوائد والغثوث مالا يخفى، فإنه قد بذل مجهوده ، ونثل موجوده ، حتى عسر كتبه على الطالبين،واعوز تحصيله على الراغبين، فحاذيت سياق مرامه ، وأوردت حاصل كلامه ، وقربت مسالك أقدامه ، والتقطت عقود نظامه ، من غير إخلال بشيء من الفرائد، وإهمال لما يعد من اللطائف والفوائد .وضممت إليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات"(٢).

٣ ـ القاضي البيضاوي عبد الله بن محمد الشيرازي البيضاوي صاحب تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل الذي اهتم بالمناسبات وضمن كتابه الكثير منها نقلاً عن الفخر بعبارات مختصرة (٣).

وممن أخذ عنه أوجه التناسب بعض من المفسرين المتأخرين

٤ ـ كالألوسي في تفسيره روح المعاني.

٥ ـ ورشيد رضا في تفسير المنار،

٦ ـ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره وآخرون .

وبهذا ينتهي الحديث فيما يتعلق بحياة الرازي،والمتأثرون به ، وتبدأ الدراسة التطبيقية .

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٣١١ .

(٢)انظر مقدمة تفسير النيسابوري .

(٣) تفسير البيضاوي ٢٢ .

الفصل الثاني : الدراسة التطبيقية لمناسبات سورة الفاتحة من تفسير الفخرالرازي .

المبحث الأول : موضوعات السورة ومقاصدها .

المبحث الثالث : مناسبات سورة الفاتحة وفيه:

ربط آيات الفاتحة .

ربط أجزاء السورة ومقاطعها وفواصلها .

ربط الرازي الفاتحة بغيرها من السور .

المبحث الأول : موضوعات السورة ومقاصدها :

قبل البدء في ذكر مناسبات آيات الفاتحة وترابطها لا بد من نظر في موضوعات سورة الفاتحة ومقاصدها إذ أن معرفة المقصود سبيل لإدراك ترابطها كما تقدم(*) وقد تكلم الرازي في مقاصدها ومناسبتها لسور القرآن عند كلامه في أسمائها حيث قال: "اعلم أن هذه السورة لها أسماء كثيرة وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ثم قال عند ذكر اسمها "أم القرآن ":"والمقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة :الإلهيات، والمعاد، والنبوات، واثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يدل على الإلهيات، وقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يدل على المعاد وقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على نفي الجبر، وعلى إثبات أن الكل بقضاءه وقدره، وقوله : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة ... يدل على إثبات قضاء الله، وعلى النبوات، فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة التي هي المقصد الأعظم من القرآن "(١).

وهنا بين الرازي مجمل ما جاءت به سورة الفاتحة واشتملت عليه من مقاصد القرآن التي أنزل لأجلها.

وقد وافق الرازي على ذلك ابن الزبير الثقفي عند حديثه عن مناسبة هذه السورة لسور القرآن فقال :" قد ذكر الناس كيفية تضمنها مجملاً لما تفصل في الكتاب العزيز بجملته ،وهو أوضح وجه في تقدمها سوره المكرمة ".

ثم قال:"وفيها تعقيب الحمد له سبحانه بذكر صفاته الحسنى،والإشارة إلى إرسال الرسل في قوله [اهْدِنَا] وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وقد قال تعالى [أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ]وذكر افتراق الخلق بذكر المهتدين وذكر المغضوب عليهم والضالين وأن ملاك الهدى بيده :[وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] وهذا كله أشفى شيء في بيان وجه التقديم"(٢).

أي في وجه تقديم سورة الفاتحة على غيرها من السور .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ١٧٣/١ .

(٢) انظر البرهان في تناسب سور القرآن ٧٧-٧٨ .

(*) انظر القاعدة الثامنة من قواعد المناسبة ص:٩٧ .

وتحدث البقاعي عن مقصود الفاتحة بعد أن بين أن مقصود كل سورة هاد إلى تناسبها بين طريقته فقال:" أذكر المقصود من كل سورة ،وأطبق بينه وبين اسمها، وأفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة ،ولا أخرج عن معاني كلماتها؛ فالفاتحة اسمها (أم الكتاب) و(الأساس) و(المثاني) و(الكنز) و(الشافية) و (الكافية)و(الوافية) و(الواقية) و(الرقية) و (الحمد) و (الشكر) و (الدعاء) و (الصلاة) ؛ فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد وهو المراقبة التي سأقول إنها مقصودها فكل شيء لايفتتح بها لا اعتداد به، وهي أم كل خير،وأساس كل معروف ،ولا يعتد بها إلا إذا ثنيت فكانت دائمة التكرار،وهي كنز لكل شيء ،شافية لكل داء،كافية لكل هم، وافية بكل مرام،واقية من كل سوء،رقية لكل ملم، وهي إثبات للحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء فانه التوجه إلى المدعو، وأعظم مجامعها الصلاة ".

ثم قال:"إذا تقرر ذلك فالغرض الذي سيقت له الفاتحة ،هو إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال،واختصاصه بملك الدنيا والآخرة وباستحقاق العبادة والاستعانة ،بالسؤال في المن بإلزام صراط الفائزين،والإنقاذ من طريق الهالكين مختصاً بذلك كله ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم لإفراده بالعبادة ،فهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسائل إليه(١).

قد لايستقيم هذا المقصود الذي اختاره مع كل اسم للسورة فإن تسميتها (بالمثاني) ليس فيه دلالة مباشرة على المراقبة التي جعلها مقصود السورة ،ثم إنه مسبوق بإشارة الرازي إلى العلاقة والمناسبة بين السورة واسمها؛ فبين مناسبة تسميتها أم الكتاب كماتقدم .

ثم بين أن تسميتها بالأساس أنها أول سورة فهي كالأساس، وأنها مشتملة على أشرف المطالب، ذلك هو الأساس .

ووضح أن تسميتها بالصلاة هو لقوله عليه السلام فيما يرويه عن ربه: < قسمت الصلاة بيني وبين عبدي >والمراد هذه السورة (٢).

---

(١)انظر نظم الدرر ١/ ١٩-٢٢ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ١٧٦/١ . وسيأتي تخريج الحديث إن شاء الله تعالى ص:١٨٤.

ونقل السيوطي عن الحسن البصري قوله :

"إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المفصل، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة "(١).

وما ذكره هنا قريب مما تقدم عند الرازي وقريب منه ما قرره الزمخشري أن تسميتها بأم القرآن: لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله، وعلى التعبد بالأمر والنهي، وعلى الوعد والوعيد"(٢).

لكن ينتبه لمراد الزمخشري بالوعد والوعيد فهو جار فيه على مذهبه في الاعتزال من أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، وعلل البيضاوي تسميتها بأم القرآن، والأساس(لأنها مفتتحه ومبتدأه فكأنها أصله ومنشأه ولذلك تسمى أساس أو لإنها تشتمل على مافيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى...أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم، والإطلاع على مراتب السعداء، ومنازل الأشقياء"(٣).

هذا مجمل ما قيل في مقاصد السورة ومناسبة أسماءها لها .

---

(١) انظر تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ت عبدالله محمدالدرويش ص ٣٢ . ط١، دار الكتاب العربي ١٤٠٤هـ. وقال:" افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة، لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن".

وذكر الزركشي :أن القرآن ثلاثة أقسام ولاشتمال الفاتحة على الأقسام الثلاثة، صارت فاتحة الكتاب أم الكتاب لأن فيها الأقسام الثلاثة :-

- فأما التوحيد فمن أولها إلى قوله [يوم الدين]

- وأما الأحكام ف[إياك نعبد وإياك نستعين]

- وأما التذكير فمن قوله[اهدنا] إلى آخرها ؛فصارت بهذا أماً لأنه يتفرع عنها كل نبت .

وقيل: صارت أماً لأنها مقدمة على القرآن بالقبلية،والأم قبل البنت

وقيل: سميت فاتحة لأنها تفتح أبواب الجنة على وجوه مذكورة في مواضعها(انظر البرهان ١/١٧-١٨).

(٢) انظر الكشاف ٤/١ .

(٣) تفسير البيضاوي ص٢ .

ونقل السيوطي عن الطيبي قوله :"هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين :

أحدها : علم الأصول، ومعاقده معرفة الله عز وجل وصفاته، وإليها الإشارة بقوله : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [ومعرفة النبوات، وهي المراد بقوله : ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

(وثانيها : علم الفروع، وأسه العبادات، وهو المراد بقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾

وثالثها : علم مايحصل به الكمال، وهو علم الأخلاق،والسلوك لطريقة،... والاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾

ورابعها: علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية السعداء منهم والاشقياء، وما يتصل بها من وعد محسنهم، ووعيد مسيئهم، وهو المراد بقوله ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾

قال: وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة، فإنها بنيت على إجمال مايحويه القرآن مفصلاً، فإنها واقعة في مطلع التنزيل، والبلاغة فيه: أن يتضمن ماسيق الكلام لأجله"(١).

وقال ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ):"اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن .

فاشتملت على التعريف بالمعبود - تبارك وتعالى- بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا اليها، ومدارها عليها ....وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها. وتضمنت إثبات النبوة من جهات عديدة (٢).

---

(١)تناسق الدرر ٣٢ -٣٣ .

(٢) انظر مدارج السالكين: ٧/١ .

المبحث الثالث : مناسبات سورة الفاتحة :

أولاً للاستعاذة والبسملة :

ألمح الرازي إلى المناسبة بين البسملة والاستعاذة ؛ فاعتبر الاستعاذة فراراً واعتبر البسملة قراراً: فالاستعاذة فرار من الشيطان وهو قول: [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] قال: "والاستقرار في حضرة الملك الجبار هو بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ (١).

وهذا ربط للبسملة بالاستعاذة مع العلم أن الاستعاذة ليست بآية.

ثم بين المناسبة بين الفاتحة والبسملة حيث نظر الرازي إلى ما اشتملت عليه البسملة من الأسماء الحسنى ثم إلى ما اشتملت عليه الفاتحة من الأسماء الحسنى ومجيء قوله تعالى ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣﴾ فيهما فقال: "فإن قيل إنه تعالى ذكر [الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] في التسمية مرة واحدة، و في السورة مرة ثانية فالتكرير فيهما حاصل وغير حاصل في الأسماء الثلاثة فما الحكمة في ذلك؟، وأجاب بقوله: " التقدير كأنه قيل: اذكر أني إله ورب مرة واحدة واذكر أني رحمن رحيم مرتين لتعلم أن العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الأمور، ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال لا تغتروا بذلك فإني مالك يوم الدين ونظيره قوله تعالى: [غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ] " (٢).

وهكذا بين السر في تكرار [الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] وعدم التكرار في بقية الأسماء وهي [الله، الرب).

ثم أشار إلى مناسبة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ لقوله ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ بقوله: "ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال لا تغتروا بذلك فإني ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ وهو من تعقيب الوعد بالوعيد" . (٣)

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٩٢/١ .

(٢) المصدر نفسه ٢٤٢/١ .وقال ابو حيان في تكرار [الرحمن الرحيم] إن كانت التسمية من الفاتحة مبينة على عظم قدر هاتين الصفتين وتأكيد أمرهما (البحر المحيط ١٩/١) وفيما قال تأكيد على ما ذكره الرازي .

(٣) المصدر نفسه ٢٤٢/٥ .

تناسب آي سورة الفاتحة .

ربط الرازي في تفسير سورة الفاتحة بين آياتها في آماكن متعددة أثناء كلامه عن تفسيرها ومن ذلك:

ماقاله في ربط أجزاء الآية الأولى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ عند تفسيره لقوله[رب العلمين]حيث قال:"إنه تعالى لما وصل إحسانه ورحمته لكل الخلائق أجمعين قال في حق نفسه[الحمد لله رب العلمين]"

حيث أن الذي يمدح ويحمد في الدنيا لكمال ذاته وصفاته أو لإحسانه لمن يحمده ،أو الرغبة في وصول إحسانه ،أو للخوف من كمال قدرته فهذه الحالات هي الجهات الموجبة للتعظيم ،فكأنه سبحانه وتعالى يقول:إن كنتم ممن يعظمون الكمال الذاتي فاحمدوني فإني إله العالمين وهو المراد من قوله [الحمد لله] وإن كنتم ممن يعظمون الإحسان فأنا[رب العالمين] .

وفي هذا بيان وجه استحقاقه سبحانه الحمد من عباده بكونه [رب العالمين] إذ هذه الكلمة تتضمن كمال الذات والإحسان إلى الخلق .

ثم ربط هذه الآية بما بعدها وهو قوله [الرحمن الرحيم] فقال: "وإن كنتم تعظمون للطمع في المستقبل فأنا[الرحمن الرحيم].

أي أنه استحق الحمد في الدنيا لاتصافه بهاتين الصفتين .

ثم قال:"وإن كنتم تعظمون للخوف فأنا[مالك يوم الدين](١)

وهذا ربط لقوله تعالى [﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾] بقوله:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ٢٣٠/١ .

للرازي في تفسيره للفاتحة إشارات إلى ترابط عدة آيات :

ففي مواضع ربط الرازي بين قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ حيث بين اشتمال هذه السورة على خمسة أسماء لنفسه سبحانه هي: الله، والرب، والرحمن والرحيم، والمالك، قال: والسبب فيه كأنه يقول خلقتك أولاً فأنا إله ثم ربيتك بوجوه النعم فأنا رب، ثم عصيت فسترت عليك فأنا رحمن، ثم تبت فغفرت لك فأنا رحيم، ثم لا بد من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك يوم الدين(١)

وفيما قال ربط للآيات الثلاث الأول بما اشتملت عليه من أسماء الله، ومقابلة كل حال وصفة ضعف من حالات الضعف الملازمة للعبد بصفة كمال للرب سبحانه وتعالى .

وأما قوله تعالى [إياك نعبد وإياك نستعين] فقد ربطها بما قبلها من آيات مشيراً إلى ما اشتملت عليه فأوضح أن قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾] فيه كمال معرفة الربوبية، وذلك لأن كون العبد منتقلاً من العدم السابق إلى الوجود يدل على كونه (إلهاً) وحصول الخيرات والسعادات للعبد حال وجوده يدل على كونه (رباً رحماناً رحيماً)، وأحوال معاد العبد تدل على كونه [مالك يوم الدين] وعند الإحاطة بهذه الصفات حصلت معرفة الربوبية على أقصى الغايات، وبعدها جاءت معرفة العبودية ولها مبدأ وكمال وأول وآخر، أما مبدؤها وأولها فهو الاشتغال بالعبودية وهو المراد بقوله [إياك نعبد]وأما كمالها فهو أن يعرف العبد أنه لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله، فعند ذلك يستعين بالله في تحصيل كل المطالب، وذلك هو المراد بقوله [وإياك نستعين]ولما تم الوفاء بعهد الربوبية وبعهد العبودية ترتب عليه طلب الفائدة والثمرة، وهو قوله [اهدنا الصراط المستقيم] وعقب عليه الرازي بقوله: وهذا ترتيب شريف رفيع عال يمتنع في العقول حصول آخر أشرف منه(٢).

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٢٤١/١ وفيها وجه آخر وهو أنها دعاء وثناء من العبد لربه وهو مقابل لما في هذا الموضع من ثناء الرب على نفسه وبيان حاجة خلقه، انظر المصدر نفسه ٢٨٥/١ .

(٢) انظر المصدر نفسه ٢٥١/١-٢٥٢ .

وهكذا جعل الرازي الآيات الثلاث الأولى دالة على معنى الربوبية تعقبها معرفة العبودية لتحصل الثمرة وهي الهداية إلى الصراط المستقيم .

وقوله (وهذا ترتيب شريف ..إلى آخره) شهادة وتسليم بحسن ترتيب القرآن وترابطه .

ثم ذكر وجهاً آخر للترابط فقال :" لقائل أن يقول :قوله [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ *الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ *مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ *] كله مذكور على لفظ الغيبة وقوله [إياك نعبد وإياك نستعين *]انتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فما الفائدة فيه ثم ذكر وجوهاً منها :

١- أن المصلي كان أجنبياً عند الشروع في الصلاة فلا جرم أثنى على الله بألفاظ المغايبة إلى قوله [مالك يوم الدين]،ثم إنه تعالى كأنه يقول له حمدتني وأقررت بكوني إلهاً رباً رحماناً رحيماً مالكاً ليوم الدين فنعم العبد أنت قد رفعنا الحجاب وأبدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل [إِيَّاكَ نَعْبُدُ]

وفي هذا إلماح إلى سر المخاطبة بالغيبة ثم الالتفات إلى الخطاب.

٢- ذكر أن هذا سؤال وأحسن السؤال ماوقع على سبيل المشافهة .

٣- أن من أول السورة إلى قوله إياك نعبد ثناء،والثناء في الغيبة أولى ومن قوله إياك نعبد وإياك نستعين إلى آخر السورة دعاء والدعاء في الحضور أولى (١).

وهذه أقرب الوجوه التي ذكرها عند هذه الآية وكلها تعليل للالتفات من الغيبة في أول السورة إلى الخطاب في قوله تعالى:
[إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]

---

(١)مفاتيح الغيب ٢٥٢/١، وقد نبه إلى مثل هذا السيوطي في الإتقان فقال عند حديثه عن الالتفات ومن محاسنه ما وقع في سورة الفاتحة: فإن العبد إذا ذكر الله تعالى وحده ، ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال، وآخرها، [مالك يوم الدين] المفيد أنه مالك يوم الأمر كله في يوم الجزاء، يجد من نفسه حاملاً لا يقدر على دفعه على خطاب من هذا صفاته : بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات"(الإتقان ٢/ ٩٠٥).

ومما يدخل في كيفية ربط الرازي لآية بآية في سورة الفاتحة:

قوله:" لقائل أن يقول: الاستعانه على العمل إنما تحسن قبل الشروع في العمل وههنا ذكر قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ثم ذكر عقيبه ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فما الحكمة فيه ؟

وأجاب عن ذلك بأوجه منها:

١- كأن المصلى يقول شرعت في العبادة فأستعين بك في إتمامها فلا تمنعني من إتمامها بالموت ولا بالمرض ولا بقلب الدواعي وتغيرها.

٢- قال في الوجه الرابع:"أي لا أستعين بغيرك وذلك لأن ذلك الغير لا تمكنه الإعانة إلا إذا اعنته على تلك الإعانة فإذا كانت إعانة الغير لا تتم إلا باعانتك فلنقطع هذه الواسطة ولنقتصر على إعانتك".

٣- وفي الوجه الخامس ذكر أن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يقتضي حصول رتبة عظيمة للنفس بعبادة الله تعالى وذلك يورث العجب فأردف(*) بقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليدل ذلك على أن تلك الرتبة الحاصلة بسبب العبادة ما حصلت من قوة العبد إنما حصلت بإعانة الله.

ثم قال فالمقصود من ذكر قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إزالة العجب وإفناء تلك النخوة والكبر(١).

وما قاله في ربط قوله[إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] ب[إِيَّاكَ نَعْبُدُ] هو من ربط أجزاء الآية الواحدة.

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ١/٢٥٣-٢٥٤.

(*) وقوله فأردف يقتضي دلالة واضحة على إرادة معنى المناسبة.

قال ابن القيم: لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب ونيله أشرف المواهب: علم الله عباده كيفية سؤال، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم. توسل إليه بأسمائه وصفاته،وتوسل إليه بعبوديته؛وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء. (مدارج السالكين: ١/٢٣) ويعرف هذا بحسن الطلب وهو :أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة حيث تقدم التوسل بالعبادة على طلب الإعانة.

٢- وعند قوله تعالى :[ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦] ربط آي السورة فقال "إن المؤمن بعد أن عرف الله بالدليل صار مؤمناً مهتدياً وهو يطلب من الله أن يهديه إلى الصراط المستقيم الذي هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في كل الأخلاق والأعمال"

وقد ذكر الرازي في الفائدة الأولى من قوله تعالى [اهدنا الصراط المستقيم] حيث قال لقائل أن يقول :"المصلي لا بد وأن يكون مؤمناً، وكل مؤمن مهتد،فإذا قال:اهدنا كان جارياً مجرى أن من حصلت له الهداية فإنه يطلب الهداية فكان هذا طلباً لتحصيل الحاصل وهو محال قال: والعلماء أجابوا عنه من وجوه :منها- أن المراد منه صراط الأولين في تحمل المشاق العظيمة لأجل مرضاة الله تعالى.

ثم قال في قوله تعالى: ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ معناه عرفنا يا إلهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك، وصفاتك، وقدرتك، وعلمك،ثم قال وعلى هذا فالسؤال زائل (١).

ثم ربط أجزاء قوله تعالى ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ فقال: "لقائل أن يقول لم قال اهدنا ولم يقل اهدني؟ وأجاب بقوله: إن الدعاء كل ما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب ".

ثم قال في وجه آخر :" كأنه يقول:أيها العبد،ألست قلت في أول السورة الحمد لله وما قلت أحمد الله فذكرت أولاً حمد جميع الحامدين فكذلك في وقت الدعاء أشركهم فقل [اهدنا]."

وقال في الوجه الرابع :"كأن العبد يقول سمعت رسولك يقول:<الجماعة رحمة والفرقة عذاب *> فلما أردت تحميدك ذكرت حمد الجميع فقلت[الحمد لله] ولما ذكرت العبادة ذكرت عبادة الجميع فقلت إياك نعبد ولما ذكرت الإستعانة ذكرت استعانة الجميع فقلت [وإياك نستعين] فلا جرم لما طلبت الهداية طلبتها للجميع فقلت [اهدنا الصراط المستقيم]ولما طلبت الإقتداء بالصالحين طلبت الإقتداء بالجميع فقلت، صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ولما طلبت الفرار من المردودين فررت من الكل فقلت [غير المغضوب عليهم ولا الضالين]فلما لم أفارق الأنبياء والصالحين في الدنيا فأرجوا أن لا أفارقهم في القيامة قال تعالى:[فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ...] الآية "(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٥٤/١ .

(٢) انظر المصدر السابق ٢٥٧/١-٢٥٨ والآية ٦٩ النساء.

(*) أخرجه السيوطي في الجامع والشهاب القضاعي ٤٣/١ وأحمد ٢٧٨/٤، ٣٥٧ و السنة لابن أبي عاصم ٩٣/١ .

وقد ربط قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ حيث جعل المراد من قوله تعالى [ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ]هو الاقتداء بأنبياء الله في الصبر على الشدائد والثبات عند نزول البلاء ولاشك أن هذا مقام شديد هائل لأن أكثر الخلق لاطاقة لهم به ثم قال إلا أنا: نقول أيها الناس لاتخافوا ولاتحزنوا..... لأنه تعالى لم يقل صراط الذين ضربوا وقتلوا بل قال:[صراط الذين أنعمت عليهم] (١) .

وقال أيضاً:إن قوله تعالى [صراط الذين أنعمت عليهم] بدل من [الصراط المستقيم] فقال :"وإذا كان كذلك كان التقدير اهدنا صراط من أنعمت عليهم من المتقدمين،ومن تقدمنا من الأمم ماكان لهم القرآن والإسلام،وإذا بطل ذلك ثبت أن المراد اهدنا صراط المحقين المستحقين للجنة ."

وتعرض الرازي عند هذه الآية إلى اختيار لفظ [صراط] دون غيرها فقال:وإنما قال: الصراط ولم يقل السبيل ولا الطريق وإن كان لكل واحد ليكون لفظ الصراط مذكراً لصراط جهنم،فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية (٢).

وهذا في مناسبة اختيار لفظة دون غيرها من الألفاظ .

وفي ربط أجزاء قوله تعالى ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ بين الرازي أن الآية دلت على أن المكلفين ثلاث فرق :أهل الطاعة وإليهم الإشارة بقوله:[أنعمت عليهم]،وأهل المعصية وإليهم الإشارة بقوله: [غير المغضوب عليهم] وإلى أهل الجهل في دين الله والكفر وإليهم الإشارة بقوله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ (٣).

وهذا منه ربط لأجزاء هذه الآية بأن ضمت الفرق المتضاده المتقابلة .

ثم إن الفخر الرازي طرح تساؤلاً عن سر تقديم العصاة على الكفرة، وأجاب بأن كل واحد يحترز عن الكفر وقد لايحترز عن الفسق فكان أهم فلهذا السبب قدم (٤).

بين الرازي أن هذا من تقديم الأهم على المهم.

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ٢٥٦/١

(٢)المصدر نفسه ٢٥٦/١-٢٥٧ .

(٣)المصدر السابق ٢٦٢/١ .

(٤)المصدر السابق ٢٦٣/١ .

وقال أيضاً: في الآية سؤال آخر ونصه:"أن من أنعم الله عليه امتنع أن يكون مغضوباًعليه .وأن يكون من الضالين فلما ذكر قوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فما الفائدة في أن ذكر عقيبه ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ثم أجاب بقوله إن الإيمان لا يكمل الا بالرجاء والخوف....فقوله [صراط الذين أنعمت عليهم]يوجب الرجاء الكامل وقوله [غير المغضوب عليهم ولا الضالين]يوجب الخوف الكامل وحينئذ يقوى الإيمان بركنيه وطرفيه،وينتهي إلى حد الكمال"(١).

ثم قال في الآية سؤال آخر، ما الحكمة في جعل المقبولين طائفة واحدة والمردودين فريقين :المغضوب عليهم والضالين ؟

وأجاب بأن الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به قال فهؤلاء هم المرادون بقوله أنعمت عليهم فإن اختل قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم....وإن اختل قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى[فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ (٣٢) يونس].

قال :وهذا آخر كلامنا في تفسير كل واحدة من آيات هذه السورة على التفصيل، والله اعلم (٢).

وبهذا يكون قد انتهى ربط آيات الفاتحة وأجزاء الآية الواحدة ومنها.

---

(١)مفاتيح الغيب ٢٦٣/١ .

(٢)انظر المرجع نفسه ٢٦٣/١ .

وفي ربط أجزاء السورة ومقاطعها وفواصلها:

قال الرازي في مناسبة أول السورة لما ختمت به :" أول السورة مشتمل على الحمد لله والثناء عليه وآخرها مشتمل على الذم للمعرضين عن الإيمان به والإقرار بطاعته"(١).

وهذا من رد العجز على الصدر وتقابل الطرفين .

ومما يتعلق بتناسب هذه السورة أن الزركشي استدل بها على أن فواصل القرآن متماثلة متقاربة تأتي طوعاً سهلة تابعة للمعاني لا متكلفة تتبعها المعاني؛ فمثل لذلك بآيات الفاتحة مرجحاً رأي الشافعي في عد آياتها : وذلك لأن الشافعي المثبت للبسملة في القرآن قال :[صراط الذين] إلى آخر السورة آية واحدة وأبوحنيفة لما أسقط البسملة من الفاتحة قال: صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ آية و غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ آية واحدة ،ومذهب الشافعية أولى لأن فاصلة قوله تعالى: صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة ،ورعاية التشابه في الفواصل لازم، وقوله : أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ليس من القسمين؛ فامتنع جعله من المقاطع، وقد اتفق الجميع على أن الفاتحة سبع آيات ؛لكن الخلاف في كيفية العدد(٢).

وفي ترابط أجزاء السورة قال ابن القيم:"اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن فاشتملت على التعريف بالمعبود - تبارك وتعالى - بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي (الله، الرب، الرحمن) وبنيت السورة على الإلهية، والربوبية، والرحمة فـ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ مبني على الإلهية، وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلٰهته وربوبيته، ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده .....وتضمنت إثبات المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم،حسنها وسيئها،وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق وكون حكمه بالعدل وكل هذا تحت قوله [مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ]وتضمنت إثبات النبوة من جهات عديدة أحدها كونه رب العالمين الثاني من اسم الله الثالث من اسم الرحمن"(٣).

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ٢٦٢/١ .

(٢)انظر البرهان ٧٢،٧٥،وعد من مراعاة الفواصل تأخير الاستعانة عن العبادة في قوله تعالى:[إياك نعبد وإياك نستعين] وهي قبل العبادة وإنما أخرت لأجل فواصل السورة في أحد الأجوبة .

(٣) مدارج السالكين ٧:١ -٨ .

ثم عقّب ما تقدم من ربطه للآيات بالقسم الثاني وهو الكلام في تفسير مجموع هذه السورة وقسمه في فصول :

الفصل الأول : الأسرار العقليه المستنبطة من هذه السورة .

وفي هذه الأسرار العقلية تكلف الرازي فيها فربط الآيات السبع من الفاتحة بالادعية في آخر سورة البقره بطريقة فلسفية لا تقرها العقول ولا تتلقاها بالقبول(١).

وجعل الفصل الثاني : في مداخل الشيطان .

وتكلم الرازي في تفسير مجموع السورة عن كون مجموع هذه السورة سر معارضة لمداخل الشيطان السبعة.

وذكر أن هذه الأصول الثلاثة ينتج عنها أخلاق سبعة هي الحرص والبخل فرعا الشهوة ،والعجب والكبر نتيجة الغضب والكفر والبدعة نتيجة الهوى والخلق السابع هو الحسد المتول عن هذه السبعة .

وذكر أن آيات الفاتحة السبعة في مقابلة هذه الأخلاق السبعة وقال "ثم ان جملة القرآن كالنتائج والشعب من تلك السبعة "ثم قال "فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الأخلاق الذميمة .

وذكر أن أصل مداخل الشيطان ثلاثة هي١ -الشهوة٢- الغضب ٣-الهوى فمن قال [ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ] فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوتة ،ومن عرف أنه رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجد فاندفعت عنه آفة الشهوة ولذاتها ومن عرف أنه مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ بعد أن عرف أنه [الرحمن الرحيم] زال غضبه ومن قال [وإياك نعبد وإياك نستعين] زال كبره بالأول وعجبة بالثاني فاندفعت عنه آفة الغضب بولديها ،فإذا قال: ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ اندفع عنه شيطان الهوى، واذا قال صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ زال عنه كفرة شبهته ،وإذا قال غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ اندفعت عنه بدعته، فثبت أن هذه الآيات السبع دافعة لتلك الأخلاق القبيحة السبعة "(٢).

---

(١)مفاتيح الغيب ٢٦٤/١-٢٦٦ .

(٢)المصدر نفسه ٢٦٦/١-٢٦٨ .

الفصل الثالث: في تقرير أن سورة الفاتحة جامعة لكل مايحتاج الإنسان إليه في معرفة المبدأ والوسط والمعاد .

وفي هذا الفصل ربط الرازي بين أجزاء سورة الفاتحة فقال: إن قوله تعالى: [ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ] يدل على وجود الصانع المختار وقوله رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ يدل على وحدانيته وقوله [ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾] يدل على رحمته في الدنيا والآخرة وقوله مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ يدل على كمال حكمته ورحمته بسبب خلق الدار الآخرة وإلى هنا تم ما يحتاج اليه في معرفة الربوبية أما قوله تعالى[إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] إلى آخر السورة ...فهو إشارة إلى الأمور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي محصورة في الأعمال التي يأتي بها العبد والآثار المتفرعة عن تلك الأعمال .

ثم ذكر أن قوله [إياك نعبد]إشارة إلى الإتيان بالعبادة ،وأنه لا يمكن الإتيان بالعبادة إلا بإعانة الله وإليه أشار بقوله :[وإياك نستعين].

وأما الآثار المتفرعة على تلك الأعمال فهي حصول الهداية والإنكشاف والتجلي قال:" وإليه الإشارة بقوله [اهدنا الصراط المستقيم]،ثم إن أهل العالم ثلاث طوائف

الطائفة الأولى الكاملون المحقون المخلصون وهم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لأجل العمل به ،وإليهم الاشارة بقوله [أنعمت عليهم]

الطائفة الثانية الذين أخلوا بالأعمال الصالحة وهم الفسقة وإليهم الاشارة بقوله غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

الطائفة الثالثة :الذين أخلوا بالاعتقادات الصحيحة وهم أهل البدع والكفر وإليهم الاشارة بقوله وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ "(١).

وفي هذا ربط لأجزاء السورة كما تقدم .

---

(١)مفاتيح الغيب ٢٦٩/١ .قال أبو حيان (والترتيب القرآني جاء في غاية الفصاحة لأنه تعالى وصف نفسه بصفة الربوبية وصفة الرحمة ثم ذكر شيئن أحدهما ملكه يوم الجزاء والثاني العبادة فناسب الربوبية للملك والرحمة للعبادة فكان الأول للأول والثاني للثاني.

(البحر المحيط ٢٠/١)

وفي الفصل الرابع :

أورد حديث تقسيم الصلاة بين العبد وبين الرب، فقال :قال عليه السلام < قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾ يقول الله ذكرني عبدي،وإذا قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②﴾يقول الله حمدني عبدي وإذا قال ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③﴾ يقول الله عظمني عبدي وإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يقول الله عبدني عبدي وفي رواية فوض إلي عبدي وإذا قال ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤﴾يقول الله هذا بيني وبين عبدي وإذا قال ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥﴾ يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل >(١).

وعند هذا الحديث استنبط الرازي فوائد منها هذه الفائدة الرابعة فقال أن آيات الفاتحة سبع والأعمال المحسوسة في الصلاة سبعة وقد جعل كل آية من آيات الفاتحة مناسبة لعمل من أعمال الصلاة فعد الفاتحة كالروح والأعمال كالشخص والكمال إنما يحصل عند إتصال الروح بالجسد(٢).

ثم اتبع ذلك بتفصيل الأعمال المحسوسة وبيان مايقابلها من آيات وذكر كلاماً لا يظهر إنسجامه ولا مناسبة فيه والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٧٠/١ .أما الحديث فاصله في صحيح مسلم عن أبي هريرة وهذا لفظه :"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :<قال الله تعالى :قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين .ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] قال الله :حمدني عبدي . وإذا قال :[الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ] قال الله تعالى :أثنى علي عبدي .وإذا قال :[مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ]قال :مجدني عبدي "وقال مرة فوض إلي عبدي" فإذا قال :[إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ].قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل.فإذا قال :[اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ]قال :هذا لعبدي ولعبدي ماسأل>.(انظرصحيح مسلم،كتاب الصلاة،باب وجوب قرأة الفاتحة في كل ركعة ٢٩٦/١ .

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٧٤-٢٧٥ .

وقد حوى تفسير الرازي للفاتحة أحياناً كلاماً فلسفياً ومعان باطنيه أبعد ماتكون عن التفسير . كما في الفصل الخامس "في أن الصلاة معراج العارفين ٢٧٥/١ - ٢٧٩ ،وكذا الفصل السادس في الكبريا والعظمة ٢٧٩/١-٢٨٤ .

وتكلم الرازي عن السبب في اشتمال الفاتحة على خمسة من الأسماء الحسنى فقال: السبب فيه أن مراتب أحوال الخلق خمسة

قال: فاسم الله منبع الخلق والإيجاد والتكوين والإبداع.

واسم الرب يدل على التربية بوجوه الفضل والإحسان.

واسم الرحمن يدل على التربية في معرفة المبدأ.

واسم الرحيم في معرفة المعاد حتى يحترز عما لا ينبغي ويقدم على ما ينبغي.

واسم الملك يدل على أنه ينقلهم من دار الدنيا إلى دار الجزاء، ثم عند وصول العبد إلى هذه المقامات إنتقل الكلام من الغيبة إلى الحضور فقال[إياك نعبد]كأنه يقول إنك إذا انتفعت بهذه الأسماء الخمسة في هذه المراتب الخمس وانتقلت إلى دار الجزاء سرت بحيث ترى الله فحينئذ تكلم معه على سبيل المشاهدة لا على سبيل المغايبة، ثم قل: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ كأنه قال: إياك نعبد لأنك الله الخالق، وإياك نستعين لأنك الرب الرازق، إياك نعبد لأنك الرحمن، وإياك نستعين لأنك الرحيم، إياك نعبد لأنك الملك، وإياك نستعين لأنك المالك.

ثم عدد الرازي فوائد الأسماء الخمسة المذكورة في هذه السورة فقال: "إن سورة الفاتحة فيها عشرة أشياء، منها خمسة من صفات الربوبية، وهي الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والمالك. وخمسة أشياء من صفات العبد وهي العبودية، والاستعانة، وطلب الهداية، وطلب الاستقامة وطلب النعمة كما قال: صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ فانطبقت تلك الأسماء الخمسة على هذه الأحوال الخمسة فكأنه قيل إياك نعبد لأنك أنت الله، وإياك نستعين لأنك أنت الرب، أهدنا الصراط المستقيم لأنك أنت الرحمن، وارزقنا الاستقامة لأنك أنت الرحيم، وأفض علينا سجال نعمك وكرمك لأنك مالك يوم الدين"(١).

وهكذا ربط الرازي أجزاء السورة بأنها دعاء وطلب من العبد للرب وفيه جاءت صفات الله مقابلة لأحوال العبد وهذا وجه حسن تربط به أجزاء السورة لأنها دعاء اسماً وحقيقة وفي هذا الوجه ربط لأجزاء المقطع الأول من السورة.

---

(١) هنا حمّل الرازي الألفاظ أكثر مما تحتمل لأن "الله" اسم علم له سبحانه ومعناه المعبود، و"الرب" هو الخالق الرازق المدبر السيد.

(٢) انظر مفاتيح الغيب ٢٨٥/١.

ربط الرازي الفاتحة بغيرها من السور:

ربط بين قوله تعالى: صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ من آي الفاتحة بما يناسب أول سورة البقرة حيث قال: إنه تعالى "بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله تعالى [أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] ثم أتبعه بذكر الكفار وهو قوله [غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيهِمْ]ثم أتبعه بذكر المنافقين وهو قوله [ولا الضالين]"(١)(*).

وأشار إلى أنه حمل هذا التفسير على ماهو مذكور في أوائل سورة البقرة من ذكر للأصناف الثلاثة.

وفي موضع ذكر أن الأسماء المذكورة في [بسم الله الرحمن الرحيم]ذكرها تعالى في السورة نفسها ومعها اسمان آخران وهما الرب،والمالك قال:"فحصلت هذه الأسماء الثلاثة :(الرب،الملك، الإله) فلهذا السبب ختم الله آخر سورة القرآن عليها والتقدير كأنه قيل :إن أتاك الشيطان من قبل الشهوة فقل[أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ]وإن أتاك من قبل الغضب فقل[مَلِكِ النَّاسِ]وإن أتاك من قبل الهوى فقل[إِلَٰهِ النَّاسِ](٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦١/١ .

(٢)المصدر السابق ٢٦٧/١ .

(*) ما قاله الرازي في ربط هذه الآية مخالف لما رواه ابن جرير بسنده عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال : < قال:رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : المغضوب عليهم اليهود (٧٩/١).

وروى بالإسناد نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : ولا الضالين قال : النصارى. > (٨٢/١).

وقد أنكر الألوسي على الرازي فقال:"والعجب من الإمام الرازي أنه نقل هذا ولم يتعقبه بشيء ... فقاس ماهنا على ما هناك وهل بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين قول لقائل، أوقياس لقائس هيهات هيهات دون ذلك أهوال !"(روح المعاني للألوسي ١ :٩٦)

وفي آخر تفسير الفاتحة توقف الرازي عند قوله تعالى مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ الدين]وما بعدها بأن قال:"اعلم أن قوله مالك يوم الدين دل على أن العبد منتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة،ومن دار الشرور إلى دار السرور فقال: لابد لذلك اليوم من زاد واستعداد وذلك هو العبادة فلا جرم قال: إياك نعبد،ثم قال العبد :الذي اكتسبته بقوتي وقدرتي قليل لا يكفيني في ذلك اليوم الطويل فاستعان بربه فقال وإياك نستعين ثم لما حصل الزاد ليوم المعاد قال: هذا سفر طويل شاق والطرق كثيرة والخلق قد تاهوا في هذه البادية فلا طريق إلا ان أطلب الطريق ممن هو بإرشاد السالكين حقيق فقال:اهدنا الصراط المستقيم ثم إنه لابد لسالك الطريق من رفيق ... ودليل فقال:صراط الذين أنعمت عليهم والذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون"(١).

وفي آخر الفصل العاشر قال عن الفاتحة :" في هذه السورة كلمتان مضافتان إلى اسم الله واسمان مضافان إلى غير اسم الله هما "بسم الله،الحمد لله" فقوله بسم الله لبداية الأمور وقوله الحمد لله لخواتيم الأمور،فبسم الله ذكر والحمد لله شكر فلما قال بسم الله استحق الرحمة،ولما قال الحمد لله استحق رحمة أخرى،فبقوله بسم الله استحق الرحمة من اسم الرحمن،وبقوله الحمد لله استحق الرحمة من اسم الرحيم،فلهذا قيل يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة" (٢)

وأما قوله: رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

فالربوبية لبداية حالهم بدليل قوله[أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ] وصفة الرحمن لوسط حالهم،وصفة الملك لنهاية حالهم بدليل قوله [لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ] والله أعلم بالصواب وهو الهادي إلى الرشاد(٣).

وبهذا ختم الرازي تفسيره لفاتحة الكتاب .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٨٩/١ ـ٢٩٠ .

(٢)الوارد في الدعاء المأثور < رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما >كماعند الحاكم ٥١٥/١ .

(٣) انظر مفاتيح الغيب ٢٩٠/١ .

وفي نهاية هذا العرض والتطبيق اتضح أن تفسير الرازي للفاتحة وبيانه لمناسبتها وترابطها على نوعين :

١ ـ نوع جيد أحسن فيه الرازي كل الإحسان تؤيده الأدله وتنطبق عليه قواعد التفسير والمناسبة .

٢ ـ نوع متكلف ترده الأدلة ولا تقبله، وقد قدم العذر لنفسه حيث قال في وصيته :"وأما الكتب العلمية التي صنفتها...فمن نظر في شيء منها،فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه،على سبيل التفضل والإنعام،وإلا فليحذف القول السيء، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وتشحيذ الخاطر والاعتماد في الكل على الله تعالى.(١)

ومما يعتذر له به ماكلف به نفسه من استنباط ماقال في مقدمة تفسيره من استنباط عشرة آلاف مسألة من سورة الفاتحة "(٢).

---

(١) انظر وصية الرازي ص ١٥٩ من هذه الرسالة.

(٢) انظر مقدمة تفسير مفاتيح الغيب ٣/١ .

الفصل الثالث : مقاصد سورة البقرة وموضوعاتها .

مقاصد سورة البقرة وموضوعاتها.

قبل الكلام عن مناسبات الآيات بعضها لبعض لا بد من النظر في مقصود السورة، والاطلاع على ما اشتملت عليه من موضوعات انطلاقاً مما ذكره أهل العلم من تقديم النظر فيها - أي في مقصود السورة العام قبل الحديث عن المناسبات -

وقد تكلم في مقاصد سورة البقرة وموضوعاتها عدد من العلماء والمفسرين الأعلام:

فقال أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن عند تفسير سورة البقرة: "اعلموا وفقكم الله -أن علماءنا قالوا: إن هذه السورة من أعظم سور القرآن؛ سمعت بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر، ولعظيم فقهها أقام عبدالله بن عمر ثماني سنين في تعلمها، وقد أوردنا ذلك عليكم مشروحا في الكتاب الكبير في أعوام ".(١)

وروى مسلم في صحيحه بسنده من طريق أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: < لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة >"(٢).

---

(١) أحكام القرآن لا بن العربي ٨/١.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٣٩ كتاب صلاة المسافرين .

والحديث عند الترمذي في الجامع الصحيح كتاب فضائل القرآن ، ماجاء في فضل سورة البقرة ١٤٥/٥ . قال فيه أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح .

وروى البخاري بسنده عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: <من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه >. وروى عن أبي هريرة حديثاً في فضل آية الكرسي. صحيح البخاري باب فضل سورة البقرة ٢٢٩/٣ .

وعند مسلم بسنده عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله يقول: "اقرأوا الزهراوين البقرة و سورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أوغيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما. اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة. وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة". صحيح مسلم باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٣/١ .

وأما الرازي فلم يفرد مقاصد السورة وموضوعاتها ببحث مستقل لكنه تحدث عن ذلك في ثنايا الحديث عن الآيات وتفسيرها ومناسباتها وهذا عرض لما قاله الرازي في مقاصد السورة وموضوعاتها :

فمما قال:"إن الله وصف الأصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين، فبدأ بالمؤمنين المخلصين الذين صحت سرائرهم وسلمت ضمائرهم ثم أتبعهم بالكافرين الذين من صفتهم الإقامة على الجحود والعناد، ثم وصف حال من يقول بلسانه إنه مؤمن وضميره يخالف ذلك"(١).

وبهذا تتضح موضوعات أول السورة في الآيات من(١-٢٠) .

واعتبر الرازي الآيات من(٢١ إلى ٤٠) حديثاً عن نعم الله على جميع خلقه، فقال:"إعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة إلى هذا الموضع فمن هذا الموضع إلى قوله:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾

في شرح النعم التي عمت المكلفين(٢).

قال الرازي :"واعلم أنه سبحانه ذكرهم تلك النعم أولاً على سبيل الإجمال ...وشرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل(٣).

وفي هذا إشارة لما تضمنته الآيات رقم(٤٠ فما بعدها).

ثم عاد مرة أخرى فبين موضوعات السورة (من أولها إلى الآية رقم١٧٢) ثم قال:" ومن هنا شرع في بيان الأحكام"(٤).

و استمر الحديث عن الأحكام إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٤٢﴾

حيث قال :"وههنا آخر الآيات الدالة على الأحكام والله أعلم"(٥).

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٨/٢ .

(٢)انظر المصدر نفسه ١٤٩/٢ .

(٣) انظر المصدر نفسه ٢٩/٣ .

(٤) المصدر نفسه ٩/٥ .

(٥)المصدر نفسه ١٦١/٦ .

ومما تميز به الرازي عن غيره عند ذكر موضوعات السورة أنه يبين وجه تعلق الموضوع اللاحق بالسابق كما عند انتهاء موضوعات الأحكام التفصلية حيث قال:"اعلم أن عادته تعالى في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص ليفيد الاعتبار للسامع"(١).

والقصص هو الموضوع الذي جاء عقب الأحكام ويبدأ من قوله تعالى: [۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ]

وقد أجمل الرازي ذكر الموضوعات التي تضمنتها السورة فيما ذكره عند قوله تعالى: لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

إذ قال نقلاً عن الأصم:" إنه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الأصول، وهو دليل التوحيد والنبوة، وأشياء كثيرة من علم الأصول ببيان الشرائع والتكاليف، وهي في الصلاة، والزكاة، والقصاص، والصوم، والحج،والجهاد، والحيض، والطلاق، والعدة، والصداق، والخلع، والإيلاء، والرضاع، والبيع، والربا، وكيفية المداينة، ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الآية على سبيل التهديد"(٢).

وفي هذا إشارة لما تضمنته سورة البقر من موضوعات ومقاصد، أوردها الرازي مفصلة في مواضعها من تفسيره للسورة.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦١/٦ .

(٢) المرجع السابق١٢٣/٧ .

ويمكن اعتبار ما أشار الرازي إليه مما تضمنته السورة من أسئلة وأحكام ضمن ما اشتملت عليه السورة من موضوعات ومقاصد .

فعند قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

قال: "وهذه من الأسئلة التى سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقل الرازي عن ابن عباس أنه قال :ما كان قوم أقل سؤالاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم سألوا عن أربعة عشر حرفا فأجيبوا .

ثم قال الرازي :وأقول ثمانية منها في سورة البقرة :

أولها : وإذا سألك عبادي عني فإني قريب

وثانيها: هذه الآية ثم الستة الباقية بعد في هذه السورة"(١).

وعند قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

قال الرازي:"اعلم أنه تعالى جمع في هذا الموضع ستة من الأسئلة ، فذكر الثلاثة الأول بغير الواو ، وذكر الثلاثة الأخيرة بالواو ، والسبب أن سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف ، لأن كل واحد من تلك السؤالات سؤال مبتدأ ، وسألوا عن المسائل الثلاثة الأخيرة في وقت واحد ، فجيء بحرف الجمع لذلك ، كأنه قيل : يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر ، والسؤال عن كذا ، والسؤال عن كذا..."(٢).

هذا فيما يتعلق بالأسئلة.

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ١١٩/٥ .

(٢) المصدر نفسه ٦٢/٦-٦٣ .

أما الأحكام

فإن الرازي تكلم عما اشتملت عليه السورة في موضعين.

الأول: بدأ من قوله تعالى: [يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون *١٧٢*] في سرد الأحكام التي تضمنتها السورة فقال " ثم نقول: إن الله سبحانه وتعالى تكلم من أول السورة إلى هنا فى دلائل التوحيد والنبوة واستقصى فى الرد على اليهود والنصارى، ومن هنا شرع في بيان الأحكام " (١).

ثم بين الرازي: "أن الله سبحانه وتعالى أمر في هذه الآية بتناول الحلال، ثم فصل عقبها أنواع الحرام (٢).

وبين أن ماتضمنته من حلال أو حرام في الطعام هو الحكم الأول.

أما الحكم الثاني: فهو كتمان شيء مما أنزل الله.

والحكم الثالث: قوله تعالى: [ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب].

والحكم الرابع: القصاص في القتلى.

والحكم الخامس: الوصية.

والحكم السادس: في الصيام وما يتعلق به.

الحكم السابع: الاعتكاف.

الحكم الثامن: حكم الأموال.

الحكم العاشر: الإذن بالقتال، وحكم النفقة.

---

(١) انظر مفاتيح الغيب (٧/٥)

(٢) المصدر نفسه (١٠/٥)

أما الموضع الثاني فقد أورده الرازي بعد أن ساق ماورد في الآيات من أمر بالإعراض عن الدنيا وحض على طلب الآخرة وبين أن الحكمة من مجيء التوحيد، والوعظ ،والنصيحة، وبيان الأحكام مختلطاً بعضها بالبعض ، ليكون كل واحد منها مقوياً للآخر ومؤكداً له(١).

ثم عدد الأحكام التي جاءت عقب القصص في موضع كل منها وهي :

الحكم الأول : فيما يتعلق بالنفقة .

الحكم الثاني : فيما يتعلق بالقتال .

الحكم الثالث : في الخمر .

الحكم الرابع: ما في قوله تعالى:[ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو]

الحكم الخامس : في اليتامى .

الحكم السادس : فيما يتعلق بالنكاح .

الحكم السابع : في المحيض .

الحكم الثامن : قوله تعالى :[نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم].

الحكم التاسع: في الأيمان .

الحكم العاشر : فيما يتعلق بالإيلاء والطلاق.

الحكم الحادي عشر : في الطلاق .

الحكم الثاني عشر : في الرضاع .

الحكم الثالث عشر : عدة الوفاة

الحكم الرابع عشر : في خطبة النساء.

الحكم الخامس عشر: حكم المطلقة قبل الدخول .

الحكم السادس عشر : حكم المحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى.

الحكم السابع عشر: الوفاة.

الحكم الثامن عشر : أحكام المداينة .

وبعد عرض كلام الرازي في مقاصد هذه السورة وموضوعاتها يحسن النظر في كلام غيره من أهل العلم.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٢/٦ .

وذكر الفيروز آبادي جملة من موضوعات سورة البقرة عند إشارته إلى مقصودها حيث قال :"وعلى الإجمال فمقصود هذه السورة مدح مؤمني أهل الكتاب، وذم الكفار،كفار مكة ومنافقي المدينة والرد على منكري النبوة ".

أما موضوعاتها فقد ذكر اشتمالها على :قصة التخليق، والتعليم، وتلقين آدم، وملامة علماء اليهود في مواضع عدة ، وقصة موسى....وحديث البقرة ،وقصة سليمان،وهاروت وماروت،والسحرة ،والرد على النصارى،وابتلاء إبراهيم عليه السلام ،وبناء الكعبة ،ووصية يعقوب لأولاده ،وتحويل القبلة ،وبيان الصبر على المصيبة وثوابه.

ثم عدد من الموضوعات :وجوب السعي بين الصفاوالمروة ، وبيان حجة التوحيد، وطلب الحلال، وإباحة الميتة حال الضرورة ، وحكم القصاص، والأمر بصيام رمضان، والأمر باجتناب الحرام ، والأمر بقتال في الشهر الحرام، والسؤال عن الخمر والميسر ومال الأيتام، والحيض، والطلاق، والمناكحات، وذكر العدة والمحافظة على الصلوات، وذكر الصدقات والنفقات وملك طالوت وقتل جالوت، ومناظرة الخليل عليه السلام ونمرود، واحياء الموتى بدعاء إبراهيم، وحكم الاخلاص في النفقة ، وتحريم الربا، وتخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بالايمان حيث قال [ءامن الرسول]إلى آخر السورة...هذا معظم مقاصد هذه السورة الكريمة)(١).

وهكذا ذكر الفيروز آبادي كثيراً من الموضوعات والمقاصد التي تضمنتها السورة.

---

(١) انظر بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز١/١٣٤- ١٣٥ .

وفيما يلي نظرة الإمام البقاعي لهذه السورة وكلامه في مقصودها حيث قال: " مقصود هذه السورة إقامة الدليل على أن الكتاب هدى يتبع في كل ماقال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب ومجمعه الإيمان بالآخرة ،فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب، فلذلك سميت بها السورة ".

ثم إن البقاعي تكلم في مقصود هذه السورة عن الهدف الذي سيقت له السورة والأمر الذي تعالجه ولم يتعرض لموضوعاتها المتعددة عند ذكر مقصودها كما فعل الرازي والفيروز آبادي لكنه استطرد في ناحية تسمية السورة بهذا الاسم دون غيره أعني البقرة فقال:"وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه السلام ... وأحق من قصة بني إسرائيل لأن الإحياء في قصة البقرة ناشيء عن سبب ضعيف في الظاهر بمباشرة من كان من آحاد الناس فهي أدل على القدرة ولاسيما وقد اتبعت بوصف القلوب والحجارة "(١).

وفي موضع آخر قال: "وإن شئت قلت مقصود هذه السورة وصف الكتاب فقط وما عدا ذلك فتوابع ولوازم ولم يثبت أنه هدى إلا بإثبات أنه حق معنى ونظما "(٢).

وممن تكلم في مقاصد السورة وماتضمنته، شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع .

حيث قال: "وقد ذكرت في مواضع ماشتملت عليه (سورة البقرة)من تقرير أصول العلم وقواعد الدين :أن الله افتتحها بذكر كتابه الهادي للمتقين، فوصف حال أهل الهدى، ثم الكافرين، ثم المنافقين فهذه جمل خبرية" (٣).

---

(١) نظم الدرر للإمام البقاعي ٥٥/١ -٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ٧٨/١ .

(٣)انظر دقائق التفسير لابن تيمية ١٩٥/١-١٩٦ .

ثم ذكر الجمل الطلبية :فدعا الناس إلى عبادته وحده، ثم ذكر الدلائل على ذلك من فرش الأرض وبناء السماء وإنزال الماء وإخراج الثمار رزقاً للعباد، ثم قرر الرسالة،وذكر الوعد والوعيد،ثم ذكر مبدأ النبوة والهدى، ومابثه في العالم من الخلق والأمر ثم ذكر تعليم آدم الأسماء،وإسجاد الملائكة له لما شرفه به من العلم؛فإن هذا تقرير لجنس ما بعث به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق،فقص جنس دعوة الأنبياء .

ثم انتقل إلى خطاب بني إسرائيل وقصة موسى معهم،وضمن ذلك تقرير نبوته إذ هو قرين محمد صلى الله عليه وسلم، فذكر آدم الذي هو الأول وموسى وهو نظيره "(١).

وقال في موضع آخر ثم ذكر خلق آدم عليه السلام وإنعامه عليه بالتعليم واسجاد ملائكته له،وإدخاله الجنة، ثم ذكر محنته مع ابليس وذكر حسن عاقبة آدم عليه السلام، ثم ذكر المناظرة مع أهل الكتاب من اليهود،وتوبيخهم على كفرهم وعنادهم، ثم ذكر النصارى والرد عليهم وتقرير عبودية المسيح ثم تقرير النسخ والحكمة في وقوعه،ثم بناء البيت الحرام وتقرير عظمته وذكر بانيه والثناء عليه ثم تقرير الحنيفية ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وتسفيه من رغب عنها،ووصية بنيه بها(٢).

ثم أخذ في بيان شرائع الإسلام التي على ملة إبراهيم ...وذكر من المناسك الحج، والعمرة، وذكر العكوف، والصلاة، والطواف ...ثم ذكر الحلال والحرام، وأطلق الأمر في المطاعم لأن الرسول بعث بالحنيفية وشعارها هو البيت، وذكر سماحتها في الأحوال المباحة، وفي الدماء بماشرعه من القصاص ومن أخذ الدية، ثم ذكر العبادات المتعلقة بالزمان فذكر الوصية المتعلقة بالموت، ثم الصيام المتعلق برمضان ومايتصل به من الاعتكاف (٣).

---

(١)انظر دقائق التفسير لابن تيمية ١/١٩٥-١٩٦ ،ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٤/٤١- ٤٢ .

(٢)فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ١٤/١٣٠ .

(٣)انظر مجموع الفتاوى ١٤/٤٢-٤٤ .

ثم أتبع ذلك بالنهي عن أكل الأموال بالباطل، وأخبر أن المحرم نوعان، نوع لعينه كالميتة،ونوع لكسبه كالربا، والمغصوب ....

وذكر أثناء عبادات الزمان المنتقل، الحرام المنتقل،ولهذا أتبعه بقوله [يسألونك عن الأهلة] وذكر المحصر وذكر التمتع بالعمرة إلى الحج، ثم أمر عند قضاء المناسك بذكره،وذكر أن البر ليس أن يشقي الرجل نفسه...ثم ذكر بعد ذلك مايتعلق بأحكام النكاح،والوالدات وما يتعلق بالأموال والصدقات، والربا، والديون، وغير ذلك ثم ختمها بالدعاء العظيم المتضمن وضع الاصار والأغلال والعفو والمغفرة والرحمة وطلب النصر على القوم الكافرين الذين هم أعداء ماشرعه من الدين في كتابه المبين،والحمد لله رب العالمين(١).

وتحدث عن هذه السورة وبين ترابطها باختصار الشاطبي في الموافقات فقال :"إن سورة البقرة كلام واحد باعتبار النظم وقداحتوت على أنواع من الكلام بحسب مابث فيها"(٢).

وقال في ترابطها:" ثم لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان أول مانزل عليه سورة البقرة وهي التي قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام فإنها بينت من أقسام أفعال المكلفين جملتها، وإن تبين في غيرها تفاصيل لها، كالعبادات التي هي قواعد الاسلام ...قال: فغيرها من السور المدنية المتأخرة عنها مبني عليها(٣).

---

(١)انظر مجموع الفتاوى ١٤/٤٤-٤٧ .

(٢)انظر الموافقات للشاطبي ٣ :٤١٥ .

(٣) المصدر نفسه٣: ٤٠٧ .

وقد استوقفت هذه السورة علماء العصر الحديث :

واختلف تناول كل منهم لمقاصد وموضعات السورة فالشيخ المراغي قد تكلم عما احتوته السورة مبيناً مافي هذه السورة من أمهات المقاصدالشرعية ، وذلك في آخر تفسيره لسورة البقرة وتمتاز خلاصته بالترقيم والدمج ومنها :

١- دعوة الناس جميعاًإلى عبادة ربهم .

٢- عدم اتخاذ أنداد له....وهكذا.

ثم قال في آخر كلامه :"وعلى الجملة فقد فصلت فيها الأحكام وضربت الأمثال واقيمت الحجج ولم تشتمل سورة على مثل ماشتملت عليه ومن ثم سميت فسطاط القرآن"(١).

أما الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار فقد نظر لهذه السورة بطريقة أخرى حيث قسمها إلى أقسام وأشار إلى موضوعات كل قسم وذلك تحت عنوان قال فيه (خلاصة سورة البقرة ومافيها من دعوة الإسلام وأحكامه وفوائده).

والأقسام هي :دعوة الإسلام العامة وأدخل في هذا القسم من أول السورة إلى الآية (١٤٢) .

أما القسم الثاني فجعله تحت عنوان خطاب الأمة بموضوع الدعوة العام:ويمتد من الآية (١٤٢-إلى الآية ١٧٦).

والقسم الثالث : خصه بالحديث عن الأحكام الشرعية الفرعية . وسماه خطاب أمة الإجابة بالفروع العملية :

وأكثر الأحكام الفرعيةتبدأ من آية ١٧٨ إلى أواخر السورة .

ثم فصل ذلك بقريب مما تقدم (٢).

---

(١)تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ط الحلبي ٩٠/٣ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم من ١٠٥- ١٠٩ بتصرف كثير

وفيما سبق تبين النهج الذي سار عليه المراغي ثم رشيد رضا وقد قسم موضوعات السورة بتقسيم قريب من تقسيمه سيد قطب.

إلا أنه قسم السورة قسمين حيث قال عند تفسير السورة :

"هذه السورة تضم عدة موضوعات ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطاً شديداً".

فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة المسلمة في المدينة . واستقبالهم لها ومواجهتهم لرسولها صلى الله عليه وسلم وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر مايتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة ،وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى :وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها واعدادها لحمل أمانة الدعوة ... بعد أن تعلق السورة نكول بني إسرائيل عن حملها ونقضهم لعهد الله بخصوصها وتجريدهم من شرف الانتساب لإبراهيم عليه السلام صاحب الحنيفية الأولى وفيها تبصير للجماعة المسلمة وتحذير من العثرات التي تسببت في تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم .

وفيما تقدم يتضح أنه نظر بتوسع إلى ماشتملت عليه من أمور مضيفاً إلى ذلك النظرة للمكان والزمان بمافيها من منافقين ويهود مردفاً ذلك بالنظر في الموضوعات الكلية للسورة ولعل هذا الذي ذهب إليه هو مقصود السورة ،وإن كان يرى أن كل موضوعات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطيه الريئسين (١).

ثم عرض السورة عرضاً تفصيلياً لموضوعات السورة وأن مما اشتملت عليه " تبيين الحلال والحرام في المطاعم والمشارب، وحقيقة البر، واحكام القصاص ،والوصية، والصوم ، والجهاد، والحج، والزواج، والطلاق وغيرها.

ثم ينعطف آخر السورة على افتتاحها فبين طبيعة التصور الإيمان وإيمان الأمة المسلمة بالأنبياء كلهم وبالكتب كلها وبالغيب وماوراءه" (٢).

---

(١) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ١ /٢٨ .

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٣١-٣٥ بتصرف .

نظرة فيما قال مفسر المغرب صاحب التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور عن هذه السورة.

الذي ألمح إلى سعتها، وتنوع أساليبها، وذكر أنه يصعب احصاء محتوياتها، وذكر أنها حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية، ثم قال:

"ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين:

قسم يثبت سمو هذا الدين على ماسبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس.

وقسم: يبين شرائع هذا الدين لاتباعه وإصلاح مجتمعهم، وهنا يظهر أنه يقصد هذين القسمين لأن عليهما دوران أكثر الموضوعات والآيات وإن أشارت الآيات إلى أغراض أخرى.

ثم أشار بنوع من الإطناب إلى موضوعات السورة (١).

أما الشيخ سعيد حوي فيرى في كتابه الأساس في التفسير:

أنه يمكن تقسيم سورة البقرة إلى مقدمة، وثلاثة أقسام وخاتمة.

ومما قال: " أما المقدمة فهي الآيات العشرون الأولى وفيها أقسام الناس حسب التقسيم الرباني: مسلمون، ومتقون، وكافرون، ومنافقون وصفة كل منهم.

ثم يأتي القسم الأول: ويبتدئ بدعوة الناس إلى سلوك طريق العبادة والتوحيد، ثم يسير القسم ليناقش الكفر وليعمق قضية السير في التقوى من خلال تأكيد طاعة الأمر واجتناب النهي... ولا ينتهي هذا القسم إلا وقد تأكدت قضية التقوى والسير فيها، وقضية العبادة والتوحيد ومظاهر ذلك وقد ابتدئت آياته من (الآية ٢١ إلى نهاية الآية ١٦٧).

وأما القسم الثاني فمن (الآية ١٦٨ إلى نهاية الآية ٢٠٧) قال:

وهو إستمرار للقسم الأول في كونه دلالة على التقوى وتفصيلاً في شأنها وتبياناً لأركانها وشروطها، ومايدخل فيها وموقف الناس منها (٢).

---

(١) التحرير والتنوير ١/٢٠٣ - ٢٠٦ .

(٢) انظر الأساس في التفسير ١/٦١-٧٣ بتصرف

ثم يأتي القسم الثالث داعياً إلى الدخول في الإسلام كله وذلك من (الآية ٢٠٨ إلى نهاية الآية ٢٨٤) وفيه تبيان لكثير من شرائع الإسلام، وتبين مايلزم لإقامة الإسلام كله، وفيه الملامح الرئيسية لنظام الإقتصاد في الإسلام، ويعرض قضايا في الحرب والعلاقات الإجتماعية في محيط الأسرة ويعرض امهات في قضايا السياسة .

ثم تأتي خاتمة السورة رابطة كل شيء بقضايا الإيمان والتوجه إلى الله، معلمة في ذلك، مربية عليه، مفصلة فيه،إذ مرجع هذا إلى الإيمان، والسمع والطاعة والتوبة من التقصير ومرجع مامر كله يعود إلى التكليف المستطاع للإنسان (١).

ويظهر بوضوح تشابه الطريقة التي سار عليها كل من رشيد رضا وسيد قطب وسعيد حوى، وأن كلاًمنهم قد قسم السورة إلى أقسام رئيسية،ولعل هذا من توارد الخواطر، وكما تقدم أن هذه السورة فسطاط القرآن وسنامه فتتنوع الأقوال فيها ،وقد تتشابه كما تقدم .

ويحسن ختم كلام العلماء في مقصود السورة بماقاله د. محمد عبدالله دراز حيث أنه خصها وخصصها بدراسة حظيت بالقبول عند أهل العلم وطلابه في كتابه "النبأ العظيم "وجعل مقصود السورة وماإشتملت عليه تحت عنوان "نظام عقد المعاني في سورة البقرة "حيث قال :

"اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها منه مقدمه وأربعة مقاصد وخاتمة".

أما المقدمة :في التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن مافيه من الهداية قد بلغ حداً من الوضوح لايتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لاقلب له، أو من كان في قلبه مرض، وفيها انقسام الناس في شأنه: إلى فئة تومن به، واخرى كافرة، وثالثة مترددة حائرة، وذلك في الآيات(١-٢٠).

ثم المقصد الأول :في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام وقد بدأت خمس آيات في الأول مطالبة العالم بأشياء ثلاثة:

١- أن لاتعبدوا إلا الله ولاتشركوا به شيئاً .

٢- أن آمنوا بكتابه الذي نزله على عبده .

٣- أن اتقوا أليم عذابه وابتغوا جزيل ثوابه.

ثم عاد على مابدأ به بوصف طريقة القرآن في الهداية، ثم فصل المطلوبات الثلاثة كل ذلك في أربع عشرة آية من "٢٦"إلى "٣٩" (٢).

---

(١) الأساس في التفسير ٦١/١ -٦٤-٦٧٣-٦٧٤- باختصار ومزج بينهما.

(٢) انظر النبأ العظيم ١٦٣- ١٧٧ .

ثم بدأ المقصد الثاني بالمناداة، والتذكير، ثم شرح ماطلب منهم وهذا المقصد في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق .

وقد قسم الحديث إلى أربعة أقسام :

١- قسم يذكر فيه سالفة اليهود منذ موسى عليه السلام .

٢- قسم يذكر فيه أحوال المعاصرين منهم للبعثة المحمدية .

٣- قسم يذكر فيه أولية المسلمين منذ إبراهيم عليه السلام.

٤- قسم يذكر فيه حاضر المسلمين في وقت البعثة .

كل هذا في "١٢٣ آية "شرحت المراحل الأربع التي سلكها القرآن في دعوة بني إسرائيل وتبدأ من "٤٠- ١٦٢"

ثم يأتي المقصد الثالث ويبدأ في خمس عشرة آية من هذا المقصد بتمهيد قبل عرض شرائع الدين المفصلة في هذا المقصد .

وفي التمهيد خطوات ثلاث :

الأولى :تقرير وحدة الخالق المعبود.

ثانياً:تحديد وحدة الآمر المطاع .

ثالثاً: فهرس إجمالي للأوامر والطاعات المطلوبة وفيها إجمال لشرائع الدين ولما كان قد تم في هذه وماقبلها ثبات أساس العقيدة بدأ في شرح كامل لما سبق الإشارة إليه في الخطوة الثالثة بأنه الفهرس الإجمالي .

أما مافصل في هذا المقصد فهو : الصبر بأنواعه،والوفاء بالعهد إقامة الصلاة،إيتاء الزكاة،البذل والتضحية في سبيل الله مع تفصيل أحكام الحج والحياة الزوجية،وكذا الإنفاق والجهاد والإيثار وكثير من الأحكام التي اشتملت عليها السورة كان تفصيلها في هذا الموضع .

وأما المقصد الرابع :فهو ذكر الوازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصمه عن مخالفاتها ألا وهو الإحسان بعد ذكر الإيمان والإسلام الإحسان المتمثل في قوله تعالى

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾

"الخاتمة "وهي في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد وبيان مايرجى لهم في آجلهم وعاجلهم بعد أن بين أركان الدين كله" (١).

وهكذا انفرد الدكتور دراز بالمقصد الرابع والتنبيه على الخاتمة عما ذكره غيره من موضوعات سورة البقرة .

---

(١) انظر النبأ العظيم ص ١٧٨ وما بعدها.

الفصل الرابع : ربط أجزاء الآية الواحدة .

ربط أجزاء الآية الواحده من آي سورة البقرة :

بعد عرض آراء الرازي وغيره من أهل العلم في مقاصد السورة وبيان موضوعاتها يأتي النظر في ربط الرازي لأجزاء الآية الواحدة حيث اهتم الرازي ضمن تفسيره عند تحليل آي القرآن وبيان معانيها ببيان ترابط معنى الآية وتناسبه وانسجامه، واتبع في ذلك طرقاً متنوعة تصب في مقصد واحد، وهوبيان ترابط آي القرآن التي بهرت آيه بلغاء الناس وفصحائهم حتى شهدوا أنها في غاية الفصاحة والبلاغة وشهدوا أن الآية المشتملة على الكلمات والجمل المختلفة مترابطة المعنى قوية السبك، ويتضح فيما يأتي كيفية ربط الرازي لأجزاء الآي فيما صرح أولمح به من ربط لأجزاء آيات سورة البقرة مقتصراً غالباً على ماسوى الفاصلة والتذييل وبالله التوفيق. ومن ذلك مايلي:

٥ /(*) في ربط أجزاء قوله تعالى :[أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾] تحدث الفخر عن تكرار أولئك في صدر الآية ووسطها فقال :" وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح أيضا، فقد تميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين "(١).

فظهر أن في تكرير قوله تعالى [أولئك]إضافة معان جديدة،كجمعهم الفلاح إضافة لما نالوه من الاختصاص بالهدى .

٧/ وعند قوله تعالى :[خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾]

ذكر الرازي السر في تقديم السمع على الأبصار وأن ذلك لأفضلية السمع على البصر لأن الله تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر وذكر أن التقديم دليل على التفضيل(٢).

وفيما ذكر الرازي بيان أن الأفضلية مسوغ صحيح يتقدم بموجبها الفاضل على المفضول في سياق الكلام .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٤/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٤٨/٢ .

(*) الرقم السابق للآية المراد ربط أجزاءها هو رقمها في ترتيب السورة .

١٦ / وعند قوله تعالى [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

ربط الرازي قوله تعالى :[فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين] بصدر الآية فقال: "ان إشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليها واستبدالها بها ولما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه تمثيلا لخسارتهم وتصويرا لحقيقته"(١).

فاتضح أن الربط هنا بجامع المشاكلة والمقابلة بين الشراء والخسارة- عدم الربح - حيث جاء قوله تعالى:[فما ربحت تجارتهم] عقب قوله:[أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى].

٢١-٢٢/ وفي الربط بين أجزاء الآيتين من قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

قال الرازي:" إن الله تعالى ذكر ههنا خمسة أنواع من الدلائل اثنين من الأنفس وثلاثة من الآفاق فبدأ أولاً: بقوله [خلقكم] وثانياً:بالآباء والأمهات، وهو قوله[والذين من قبلكم] وثالثاً:بكون الأرض فراشاً ورابعاً: بكون السماء بناء، وخامساً:بالأمور الحاصلة من مجموع السماء والأرض وهو قوله:[وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم]

قال:"ولهذا الترتيب أسباب،الأول :أن أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه وعلم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره،وإذا كان الغرض من الاستدلال إفادة العلم فكل ماكان أظهر دلالة كان أقوى إفادة وكان أولى بالذكر .

قال: فلهذا السبب قدم ذكر نفس الإنسانثم ثناه بآبائه وأمهاته ثم ثلث بالأرض لأن الأرض أقرب إلى الإنسان من السماء والإنسان أعرف بحال الأرض منه بأحوال السماء،وإنما قدم ذكر السماء على نزول الماء من السماء وخروج الثمرات بسببه لأن ذلك كالأمر المتولد من السماء والأرض والأثر متأخر عن المؤثر فلهذا السبب أخر الله ذكره عن ذكر الأرض والسماء "(٢).

ووجه التناسب هنا الترتيب بتقديم الأظهر بإفادة العلم ثم مادونه، ثم جاء الترتيب بحسب المجاورة الأقرب فالأقرب، ثم تقديم السبب على المسبب.

---

(١) مفاتيح الغيب ٧٢/٢ .

(٢)المصدر السابق ١٠١/٢-١٠٢ .

وذكر الرازي :للتناسب وجهاً آخر هو تقديم الأصول على الفروع فقال:"الثاني :هو أن خلق المكلفين أحياء قادرين أصل لجميع النعم وأما خلق الأرض والسماء والماء فذاك إنما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياة والقدرة والشهوة فلا جرم قدم ذكر الأصول على الفروع."

وذكر وجهاً ثالثاً ولم يرتضه وهو:" أن كل مافي الأرض والسماء من دلائل الصانع فهو حاصل في الإنسان وقد حصل في الإنسان من الدلائل مالم يحصل فيهما."

ومما يبين طريقة الرازي رده لهذا الوجه بقوله:" لكن يرد عليه بقوله تعالى [لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس]"(١).

وبذلك يتبين أن وجه الربط هو الاعتناء بالمجاور،وبتقديم السبب على المسبب كما في الوجه الأول أو بذكر الأصول ثم إتباعها بالفروع كما في الوجه الثاني والله أعلم.

٢٨/ وعند قوله تعالى :[كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾]بين الرازي أن هذه الآية تضمنت المتنان بنعمة الإحياء،التي حقها الشكر لكنها قوبلت بالكفر فقال:"واعلم أن قوله [كيف تكفرون بالله] وإن كان بصورة الاستخبار فالمراد به التبكيت والتعنيف لأن عظم النعمه يقتضي عظم معصية المنعم فبين سبحانه وتعالى بذلك عظم ماأقدموا عليه من الكفر، بأن ذكرهم نعمه العظيمة عليهم ليزجرهم بذلك عما أقدموا عليه من التمسك بالكفر ويبعثهم على اكتساب الإيمان فذكر تعالى من نعمه ماهو الأصل في النعم وهو الإحياء فهذا هو المقصود الكلي فإن قيل: لم كان العطف الأول بالفاء والبواقي بثم ؟ قلنا: لأن الإحياء الأول قد يعقب الموت بغير تراخ،وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت إن أريد به النشور تراخياً ظاهراً"(٢).

ففي ربط الأجزاء بدأ بإيضاح المراد من الاستفهام في قوله تعالى [كيف تكفرون]وبين العلة في تعقيبه بذكر الإحياء، ثم بين سر التعقيب بالفاء في موضع وبثم في الموضع الآخر.

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٢/ ١٠١ -١٠٢ باختصار .

(٢) انظر المصدرنفسه ١٤٩/٢ .

٤١ / ومما تعرض الرازي لربط أجزائه قوله تعالى ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ حيث قال:" وقوله عقيب هذه الاية [ولا تشتروا بأياتي ثمناً قليلاً] لا يدل على إباحة ذلك بالثمن الكثير بل المقصود من هذه السياقة استعظام وقوع الجحد والإنكار ممن قرأ في الكتب نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته"(١).

ويظهر مما قال أن المقصود بالنهي عن استبدال الايات بالثمن القليل كل عوض كثيراً كان أو قليلاً لكن وصف بالقلة مقابلة لما أضاعوا بكتمان الحق من الخير الكثير والله أعلم .

٤٢ / ومما بين الرازي ترابط أجزائه قوله تعالى ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ حيث قال: "وقوله [ولا تلبسوا الحق بالباطل] أمر بترك الاغراء والإضلال، واعلم أن إضلال الغير لا يحصل إلا بطريقين، وذلك لأن ذلك الغير إن كان قد سمع دلائل الحق فإضلاله لا يمكن إلا بتشويش الدلائل عليه وإن كان ماسمعها فإضلاله إنما يمكن باخفاء تلك الدلائل عنه ومنعه من الوصول إليها فقوله [ولا تلبسوا الحق بالباطل]إشارة إلى القسم الأول :وهو تشويش الدلائل عليه وقوله [وتكتموا الحق]إشارة إلى القسم الثاني :وهو منعه من الوصول إلى الدلائل"(٢).

ووجه الربط هنا أن ماجاء في آخر الاية متمم لما في أولها متضمناً صور الصد عن الحق إلى الباطل بإيجاز بديع،والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٢/٣ .

(٢) المصدر نفسه ٤٣/٣ .

٤٨/ ومن جنس ربط الرازي لأجزاء الآية ما قاله عن سر تقديم قبول الشفاعة على أخذ الفدية في قوله تعالى :

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ٤٨﴾

إذ قال في هذه الآية :"إن الله قدم في هذه الآية قبول الشفاعة على أخذ الفدية وذكر هذه الآية في هذه السورة بعد العشرين والمائة في قوله تعالى[واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون *١٢٣*]. وقدم قبول الفدية على ذكر الشفاعة فما الحكمة فيه؟ "

قال:"الجواب أن من كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية، ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ففائدة تغير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين"(١).

وفيما تقدم إشارة إلى الفائدة من تقديم أمر على آخر في الآية الواحدة إذا تكررت، وأن تقديم لفظ وتأخيره يتأثر بالسياق الذي هو فيه والله أعلم .

٨١/ وعند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٨١﴾

نقل الرازي عن الزمخشري وجهاً في ترابط أجزاء الآية فقال:"قال صاحب الكشاف[بلى] إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله تعالى [لن تمسنا النار] أي بلى تمسكم أبداً بدليل قوله[هم فيها خالدون]"(٢).

ووجه الربط إثبات وتأكيد ما نفوه وقد أكد صدر الآية بما تضمنته الفاصلة.

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٤/٣ .

(٢) المصدر السابق ١٤٤/٣ .

٨٣/ أما عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ٨٣﴾

فقد وقف الرازي وقفات للربط بين أجزائها:" فبين أولاً سر اتباع الأمر بعبادة الله الأمر بالإحسان إلى الوالدين فقال:" إنما أردف عبادة الله بالإحسان إلى الوالدين لوجوه:-

١-أن نعمة الله تعالى على العبد أعظم النعم فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره،ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين أعم النعم وذلك لأن الوالدين هما الأصل والسبب في كون الولد ووجوده كما أنهما منعمان عليه بالتربيه وأما غير الوالدين فلا يصدر عنه الإنعام بأصل الوجود بل بالتربية فقط فثبت أن إنعامهما أعظم وجوه الإنعام بعد إنعام الله تعالى.

٢-أن الله سبحانه هوالمؤثر في وجود الإنسان في الحقيقه والوالدان هما المؤثران في وجوده بحسب العرف الظاهر فلما ذكر المؤثر الحقيقي أردفه بالمؤثر بحسب العرف الظاهر.

٣- أن الله تعالى لا يطلب بإنعامه على العبد عوضاً البتة بل المقصود إنماهو محض الإنعام والوالدان كذلك فإنهما لا يطلبان على الإنعام على الولد عوضاً مالياً ولا ثواباً؛ فإن من ينكر الميعاد يحسن إلى ولده ويربيه، فمن هذاالوجه أشبه إنعامهماإنعام الله تعالى.

٤-أن الله تعالى لا يمل من الإنعام على العبد ولو أتى العبد بأعظم الجرائم فإنه لا يقطع عنه مواد نعمه وروادف كرمه وكذا الوالدان لا يملان الولد ولا يقطعان عنه مواد منحهما وكرمهماوإن كان الولد مسيئاً إلى الوالدين"(١)، وبما قال الرازي يتبين وجه الربط في جعل الوصية بحق الأبوين عقب الأمر بأداء حق الله؛ لاجتماع نعمة الله ونعمة الوالدين على العبد فلحصول الإنعام من الكل على العبد قرن بينهما وقدم الأمر بعبادة الله على الإحسان إلى الوالدين لأن إنعام الله أعظم وأكبر، وفيما ذكر إشارة إلى سبب تقديم حق الأبوين على من سواهما.

---

(١)مفاتيح الغيب للرازي ١٦٥/٣ .

ولعل فائدة تعقيب الأمر بالإحسان إلى الوالدين بالحث على الإحسان إلى ذي القربى في قوله: [وذي القربى] عقب قوله: [وبالوالدين إحساناً] التبعية أي كون ذوي القربى تابعين للأبوين لأنهما أساس كل قرابة وغيرهما تبع.

قال الرازي: "اعلم أن حق ذي القربى كالتابع لحق الوالدين لأن الإنسان إنما يتصل به أقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين والاتصال بالوالدين مقدم على الاتصال بذي القربى، فلهذا أخر الله ذكره عن الوالدين"(١)، وفي هذا مراعاة لمرتبة القرب حيث قدم الأقرب فالأقرب، وعقب ذكر الأساس بذكر الفرع.

وعن سر قوله تعالى: [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً] عقب قوله تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ *٨٣*] قال الرازي: "يقال لم خوطبوا [بقولوا] بعد الإخبار بقوله تعالى: [وإذأخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً..] الآية.

قال الرازي: والجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه على طريقة الالتفات كقوله تعالى [حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم].

وثانيها: فيه حذف أي قلنا لهم قولوا.

وثالثها: الميثاق لا يكون إلا كلاماً كأنه قيل قلت: "لا تعبدوا وقولوا"(٢).

ووجه الربط الالتفات كما هو واضح في الوجه الأول، أو تقدير محذوف كما في الوجه الثاني والثالث، وعدم التقدير أولى فيكون وجه الربط الإلتفات والله أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١٦٦/٣.

(٢) انظر المصدر السابق ٣/ ١٦٧.

ثم توقف الرازي عند قوله تعالى ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾
فربطها بصدر الآية وهو قوله: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

فقال:" واعلم أنه تعالى لما شرح أنه أخذ الميثاق عليهم في هذه التكاليف الثمانية بين أنه مع إنعامه عليهم بأخذ الميثاق عليهم بكل ذلك ليقبلوا فتحصل لهم المنزلة العظمى عند ربهم تولوا وأساءوا إلى أنفسهم ولم يتلقوا نعم ربهم بالقبول مع توكيد الدلائل والمواثيق عليهم وذلك يزيد في قبح ماهم عليه من الإعراض والتولي لأن الإقدام على مخالفة الله تعالى بعد أن بلغ الغاية في البيان والتوثق يكون أعظم من المخالفة مع الجهالة".

وفي هذا تسجيل لتوليهم على سبيل الالتفات إن كان المخاطب بقوله تعالى [ثم توليتم] من تقدم بني إسرائيل،وهو واحد من ثلاثة أوجه:- ثانيها:أنه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود،يعني أعرضتم بعد ظهور المعجزات كإعراض أسلافكم"(١).

وهنا لا يكون التفاتاً بل خطاب للحاضرين،ويكون رداً للعجز على الصدر.

---

(١) المصدر نفسه ١٦٩/٣.

٨٩/ ومن اهتمام الرازي بالسياق ما قاله عند ربط أجزاء قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

حيث قال: أما قوله تعالى[كتاب]فقد اتفقوا على أن هذا الكتاب هو القرآن لأن قوله تعالى[مصدق لما معهم] يدل على أن هذا الكتاب غير ما معهم وما ذاك إلا القرآن: أما قوله تعالى [مصدق لما معهم] فلا شبهة في أن القرآن مصدق لما معهم في أمر يتعلق بتكليفهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة واللائق بذلك هو كونه موافقاً لما معهم في دلالة نبوته إذ قد عرفوا أنه ليس بموافق لما معهم في سائر الشرائع وعرفنا أنه لم يرد الموافقة في باب أدلة القرآن لأن جميع كتب الله كذلك ولما بطل الكل ثبت أن المراد موافقته لكتبهم فيما يختص بالنبوة ومايدل عليها من العلامات والنعوت والصفات (١).

ودلالة السياق توضح وجه الربط إذ الكلام عن اليهود وموقفهم من الحق الذي تضمنه القرآن الكريم والله أعلم .

٩٥/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

وضح الفخر الرازي وجه اتصال قوله تعالى :[بما قدمت أيديهم] بقوله : [ولن يتمنوه]فقال:وأما قوله تعالى[بما قدمت أيديهم]فبيان للعلة التي لها لا يتمنون[الموت] لأنهم إذا علموا سوء طريقتهم وكثرة ذنوبهم دعاهم ذلك إلى أن لا يتمنوا الموت.

وأما قوله تعالى[والله عليم بالظالمين]فهو كالزجر والتهديد لأنه إذا كان عالماً بالسر والنجوى ولم يمكن إخفاء شئ عنه صار تصور المكلف لذلك من أعظم الصوارف عن المعاصي(٢).

وفي ربطه للجمل الأولى اعتمد على أنها من أخبار الغيب الصادقة وفي الثانية اعتمد على التعليل والسببية وفيها تذييل متضمن معنى زائداً هوالزجر والتهديد والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨٠/٣ .

(٢)انظر المصدر نفسه ١٩٢/٣ .

١٠٠/ أما في قوله تعالى ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فقد ربط الرازي بين أجزائه مبيناً المراد بالعهد مستدلاً عليه بما يفهم من السياق مورداً في ذلك أوجهاً منها:

١- أنهم كانوا يعاهدون الله كثيراً وينقضونه .

٢- أن العهد هو الذي كانوا يقولون قبل مبعثه عليه السلام لئن خرج النبي لنؤمنن به ولنخرجن المشركين .

٣-أن اليهود كانوا قد عاهدوا على أن لا يعينوا عليه أحداً من الكافرين فنقضوا ذلك وأعانوا عليه قريشاً يوم الخندق .قال الرازي:قال القاضي :إن صحت هذه الرواية* لم يمتنع دخوله تحت الآيه(لكن لا يجوز قصر الآية عليه بل الأقرب أن يكون المراد ماله تعلق بما تقدم ذكره من كفرهم بآيات الله وإذا كان كذلك فحمله على نقض العهد في ما تضمنته الكتب المتقدمة والدلائل العقلية من صحة القول ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم أقوى (١)

وهو بهذا يشير إلى ما تقدم من عهود قطعوها على أنفسهم سواء مع أنبيائهم أومع غيرهم حيث كانوا يعاهدون الله كثيراًوينقضون أومن عهد على اتباع الحق والإيمان بمحمد،أو عهودهم مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته ولعله يحمل على العموم في كل عهد قديماًكان أوحديثاً وذلك شأنهم في كل عهد عاهدوه ،ومعاهداتهم في عصرنا من ذاك القبيل وهي على ماتضمنته الآية أقوى دليل .

١١٩ / وفي ربط أجزاء قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾

قال الرازي في قوله:[بالحق]وجوه (أحدها)أنه متعلق بالإرسال،أي أرسلناك إرسالاًبالحق، (وثانيها) أنه متعلق بالبشير والنذير أي أنت مبشر بالحق ومنذر به، (وثالثها)أن يكون المراد من الحق الدين والقرآن أي أرسلناك بالقرآن حال كونه بشيراً لمن أطاع الله بالثواب ونذيراً لمن كفر بالعقاب،والأولى أن يكون البشير والنذير صفة للرسول صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال:إنا أرسلناك يامحمد بالحق لتكون مبشراً لمن اتبعك واهتدى بدينك ومنذراً لمن كفر بك وضل عن دينك"(٢).

واضح هنا أن الرازي بنى الربط على ما تتعلق به الباء في قوله [بالحق]ولعل حملها على الكل أولى فالرسول حق،والقرآن حق،والدين حق،والرسول بشير ونذير، كما أن القرآن بشير ونذير والله أعلم .

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ٣٠١/٣

(٢) المصدر نفسه ٣٠/٤ .

١٢١/ وعند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

ربط الرازي أجزاء هذه الآية لبيان [الكتاب] وعلى من أنزل فقال: "المراد بقوله [الذين أتيناهم الكتاب] أنهم المؤمنون الذين آتاهم الله القرآن، لأن قوله تعالى: [أولئك يؤمنون به] يدل على أن الإيمان مقصور عليه ولوكان المراد أهل الكتاب لما كان كذلك ولقوله [ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون] والكتاب الذي يليق به هذا الوصف هو القرآن(١)" ولا قصر في الآية كما يظهر،

والصحيح أن الكافر بكل كتاب خاسر، ومن كفر بكتاب منها فهو كافر بكل الكتب؛ فعلى هذا لا يختص الوصف الأخير بالقرآن والله أعلم .

١٤٣/ ومما ربط فيه أجزاء الآية قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ﴾

حيث قال في قوله تعالى [وكذلك جعلناكم أمة]: "وهذا إخبار عن الماضي فلا أقل من حصوله في الحال، وإنما قلنا: إن ذلك يقتضي صيرورتهم شهوداً في الدنيا لأنه تعالى قال [وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس] رتب كونهم شهداء على صيرورتهم وسطاً ترتيب الجزاء على الشرط فإذا حصل وصف كونهم وسطاً في الدنيا وجب أن يحصل وصف كونهم شهداء في الدنيا (٢).

ربط الرازي هنا بترتب الجزاء على الشرط للتلازم بين الشرط والجزاء والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٢/٤ .

(٢) المصدر السابق ١٠٢/٤ .

١٤٣/ ولربط أجزاء قول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

ساق الرازي سبب نزول قوله [وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم]وهو: أن رجالاً من المسلمين كأبي أمامة والبراء بن معرور وغيرهم ماتوا على القبلة الأولى فقالت عشائرهم : يارسول الله توفي إخواننا على القبلة الأولى فكيف حالهم ؟ فأنزل الله هذه الآية (١).

قال الرازي :"واعلم أنه لابد من هذا السبب،وإلا لم يتصل بعض الكلام ببعض، ووجه تقرير الإشكال أن الذين لم يجوزوا النسخ إلا مع البداء يقولون:إنه لما تغير الحكم وجب أن يكون الحكم مفسدة وباطلا فوقع في قلبهم بناء على هذا السؤال أن تلك الصلوات التي أتو بها متوجهين إلى بيت المقدس كانت ضائعة ، ثم إن الله تعالى أجاب عن هذا الإشكال وبين أن النسخ نقل من مصلحة إلى مصلحة ومن تكليف إلى تكليف، والأول كالثاني في أن القائم به متمسك بالدين، وأن من هذا حاله فانه لايضيع أجره (٢).

وهذا مما اعتمد الرازي في ربط أجزائه على ذكر سبب نزوله وبين أنه لا يتضح وجه الربط فيه إلا ببيان سبب نزوله والله أعلم .

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي:ص ٣٩،وأصله عند البخاري فيمارواه بسنده عن البراء وفيه قال:"وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر مانقول فيهم ؛فأنزل الله [وماكان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم] صحيح البخاري ٣:١٠٠ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ٤/١٠٦،١٠٧ .

١٤٤ / وعند قوله تعالى : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

ربط الرازي قوله :[وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره]بقوله :[فول وجهك شطر المسجد الحرام] فقال :"إن قوله تعالى :[وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره]ليس بتكرار وبيانه من وجهين:أحدهما : أن قوله تعالى :[فول وجهك شطر المسجد الحرام] خطاب مع الرسول عليه السلام لا مع الأمة ، وقوله [وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره]خطاب مع الكل.

وثانيهما :أن المراد بالأولى مخاطبتهم وهم بالمدينة خاصة ؛وقد كان من الجائز لو وقع الاختصار عليه أن يظن أن هذه القبلة قبلة لأهل المدينة خاصة ؛ فبين الله تعالى أنهم أينما حصلوا من بقاع الأرض يجب أن يستقبلوا نحو هذه القبلة".

وربط الرازي بأن بين أنه من العام بعد الخاص سواء كان ذلك في الخطاب،أو في المكان، و بيان أن المراد من قوله [وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره]معان جديدة زيادة على ماتضمنه قوله [فول وجهك شطر المسجد الحرام] فلا تكرار والله اعلم .

وفي ربط قوله [وإن الذين أوتو الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم] بأول الآية رجح الرازي أن المراد بقوله [أنه الحق] التكليف الخاص بالقبلة لأنه أليق بالكلام ثم قال إذ المقصود بالآية ذلك دون غيره .(١)

ثم بين المعني المراد من قوله[إنه الحق]بأنه في شأن القبلة حتى لا يخرج عما يقتضيه السياق والله أعلم .

---

(١)مفاتيح الغيب ١٢٣/٤ .

١٥٢/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾
قال الرازي: "اعلم أن الله تعالى كلفنا في هذه الآية بأمرين: الذكر، والشكر"(١).

ثم بين كيف تضمنت الآية الأمرين وكيف ترتب قوله [اذكركم] على قوله [اذكروني] فقال: "أما قوله [اذكركم] فلا بد من حمله على ما يليق بالموضع، والذي له تعلق بذلك الثواب والمدح، وإظهار الرضا والإكرام، وإيجاب المنزلة، وكل ذلك داخل تحت قوله [أذكركم]" ثم ذكر عبارات أهل العلم في ترتب ذكر الله على ذكر العبد ومما قال: " ثم للناس في هذه الآية عبارات " منها:

١- اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي .

٢- اذكروني في الدنيا اذكركم في الآخرة .

٣- اذكروني في الرخاء اذكركم في البلاء ...إلخ (٢)

ولعل وجه الربط هو المقابلة والجزاء بذكر الله على ذكر العبد ولعل المراد بالآية العموم الذكر فلا يقال المقصود به الثواب والمدح وإظهار الرضا ونحوه مما قال الرازي.

١٦٣/ ومن المقابلة ما قاله الرازي في ربط أجزاء قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

من مناسبة ذكر صفة الرحمة والرحمانية بعد صفة الإلهية والوحدانية فقال: " واعلم أنه سبحانه إنما خص هذا الموضع بذكر هاتين الصفتين لأن ذكر الإلهية الفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر هذه المبالغة في الرحمة ترويحاً للقلوب عن هيبة الإلهية، وعزة الفردانية وللإشعار بأن رحمته سبقت غضبه وأنه ما خلق الخلق إلا للرحمة والإحسان"(٣).

وفي قطعه بأن الله ما خلق الخلق إلا للرحمة والإحسان نظر فإنه إنما خلقهم للعبادة فمن أحسن فله الرحمة والإحسان ومن أساء فهو تحت المشيئة.

---

(١) مفاتيح الغيب ٤/ ١٤٣ .

(٢) انظر المصدر نفسه ٤/ ١٤٤ .
ذكر الله أول الرازي هنا معنى "اذكركم " مع أن المراد ذكره حقيقة كما في الحديث القدسي المروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ‹يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم› صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله ٤ / ٢٠٦١ .

(٣) المصدر السابق ٤/١٧٧ .

١٧٤/ وعند قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾

ربط الرازي بين كتمانهم وبين قوله [أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار] ثم قوله تعالى [ولا يكلمهم الله] ثم قوله [ولا يزكيهم] ثم قوله [ولهم عذاب أليمٌ]

فقال:"واعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الحكاية عنهم ذكر الوعيد على ذلك من وجوه (أولها) قوله تعالى :[أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار]"(١).

(وثانيها) قوله تعالى [ولا يكلمهم الله]فظاهره أنه لا يكلمهم(٢) أصلاً لكنه لما أورده مورد الوعيد فهم منه مايجري مجرى العقوبة لهم، (وثالثها)قوله[ولا يزكيهم].

(ورابعها) قوله [ولهم عذاب أليم].

وفي هذا مقابلة ومجازاة على التكذيب بصور وألوان من العقاب الأليم والله أعلم.

وهنا قدم ذكر الذنب ثم ذكر عقيبه الوعيد عليه ولعظم جرمهم بكتمان ما أنزل الله من الكتاب وأخذ الثمن القليل مقابل ذلك كان الوعيد على صور شتى يتلوا بعضها بعضاً بدأً من أكل النار وحرمانهم من كلام الله،وحرمانهم من تزكيته إياهم،إلى خلودهم في العذاب الأليم والعياذ بالله.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/٥

(٢) قول الرازي أنه لا يكلمهم أصلاً نفي لصفة الكلام الثابتة له سبحانه بالقرآن والسنة والمنفي هنا هو كلام الرحمة وعطف وفي القرآن أنه يكلمهم كما في قوله تعالى :[قال أخسئوا فيها ولا تكلمون](المؤمنون :١٠٩)

١٧٧/ ومما يتعلق بربط أجزاء الآية تساؤل الرازي عن سر تقديم الإيمان على أفعال الجوارح في قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

حيث قال: لم قدم هذا الإيمان على أفعال الجوارح، وهو إيتاء المال، والصلاة، والزكاة؟

ثم قال الرازي :(الجواب) للتنبيه على أن أعمال القلوب أشرف عند الله من أعمال الجوارح(١).

وفي هذا تأكيد على ماتقدم من مراعاة تقديم الأهم على المهم والفاضل على المفضول في السياق وأن أفضليته مسوغ لتقديمه.

ثم ربط قوله تعالى [أولئك الذين صدقوا] بقوله[ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وءاتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وءاتى الزكاة والموفون بعدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس]في الآية نفسها.قال الرازي :" قال تعالى :[أولئك الذين صدقوا] أى أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم، وفي هذا إشارة إلى أن مدعي الإيمان كثير والصادقون منهم قليل وهم الذين أتبعوا الإيمان بما اشتملت عليه الآية من صالح الأعمال ويؤكد ذلك مانقله عن الواحدي .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٩/٥ .

وقوله إن أعمال القلوب أشرف عند الله من أعمال الجوارح لا يقتضي الاكتفاء بها وأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان والإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال:"وذكر الواحدي رحمه الله في آخر هذه الآية مسألة وهي أنه قال :هذه الواوات في الأوصاف في الآية للجمع، فمن شرائط البر وتمام شرط البار أن تجتمع فيه هذه الأوصاف، ومن قام به واحد منها لم يستحق الوصف بالبر، فلا ينبغي أن يظن الإنسان أن الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء لا يكون قائماً بالبر إلا عند استجماع هذه الخصال، ولذلك قال بعضهم : هذه الصفة خاصة للأنبياء عليهم السلام، لأن غيرهم لا تجتمع فيه هذه الأوصاف كلها، وقال آخرون: هذه عامة في جميع المؤمنين"(١)، وهكذا فإن من حصل خصلة منها حصل على خصلة من خصال الإيمان،ومن اتصف بها جميعاً استكمل الإيمان .

١٨٠/ وعند قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾

قال الرازي :"اعلم أن الله تعالى لما بين أن الوصية واجبة، بين بعد ذلك أنها واجبة لمن ؟ فقال : للوالدين والأقربين، وفيه وجهان (الأول) قال الأصم :إنهم كانوا يوصون للأبعدين طلبا للفخر والشرف، ويتركون الأقارب في الفقر والمسكنة، فأوجب الله تعالى في أول الإسلام الوصية لهؤلاء منعا للقوم عما كانوا اعتادوه وهذا بين.

(الثاني) قال آخرون إن إيجاب هذه الوصية لما كان قبل آية المواريث،جعل الله الخيار الى الموصى في ماله وألزمه أن لا يتعدى في إخراجه ماله بعد موته عن الوالدين والأقربين فيكون واصلا اليهم بتمليكه واختياره، ولذلك لما نزلت آية الموارث قال عليه الصلاة والسلام ‹إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث› (*)

فبين أن ما تقدم كان واصلا إليهم بعطيه الموصى، فأما الان فالله تعالى قدر لكل ذي حق حقه وأن عطية الله أولى من عطية الموصي، وإذا كان كذلك فلا وصية لوارث البتة، فعلى هذا الوجه كانت الوصية من قبل واجبة للوالدين والأقربين (٢).

وفي هذا تتميم لمعنى الآية فإنه لما ذكر أن الوصية واجبة بين مستحقها ومصرفها، ببيان لمن تكون الوصية .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٤٥/٥ .

(٢) المصدر نفسه ٦٠/٥ .

(*)حديث صحيح رواه أصحاب السنن انظر سنن الترمذي كتاب الوصايا، باب ماجاء لاوصية لوارث ٤ : ٣٧٩،. وفي كتاب الوصايامن صحيح البخاري،باب لاوصية لوارث ١٢٦:٢ .

١٨٣- ١٨٤/ وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٤﴾ ربط الرازي أجزاء الآية الثانية فقال :ولقائل أن يقول: رعاية اللفظ تقتضى أن يقال : فمن كان منكم مريضا أو مسافرا ولم يقل هكذا بل قال [فمن كان منكم مريضاأو على سفر] فأوضح أنه راعى المعنى أي كونه على قصد السفر لأن السفر أمر يتعلق بقصده واختياره بينما المرض صفة قائمة بالذات(١).

وكأنه بهذا يشيرإلى تقديم مراعاة المعنى على مراعاة اللفظ والصحيح أن آي الكتاب يراعى فيها اللفظ والمعنى جميعاً.

وفي اتصال قوله تعالى :[وأن تصوموا خير لكم]بأول الآية قال الرازي:"أما قوله[وأن تصوموا خير لكم] ففيه وجوه (أحدها) أن يكون هذا خطابا مع الذين يطيقونه فقط، فيكون التقدير: وأن تصوموا أيها المطيقون أو المطوقون وتحملتم المشقة فهو خير لكم من الفدية .(والثانى)أن هذا خطاب مع كل من تقدم ذكرهم، أعنى المريض والمسافر والذين يطيقونه ،وهذا أولى لأن اللفظ عام، ولا يلزم من اتصاله بقوله [وعلى الذين يطيقونه] أن يكون حكمه مختصاً بهم لأن اللفظ عام ولا منافاة في رجوعه إلى الكل، فوجب الحكم بذلك وعند هذا يتبين أنه لا بد من الإضمار في قوله[فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر] وأن التقدير : فأفطر فعدة من أيام أخر (الثالث) أن يكون قوله[وأن تصوموا خيرلكم]عطفا على أول الآية فالتقدير : كتب عليكم الصيام وأن تصوموا خير لكم (٢).

والربط هنا بإيضاح مرجع الضمير وقد حملها الرازي على العموم في الوجهين الأولين - إما على المعطوفين - أو على كل من ذكر في الآية ،أما الوجه الثالث :فهو ربط لهذه الآية بالآية التي قبلها والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٧٦/٥ .

(٢) المصدر نفسه ٨٢/٥ .

١٨٥ / وفي ربط أجزاء قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

قال الفخر مبيناً في اتصال قوله تعالى :[يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر] بما قبلها:"أما قوله تعالى :[يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر]فاعلم أن هذا الكلام إنما يحسن ذكره هنا بشرط دخول ما قبله فيه والأمر ههنا كذلك لأن الله تعالى أوجب الصوم على سبيل السهولة واليسر فإنه ما أوجبه إلا في مدة قليلة من السنة ثم ذلك القليل ما أوجبه على المريض ولا على المسافر وكل ذلك رعاية لمعنى اليسر والسهولة"(١).

وهو كما قال فإن اليسر والرفق ظاهر في أمر الصيام وفي كل الشعائر إذ هو سمة من سمات هذا الدين .

---

(١)مفاتيح الغيب ٩١/٥ .

١٨٦/ ومن ربط الرازي لأجزاء الآية ما قاله عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾

حيث قال: أما قوله تعالى [فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي] "ففيه مسائل" الأولى: وجه النظم أن يقال: إنه تعالى قال: أنا أجيب دعاءك مع أني غني عنك مطلقاً، فكن أنت أيضاً مجيباً لدعائي مع أنك محتاج إلى من كل الوجوه.

قال: " وفيه دقيقة أخرى وهي أنه تعالى لم يقل للعبد: أجب دعائي حتى أجيب دعاءك، لأنه لو قال ذلك لصار لدعائي، وهذا تنبيه على أن إجابة الله عبده فضل منه ابتداء، وأنه غير معلل بطاعة العبد وأن إجابة الرب في هذا الباب إلى العبد متقدمة على اشتغال العبد بطاعة الرب" (١).

فالرازي يرى أن إجابة الله ليست معللة بطاعة العبد ولعل مانقله ابن جرير أن الحسن قال فيها: "[ادعوني أستجب لكم] قال: اعملوا وأبشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله" (٢).

يتضمن وعد الله بإجابة من دعاه، وفيها دعوة للاستجابة للرب بالدعاء والإيمان لينال العبد الرشد.

وزعم الرازي أنه: "إن كانت إجابة العبد لله في قوله تعالى: [فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي] بالقلب واللسان فهو تكرار محض لأنه بمعنى الإيمان، وإن كانت عبارة عن الطاعات كان الإيمان مقدماً عليها وكان حق النظم أن يقول: فليؤمنوا بي وليستجيبوا لي، فلم جاء على العكس منه؟ قال: " وجوابه أن الاستجابة عبارة عن الإنقياد والاستسلام، والإيمان عبارة عن صفة القلب وهذا يدل على أن العبد لايصل إلى نور الإيمان وقوته إلا بتقدم الطاعات والعبادات (٣).

وما ذكره من التكرار لايصح وكذا قوله أن الإيمان هوصفة القلب فإنه قد تقرر أن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد، ثم إن وجه النظم هو ذكر الخاص ثم العام والترقي من الأدنى إلى الأعلى.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠١/٥

(٢) انظر جامع البيان ٢/ ١٥٩.

(٣) المصدر نفسه ١٠٢/٥.

١٨٧/ ومن ربط أجزاء الآية ربطه قوله تعالى [هن لباس لكم] بقوله: [أحل لكم ليلة الصيام] من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ إلى قوله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٨٧﴾

حيث نقل الرازي عن صاحب الكشاف قوله: فإن قلت ما موقع قوله: [هن لباس لكم]فنقول هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال، وهو أنه إذا حصلت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم إجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن(١).

وفيها بيان لمسبب عقيب ذكر السبب.

وعند قوله تعالى:[ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد] عقب إباحة المباشرة في ليلة الصيام في قوله تعالى: [أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم].

قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما بين الصوم، وبين أن من حكمه تحريم المباشرة، كان يجوز أن يظن في الإعتكاف أن حاله كحال الصوم في أن الجماع يحرم فيه نهاراً لا ليلاً، فبين تعالى تحريم المباشرة فيه نهاراً لا ليلاً، فقال [ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد](٢).

ويربط بينها الحديث عن مباشرة النساء وهو جامع لهما وإن اختلفت من حيث الحكم، إذ أنه في الاعتكاف، منهي عنه في كل حال أما الصوم ففي النهار دون الليل.

وفي التعقيب بقوله: [تلك حدود الله فلا تقربوها] رجح الرازي أنه إشارة إلى كل ماتقدم من أول آية الصوم، وليس في حكم الاعتكاف فحسب عندما قال: "قوله [تلك] لا يجوز أن يكون إشارة إلى حكم الإعتكاف لأن الحدود جمع ولم يذكر الله تعالى في الإعتكاف إلا حداً واحداً، وهو تحريم المباشرة، بل هو إشارة إلى كل ما تقدم في أول آية الصوم إلى ههنا"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠٦/٥ .

(٢) المصدر نفسه ٥/ ١١٣ .

(٣) المصدر نفسه ١١٥/٥ .

ثم قال: "أما قوله تعالى: [فلا تقربوها] ففيه إشكال وهو أن قوله [تلك حدود الله] إشارة إلى كل ما تقدم والأمور المتقدمة بعضها إباحة وبعضها حظر فكيف قال في الكل [فلا تقربوها] فكيف الجمع بينهما ؟

ثم أجاب بوجوه ":منها- أن الأحكام المذكورة فيما قبل وإن كانت كثيرة إلا أن أقربها إلى هذه الآية إنما هو قوله :[ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد] وقبل هذه الآية قوله:[ثم أتموا الصيام إلى اليل] وذلك يوجب حرمة الأكل والشرب في النهار وقبل هذه الآية قوله [وابتغوا ما كتب الله لكم] وهو يقتضى تحريم مواقعة غير الزوجة والمملوكة مواقعتها في غير المأتى وتحريم مواقعتها في غير الحيض والنفاس والعدة والردة،وليس فيه إلا إباحة الشرب والأكل والوقاع في الليل،فلما كانت الأحكام المتقدمة أكثرها تحريمات ،لاجرم غلب جانب التحريم فقال[تلك حدود الله فلا تقربوها]أي تلك الأشياء التى منعتم عنها إنما منعتم عنها بمنع الله ونهيه عنها فلا تقربوها"(١).

وفي هذا مراعاة إما لجانب المجاورة أو لجانب التغليب للأمور المحرمة في الآية،ويتضح أن من أساليب الفخر إيراد الإشكال ثم الرد عليه.

١٨٩/ وعن اتصال قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٨٩﴾

بقوله تعالى :[يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج] من قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ﴾ ربط الرازي بما قال المفسرون من حملها على ما ورد في سبب النزول(٢).

---

(١)مفاتيح الغيب ١١٦/٥ .

(٢) المصدر نفسه ١٢٥/٥ .

وسبب النزول ما أخرجه البخاري بسنده عن البراء قال : < كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله [وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها] صحيح البخاري ١٠٤/٣ . فتح الباري ١٨٣/٨ .

قال الفخر: "فذكروا في تفسير الآية ثلاثة أوجه (الأول) وهو قول أكثر المفسرين حمل الآية على هذه الاحوال التى رويناها في سبب النزول.

ثم قال: "إلا أن على هذا التقدير صعب الكلام في نظم الآية فان القوم سألوا رسول الله صلى عليه وسلم عن الحكمة في تغير نور القمر، فذكر الله تعالى الحكمة في ذلك، وهي قوله [قل هي مواقيت للناس والحج] فأي تعلق بين بيان الحكمة في اختلاف نور القمر، وبين هذه القصة.

ثم القائلون بهذا القول أجابوا عن هذا السؤال من وجوه (أحدها) أن الله تعالى لما ذكر أن الحكمة في اختلاف أحوال الأهلة جعلها مواقيت للناس والحج، وكان هذا الأمر من الأشياء التى اعتبروها في الحج لاجرم تكلم الله تعالى فيه.

فكان الجامع الزمان إما لاجتماع القصتين وإما لاعتبارهم في عبادة الحج.

(وثانياً) أنه تعالى إنما وصل قوله [وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها] بقوله [يسألونك عن الأهلة] لأنه إنما اتفق وقوع القصتين في وقت واحد فنزلت الآية فيهما معاً في وقت واحد ووصل أحد الأمرين بالأخر (وثالثها) كأنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال الأهلة فقيل لهم: اتركوا السؤال عن هذا الأمر الذي لايعنيكم وارجعوا إلى ماالبحث عنه أهم لكم فانكم تظنون أن إتيان البيوت من ظهورها بر وليس الأمر كذلك (١).

وهذا اسلوب معروف بأسلوب الحكيم أوأن الجامع هو الاتفاق في الحادثة والزمان والمصاحبة في الحكم.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٢٥/٥-١٢٦ .

القول الثاني:في تفسير الآية أن المراد من قوله تعالى :[وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها]يعنى أنكم لما لم تعلموا حكمته في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق،فقد أتيتم الشئ لا من البر ولا من كمال العقل إنما البر بأن تأتوا البيوت من أبوابها فتستدلوا بالمعلوم المتيقن وهو حكمة خالقها على هذا المجهول فتقطعوا بأن فيه حكمة بالغة ،وإن كنتم لا تعلمونها فجعل إتيان البيوت من ظهورها كناية عن العدول عن الطريق الصحيح، وإتيانها من أبوابها كناية عن التمسك بالطريق المستقيم ،وهذا طريق مشهور في الكناية فان من أرشد غيره إلى الوجه الصواب يقول له :ينبغي أن تأتي الأمر من بابه وفي ضده يقال:إنه ذهب إلى الشئ من غير بابه قال تعالى[فنبذوه وراء ظهورهم) وقال [واتخذتموه وراءكم] فلما كان هذا طريقاً مشهوراً معتاداً في الكنايات،ذكره الله تعالى ههنا، قال :وهذا تأويل المتكلمين ولا يصح تفسير هذه الآية فان تفسيرها بالوجه الأول يطرق إلى الآية سوء الترتيب وكلام الله منزه عنه (١).

والوجه الأول هو ما اعتمده المفسرون وهو تفسيرها وربطها بحسب سبب النزول .

١٩٥/ ومن ربطه لأجزاء الآية مافي قوله تعالى :

وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥

قال الرازي قوله [وأحسنوا] فيه وجوه أحدها - قال الأصم : أحسنوا في فرائض الله، وثانيها - وأحسنوا في الإنفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته، والمقصود منه أن يكون ذلك الإنفاق وسطاً فلا تسرفوا ولا تقتروا، وهذا هو الأقرب لاتصاله بما قبله ويمكن حمل الآية على جميع الوجوه (٢).

وفيما رجح مراعاة للنظم والسياق، وأما حملها على جميع الوجوه فمحمول على عموم النهي بإلقاء اليد إلى التهلكة .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٢٥/٥-١٢٦

(٢)المصدر نفسه ١٣٨/٥ .

٢١٤/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ٢١٤

قال الرازي:" ثم إنه تعالى بعد ذكر هذه الأشياء -أي البأساء والضراء وأنواع الزلازل ذكر شيئا آخر وهو النهاية في الدلالة على كمال الضر والبؤس والمحنة، فقال:[حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله] وذلك لأن الرسل عليهم السلام يكونون في غاية الثبات والصبر وضبط النفس عند نزول البلاء، فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا، كان ذلك هو الغاية القصوى في الشدة، فلما بلغت بهم الشدة الى هذه الدرجة العظيمة قيل لهم[ألا إن نصر الله قريب] إجابة لهم إلى طلبهم، فتقدير الآية هكذا كانت حالهم إلى أن أتاهم نصر الله ولم يغيرهم طول البلاء عن دينهم، وأنتم يامعشر المسلمين كونوا على ذلك وتحملوا الأذى والمشقة في طلب الحق، فان نصر الله قريب، لأنه آت، وكل ما هو آت قريب"(١).

ففي صدرها بيان مانالهم من شدة على اسلوب الترقي من الأدنى إلى الأعلى وفي التذييل بيان للفرج والمخرج .

ثم قال:"في الآية إشكال،وهو أنه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده أن يقول على سبيل الاستبعاد [متى نصرالله]

قال :والجواب عنه من وجوه... الثاني: أنه تعالى أخبر عن الرسول والذين آمنوا أنهم قالوا قولا ثم ذكر كلامين، أحدهما-[متى نصر الله] والثاني :[ألا إن نصر الله قريب] فوجب اسناد كل واحد من هذين الكلامين الى واحد من ذينك المذكورين:فالذين آمنوا قالوا [متى نصر الله] والرسول صلى الله عليه وسلم قال: [ألا ان نصر الله قريب] قالوا ولها نظير من القرآن والشعر .

واختار أنه لما كان الجواب بذكرالقرب في قوله[ألا ان نصر الله قريب] دل على أن السؤال كان واقعا عن القرب، ولو كان السؤال وقع عن أنه هل يوجد النصر،أم لا ؟ لما كان هذا الجواب مطابقا لذلك السؤال،قال :" وهذا هو الجواب المعتمد"(٢).

وهذا من مطابقة السؤال للجواب والوجه الأول على مايعرف باللف والنشر فبعد ذكر الرسول والمؤمنين جاء ذكر سؤال المؤمنين وجوابه من النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/٦ .

(٢) المصدر نفسه ٢١/٦ .

٢١٥ / وفي ربط أجزاء قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

قال الرازي:" اعلم أنه تعالى راعى الترتيب في الإنفاق، فقدم الوالدين، وذلك لأنهما كانا المخرج له من العدم إلى الوجود في عالم الأسباب، ثم ربياه في الحال الذى كان في غاية الضعف، فكان انعامهما على الإبن أعظم من إنعام غيرهما عليه .... ثم ذكر تعالى بعد الوالدين الأقربين، والسبب فيه أن الإنسان لا يمكنه أن يقوم بمصالح جميع الفقراء، بل لابد وأن يرجح البعض على البعض، والترجيح لا بد له من مرجح، والقرابة تصلح أن تكون سببا للترجيح.

ثم إن الله تعالى ذكر بعد الاقربين اليتامى،وذلك لأنهم لصغرهم لا يقدرون على الاكتساب ولكونهم يتامى ليس لهم أحد يكتسب لهم، فالطفل الذى مات أبوه قد عدم الكسب والكاسب، وأشرف على الضياع .

ثم ذكر تعالى بعدهم المساكين وحاجة هؤلاء أقل من حاجة اليتامى لأن قدرتهم على التحصيل أكثر من قدرة اليتامى ثم ذكر تعالى بعدهم ابن السبيل فانه بسبب انقطاعه عن بلده، قد يقع في الاحتياج والفقر، فهذا هو الترتيب الصحيح الذى رتبه الله تعالى في كيفية الانفاق .ثم لما فصل هذا التفصيل الحسن الكامل أردفه بعد ذلك بالاجمال فقال[وما تفعلوا من خير فان الله به عليم] (١).

وما قاله الرازي في غاية القوة والحسن،فالرابط هنا القرابة في الوالدين والاقارب وهي تصلح للترجيح كما تقدم ثم راعى حق المحتاجين فبدأ بأشدهم حاجة وهو اليتيم ثم بالمسكين ثم ابن السبيل وبقريب من هذا قال السعدي (٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٦/٢٤-٢٥ .

(٢) تيسيرالكريم الرحمن ١/١٧٠-١٧١ .

٢١٧/ وعند قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ٢١٧﴾

ربط الرازي قوله تعالى :[ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة]بقوله :[ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا] فقال:"لما بين تعالى أن غرضهم من تلك المقاتلة هو أن يرتدالمسلمون عن دينهم، ذكر بعده وعيدا شديدا على الردة فقال:[ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة] واستوجب العذاب الدائم في النار"(١).

وهذا من ربط السبب بالمسبب ؛إذ أن الارتداد عن دين الإسلام سبب لحبوط الأعمال ودوام العذاب .

٢١٩ / و في ربط أجزاء قوله عز وجل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾

قال الرازي :"اعلم أن قوله[يسألونك عن الخمر والميسر] ليس فيه بيان أنهم عن أى شىء سألوا، فانه يحتمل أنهم سألوا عن حقيقته وماهيته، ويحتمل أنهم سألوا عن حل الانتفاع به، ويحتمل أنهم سألوا عن حل شربه وحرمته الا أنه تعالى لما أجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على أن ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة"(٢).

والسؤال كما ذكر هو عن حل الخمر والميسر وحرمتهما والاحتمالات الأولى بعيدة فإن أول مايتبادر إلى الذهن هو أن السؤال عن الحكم لأنها جاءت في سياق أسئلة عن الأحكام .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٦/٦ .

(٢)المصدر نفسه ٤٠/٦ .

٢٢٢/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

المتطهرين*٢٢٢*]

قال الرازي :"أما قوله تعالى: [قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض] الإعتزال التنحى عن الشيء، قدم ذكر العلة وهو الأذى، ثم رتب الحكم عليه، وهو وجوب الاعتزال"(١).

وتقديم العلة على حكمها تدرج لبيان الحكمة في التحريم لتتلقاه النفوس بالقبول وفيه مراعاة لنسق الكلام ونظمه،وفيها رحمة للناس بمنع مافيه أذى وضرر وأباحة ما فيه خير ومصلحة.

٢٢٣/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

قال الرازي :" اعلم أنه تعالى ذكر هذه الأمور الثلاثة (أولها) [وقدموا لأنفسكم] والمراد منه فعل الطاعات (وثانيها) قوله [واتقوا الله] والمراد منه ترك المحظورات (وثالثها) قوله [واعلموا أنكم ملاقوه] وفيه إشارة إلى أني إنما كلفتكم بتحمل المشقة في فعل الطاعات وترك المحظورات لأجل يوم البعث والنشور والحساب(٢). فلولا ذلك اليوم لكان تحمل المشقة في فعل الطاعات وترك المحظورات عبثا، وما أحسن هذا الترتيب ا.

ثم قال [وبشر المؤمنين] والمراد منه رعاية الترتيب المعتبر في القرآن وهو أن يجعل مع كل وعيد وعدا والمعنى وبشر المؤمنين خاصة بالثواب والكرامة فحذف ذكرهما لما أنهما كالمعلوم، فصار كقوله [وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا]"(٣).

وقد اجتمع في هذه الآية الأمر بفعل الطاعات،والتحذير من المحرمات، وختمت بالوعد والوعيد من العزيز الحميد.

---

(١) مفاتيح الغيب ٦٤/٦ .

(٢)ولا يجهل مافي فعل الطاعات وترك المحظورات من صلاح وطمأنينة في الدنيا والآخرة .ولعل الآية لا توحي بما ذهب إليه من الفعل والترك لأجل يوم القيامة .

(٣)المصدر نفسه ٧٤/٦-٧٥ .

٢٢٩/ وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

ربط الرازي قوله تعالى :[إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله] بقوله [ولا يحل لكم أن تأخذوا مما ءاتيتموهن شيئاً] .

فقال :" أما قوله تعالى [إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله] فاعلم أنه تعالى لما منع الرجل أن يأخذ من امرأته عند الطلاق شيئا

٢٣٢/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى:[﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

بين الرازي أن قوله [فلا تعضلوهن] خطاب للأزواج لأنه جواب لقوله [وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن] فقال :"اختلف المفسرون في أن قوله [فلا تعضلوهن] خطاب لمن ؟ فقال الأكثرون إنه خطاب للأولياء، وقال بعضهم إنه خطاب للأزواج، وهذا هو المختار،والذى يدل عليه أن قوله تعالى [وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن] جملة واحدة مركبة من شرط وجزاء، فالشرط قوله[وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن] والجزاء قوله [فلا تعضلوهن] ولا شك أن الشرط وهو قوله [وإذا طلقتم النساء] خطاب مع الأزواج، فوجب أن يكون الجزاء وهو قوله [فلا تعضلوهن] خطابا معهم أيضا، إذ لو لم يكن كذلك لصار تقدير الآية :[إذا طلقتم النساء أيها الأزواج فلا تعضلوهن أيها الأولياء وحينئذ لا يكون بين الشرط وبين الجزاء مناسبة أصلا وذلك يوجب تفكك نظم الكلام وتنزيه كلام الله عن مثله واجب، فهذا كلام قوى متين في تقرير هذا القول"(٢).

وقد وصف الرازي كلامه عند هذه الآية بأنه قوي متين وليس كذلك إذ هذا يخالف ماورد في سبب نزولها فقد روى البخاري بسنده عن الحسن عن معقل بن يسار قال: كانت لي أخت تخطب إليّ وفي رواية قال الحسن :إن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها فأبى معقل فنزلت الآية (٣)وما اتفق عليه عامة المفسرين من أن الخطاب للأولياء والله أعلم .

---

(١)مفاتيح الغيب ٦/٩٩ .

(٢)المصدر السابق ٦/١١٢ .

(٣) انظر صحيح البخاري ٣/ ١٠٦، وقال ابن حجر: اتفق أهل التفسير على أن المخاطب بذلك الأولياء فتح الباري ٨/ ١٩٢ .

قال الرازي:" ثم أنه يتأكد بوجهين آخرين (الأول) أن من أول آية في الطلاق إلى هذا الموضع كان الخطاب كله مع الأزواج، والبتة ما جرى للأولياء ذكر فكان صرف هذا الخطاب إلى الأولياء على خلاف النظم (والثانى) ما قبل هذه الآية خطاب مع الأزواج في كيفية معاملتهم مع النساء قبل إنقضاء العدة، فإذا جعلنا هذه الآية خطابا لهم في كيفية معاملتهم مع النساء بعد إنقضاء العدة كان الكلام منتظما، والترتيب مستقيما، أما إذا جعلناه خطابا للأولياء لم يحصل فيه مثل هذا الترتيب الحسن اللطيف، فكان صرف الخطاب إلى الأزواج أولى"(١).

وربط الرازي أجزاء الآية السابقة لأن الجملتين تتكون من شرط وجزاء فلا بد من ترابطهما والتفريق بين الشرط والجزاء يوجب تفكيك النظم، ثم إن النظم والسياق واحد يقتضي أن يكون جميعه في مخاطبة الأزواج.

٢٣٣ / وعند قوله تعالى ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾

ربط الرازي قوله تعالى: [وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما ءاتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير] بصدر الآية وهو قوله تعالى :[والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة]

فقال :"اعلم أنه تعالى لما بين حكم الأم وأنها أحق بالرضاع، بين أنه يجوز العدول في هذا الباب عن الأم إلى غيرها"(٢).

وفي هذا مراعاة لحق الوالدة وحق الوالد وحق الرضيع مع الوصية بإيصال الحقوق إلى أهلها.

---

(١) مفاتيح الغيب ١١٢/٦ .

(٢) المصدر نفسه ١٢٤/٦ .

٢٤٥/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى:
﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٤٥﴾

قال الرازي: أما قوله تعالى [والله يقبض ويبسط] ففي بيان أن هذا كيف ناسب ماتقدم وجوه:

أحدها: أن المعنى أنه تعالى لما كان هو القابض الباسط، فإن كان تقدير هذا الذي أمر بإنفاق المال الفقر فلينفق في سبيل الله فإنه سواء أنفق أولم ينفق فليس له إلا الفقر، وإن كان تقديره الغنى فلينفق فإنه سواء أنفق أولم ينفق فليس له إلا الغنى والسعة وبسط اليد، فعلى كلا التقديرين يكون إنفاق المال في سبيل الله أولى.

وثانيها: أن الإنسان إذا علم أن القبض والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه إنفاق المال في سبيل مرضاة الله تعالى.

وثالثها: أنه تعالى يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم، لئلا يبدل السعة الحاصلة لكم بالضيق.

ورابعها: أنه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم عليها أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه وإعانته، فقال [والله يقبض ويبسط] يعني يقبض القلوب حتى لا تقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يقدم على هذه الطاعة، ثم قال [وإليه ترجعون] والمراد به إلى حيث لا حكم ولا مدبر سواه والله أعلم (١)

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ١٦٨/٦ - ١٩٦.

لعل الأول هو أقرب الوجوه لأن كثيراً من الناس يظن أن إنفاق المال سبب للافتقار فناسب أن يذكر بأن الله هو الذي يقبض ويبسط.

٢٥١/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾

نقل الرازي عن بعضهم قوله :" ظاهر الآية يدل على أن داود حين قتل جالوت آتاه الله الملك والنبوة ، وذلك لأنه تعالى ذكر إيتاء الملك والنبوة عقيب ذكره لقتل داود جالوت، وترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك الحكم ، وبيان المناسبة أنه عليه السلام لما قتل مثل ذلك الخصم العظيم بالمقلاع والحجر ، كان ذلك معجزا .... فظهور المعجزة يدل على النبوة ، وأما الملك فلأن القوم لما شاهدوا منه قهر ذلك العدو العظيم المهيب بذلك العمل القليل، فلا شك أن النفوس تميل إليه وذلك يقتضى حصول الملك له ظاهرا (١).

ويتبين مما قال أن الملك حصل لداود هنا بعد هزيمة العدو وقتله لجالوت، ولعل الزازي يرى الترتيب لما يعطف بالواو في مثل هذا الموضع .

أما ربط قوله تعالى [ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذوفضل على العالمين*٢٥١*] بصدر الآية فقد قال الرازي:"اعلم أنه تعالى لما بين أن الفسادالواقع بجالوت وجنوده زال بما كان من طالوت وجنوده ،وبما كان من داود من قتل جالوت بين عقيب ذلك جملة تشتمل كل تفصيل في هذا الباب،وهو أنه تعالى يدفع الناس بعضهم ببعض لكي لاتفسد الأرض فقال :[ولولادفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض]"(٢).

وهذه الجزء الذي ذيلت به الآية من الإجمال عقب التفصيل وهو متمم لمعنى الآية .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨٨/٦-١٨٩ .

(٢)المصدر نفسه ١٩٠/٦ .

٢٥٣/ وعند قوله تعالى :[تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

ربط الرازي قوله تعالى:[ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات]:"بعد أن ساق قوله تعالى [ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينت]

فقال :" تعلق هذه بما قبلها هو أن الرسل بعد ما جاتهم البينات، ووضحت لهم الدلائل والبراهين، اختلفت أقوامهم، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا"(١).

وفي هذا بيان لما يترتب على دعوة الرسل من إيمان البعض وإعراض البعض وأن البعض لايكتفون بالإعراض بل ربما قاتلوا أتباع الأنبياء،ثم إن ذلك لايخرج عن قدر الله ومشيئته .

٢٥٥/ و ربط الرازي أجزاء قوله تعالى:

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

فقال:" ثم إنه تعالى لما بين أنه حي قيوم أكد ذلك بقوله [لا تأخذه سنة ولا نوم] والمعنى: أنه لا يغفل عن تدبير الخلق، لأن القيم بأمر الطفل لو غفل عنه ساعة لاختل أمر الطفل، فهو سبحانه قيم جميع المحدثات، وقيوم الممكنات، فلا يمكن أن يغفل عن تدبيرهم، فقوله [لا تأخذه سنة ولا نوم] كالتأكيد لبيان كونه تعالى قائما، وهو كما يقال لمن ضيع و أهمل : إنك لوسنان نائم، ثم إنه تعالى لما بين كونه قيوما بمعنى كونه قائما بذاته،مقوما لغيره، رتب عليه حكما وهو قوله [له ما في السماوات وما في الأرض] لأنه لما كان كل ما سواه إنما تقومت ماهيته، وإنما يحصل وجوده بتقويمه وتكوينه وتخليقه لزم أن يكون كل ما سواه ملكا له ...، وهو المراد من قوله [له ما في السماوات وما في الأرض]"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠٣/٦ .

(٢) المصدر السابق ٦/٧ .

ومما تقدم يتضح أن قوله [لا تأخذه سنة ولا نوم] كالتأكيد لبيان كونه تعالى قائما وقد نص على ذلك الرازي كما بين أن قوله [له ما في السماوات وما في الأرض] تبيين لكونه قيوما بمعنى كونه قائما بذاته، مقوما لغيره، وذلك من التفصيل والبيان والتأكيد بعد الإجمال؛مما جعل الآية مترابطة يؤكد بعضها بعضاً.

وقال:" ثم لما ثبت أنه هو الملك والمالك لكل ما سواه، ثبت أن حكمه في الكل جار. ليس لغيره في شيء من الأشياء حكم إلا بإذنه وأمره، وهو المراد بقوله [من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه]

ثم لما بين أنه يلزم من كونه مالكا للكل، أن لا يكون لغيره في ملكه تصرف بوجه من الوجوه، بين أيضا أنه يلزم من كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل، أن لا يكون لغيره في ملكه تصرف بوجه من الوجوه إلا بإذنه، وهو قوله [يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم] وهو إشارة إلى كونه سبحانه عالما بالكل، ثم قال[ولا يحيطون بشيء من علمه] وهو إشارة إلى كون غيره غير عالم بجميع المعلومات.

ثم إنه لما بين كمال ملكه وحكمه في السماوات وفي الأرض، بين أن ملكه فيما وراءالسماوات والأرض أعظم وأجل، وأن ذلك مما لا تصل إليه أوهام المتوهمين وينقطع دون الارتقاء إلي أدنى درجة من درجاتها المتخيلون، فقال [وسع كرسيه السماوات والأرض]

ثم بين أن قوله [من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه] بيان لما ثبت من أنه هو المالك لكل ما سواه من قوله [له ما في السموات وما في الأرض]"(١).

وبين بقوله [يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم] أنه عالم بالكل بعد اثبات ملكه له .

ثم بين أن ملكه فيما وراءالسماوات والأرض أعظم وأجل، وهذا الترتيب عل اسلوب الترقي من الأدنى إلى الأعلى- والأعظم من ملكوت الله .

---

(١) مفاتيح الغيب٧/٦ .

قال الرازي :

" ثم بين أن نفاذ حكمه وملكه في الكل على نعت واحد، وصورة واحدة، فقال [و لا يؤده حفظهما] ثم لما بين كونه قيوماً بمعنى كونه مقوما للمحدثات والممكنات والمخلوقات، بين كونه قيوما بمعنى قائما بنفسه وذاته، منزها عن الاحتياج الى غيره في أمر من الأمور، فتعالى أن يكون متحيزا حتى يحتاج الى مكان، أو متغيرا حتى يحتاج الى زمان، فقال [وهوالعلى العظيم] فالمراد منه العلو والعظمة، بمعنى أنه لا يحتاج الى غيره في أمر من الأمور، ولا ينسب غيره في صفة من الصفات ولا في نعت من النعوت فقال [وهوالعلي العظيم] إشارة الى ما بدأ به في الآية من كونه قيوما بمعنى كونه قائماً بذاته مقوماً لغيره، ومن أحاط عقله بما ذكرنا علم أنه ليس عند العقول البشرية من الأمور الالهية كلام أكمل، ولا برهان أوضح مما اشتملت عليه هذه الآيات"(١).

٢٥٨/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

قال الرازي:" لقائل أن يقول: أنه تعالى قدم الموت على الحياة في آيات منها قوله تعالى [كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم]وقال [الذى خلق الموت والحياة]وحكى عن إبراهيم أنه قال في ثنائه على الله تعالى [والذى يميتنى ثم يحيين] فلأى سبب قدم في هذه الآية ذكر الحياة على الموت، حيث قال[ربى الذى يحيي ويميت].

والجواب لأن المقصود من ذكر الدليل إذا كان هو الدعوة إلى الله تعالى وجب أن يكون الدليل في غاية الوضوح، ولا شك أن عجائب الخلقة حال الحياة أكثر، وإطلاع الإنسان عليها أتم، فلا جرم وجب تقديم الحياة ههنا في الذكر"(٢).

ويتبين مما قال أن العلة في تقديم الحياة على الموت أن سياق الآيات في بسط الأدلة الدالة على عظمة الله تعالى وهي في حال الحياة أكثر منها في سلب الحياة.

---

(١) مفاتيح الغيب ٧/ ٦ .

(٢) المصدر نفسه ٧/٢٤ .

وفي ربط أجزائها أيضاً قال الرازي :"أما قوله تعالى [قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب] فاعلم أن للناس في هذا المقام طريقين :الأول - وهو طريقة أكثر المفسرين أن إبراهيم عليه السلام لما رأى من نمروذ أنه ألقى تلك الشبهة عدل عن ذلك إلى دليل آخر أوضح منه [إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب] فزعم أن الانتقال من دليل إلى دليل آخر أوضح منه جائز للمستدل".

ثم قال الرازي:"والطريق الثاني :وهو الذي قال به المحققون :إن هذا ماكان انتقالاً من دليل إلى دليل آخر بل الدليل واحد في الموضعين....قال وهذا الوجه أحسن من الأول وأليق بكلام أهل التحقيق منه"(١).

٢٥٩/ وعند قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

قال الرازي في ربط أجزاء الآية :"إنه تعالى لما قال:[بل لبثت مائة عام] كان من حقه أن يذكر عقيبه ما يدل على ذلك وقوله [فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه] لا يدل على أنه لبث مائة عام بل يدل ظاهرا على ما قاله من أنه لبث يوما أو بعض يوم"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٥/٧-٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ٣٥/٧ .

قال:"(والجواب) أنه كلما كانت الشبهة أقوى مع علم الإنسان في الجملة أنها شبهة كان سماع الدليل المزيل لتلك الشبهة آكد ووقوعه في العمل أكمل فكأنه تعالى لما قال:[بل لبثت مائة عام] قال:[فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه] فإن هذا مما يؤكد قولك [لبثت يوما أو بعض يوم] فحينئذ يعظم اشتياقك إلى الدليل الذى يكشف عن هذه الشبهة، ثم قال بعده[وانظر إلى حمارك]فرأى الحمار صار رميما وعظاما نخرة فعظم تعجبه من قدرة الله تعالى، فان الطعام والشراب يسرع التغير فيهما، والحمار ربما بقى دهرا طويلا وزمانا عظيما، فرأى ما لا يبقى باقيا، وهو الطعام والشراب، وما يبقى غير باق وهوالعظام، فعظم تعجبه من قدرة الله تعالى، وتمكن وقوع هذه الحجة في عقله وقلبه.

والسؤال الثانى: أنه تعالى ذكر الطعام والشراب، وقوله[لم يتسنه] راجع إلى الشراب لا إلى الطعام.

والجواب: كما يوصف الشراب بأنه لم يتغير، كذلك يوصف الطعام بأنه لم يتغير، لاسيما إذا كان الطعام لطيفا يتسارع الفساد إليه"(١).

ومن ربط الرازي لأجزاء الآية قوله: ثم قال تعالى[فلما تبين له] وهذا راجع إلى ما تقدم ذكره من قوله[أنى يحيي هذه الله بعد موتها] والمعنى فلما تبين له وقوع ما كان يستبعد وقوعه وقال صاحب الكشاف: فاعل [تبين له] مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير قال :[أعلم أن الله على كل شىء قدير] فحذف الأول لدلالة الثانى عليه، وهذا عندى فيه تعسف، بل الصحيح أنه لما تبين له أمر الإماته والإحياء على سبيل المشاهدة قال [أعلم ان الله على كل شىء قدير] وتأويله:أنى قد علمت مشاهدة ما كنت اعلمه قبل ذلك الاستدلال"(٢).

وفي هذا الموضع أورد الرازي قول الزمخشري ثم وصفه بالتعسف، وبين وجه الربط الأقرب إلى الصواب .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٥/٧ .وربط الرازي هنا لأجزاء الآية معتمد على اسلوب نفي الشبهة.

(٢) المصدر نفسه ٣٧/٧ .

٢٦٤/ وعند قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾

قال الرازي: "واعلم أنه تعالى ذكر لكيفية إبطال أجر الصدقة مثلين :فمثله أولاً :بمن ينفق ماله رئاء الناس وهو مع ذلك كافر لا يؤمن بالله واليوم الاخر لأن بطلان أجر نفقة هذاالكافر أظهر من بطلان أجر صدقة من يتبعها المن والأذى".

ثم مثله ثانياً بالصفوان الذي وقع عليه تراب وغبار،ثم أصابه المطر القوي ؛ فيزيل ذلك الغبار عنه حتى يصير كأنه ماكان عليه غبار ولا تراب أصلاً (١).

الوجه الثاني :أن يكون المراد بالإبطال أن يؤتى بها على وجه يوجب الثواب،ثم بعد ذلك إذا أتبعت بالمن والأذى صار عقاب المن والأذى مزيلاً لثواب تلك الصدقة،وعلى هذا الوجه ينفعهم التمسك بالآية فلم كان حمل اللفظ على هذا الوجه الثاني أولى من حمله على الوجه الأول .

قال الرازي: "واعلم أن الله تعالى ذكر لذلك مثلين :أحدهما يطابقا لاحتمال الأول .

وهو قوله [كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤ من بالله]إذ من المعلوم أن المراد من كونه عمل هذا باطلاً أنه دخل في الوجود باطلاً لا أنه دخل صحيحاً،ثم يزول(٢).

قال الرازي ثم إنه تعالى لما ذكر هذاالمثل أتبعه بالمثل الثاني فقال [فمثله]وفي هذاالضمير وجهان :أحدهما ـ أنه عائد إلى المنافق فيكون المعنى أن الله تعالى شبه المان والمؤذي بالمنافق ثم شبه المنافق بالحجر (٣).

والربط في هذه الآية يقوم على تشبيه المان بما ينفق بالمنافق، الذي يشبه الصفوان، أو أن المنفق المان يشبه أيضاً الصفوان الذي أصابه التراب والله اعلم .

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ٤٩/٧ .

(٢)المصدر نفسه ٥٢/٧ .

(٣)المصدر نفسه ٥٤/٧ .

٢٦٧/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

قال الرازي:"أما قوله تعالى[منه تنفقون] فاعلم أن في كيفية نظم الآية وجهين (الأول) أنه تم الكلام عند قوله [ولا تيمموا الخبيث] ثم ابتدأ، فقال [منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه] فقوله [منه تنفقون] استفهام على سبيل الإنكار، والمعنى : أمنه تنفقون مع أنكم لستم بآخذيه إلا مع الإغماض (والثانى) أن الكلام إنما يتم عند قوله [إلا أن تغمضوا فيه] ويكون الذى مضمرا ، والتقدير : ولا تيمموا الخبيث منه الذيتنفقونه ولستم بآخذيه إلا بالإغماض فيه، ونظيره إضمار التي في قوله تعالى[فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها] والمعنى :الوثقى التى لا إنفصام لها"(١)

وهذا الربط مبني على مكان الوقف وما يبتدأ به عقب الوقف.
ثم ختم الآية بقوله [واعلموا أن الله غنى حميد] والمعنى أنه غني عن صدقاتكم، ومعنى حميد أى محمود على ما أنعم بالبيان وفيه وجه آخر، وهو أن قوله [غني] كالتهديد على إعطاء الأشياء الرديئة في الصدقات و[حميد] بمعنى حامد أى أنا أحمدكم على ما تفعلونه من الخيرات وهو كقوله [فأولئك كان سعيهم مشكورا](٢).

---

(١) مفاتح الغيب ٦٣/٧ .

(٢) المصدر نفسه ٦٣/٧-٦٤ .

٢٦٨/ ومن ربط أجزاء الآية ما قال الرازي عند قوله تعالى : ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ إذ قال:"أنبه الله تعالى في هذه الآية على لطيفة وهى أن الشيطان يخوفه أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء ويغريه بالبخل، وذلك لأن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فالشيطان لا يمكنه تحسين البخل في عينه إلا بتقديم تلك المقدمة، وهو التخويف من الفقر. وهذا على سبيل التدرج حيث يجعل الشيطان الإنسان متدرجاً في المعاصي درجة درجة، فهو يخوفه ثم يأمره كما في هذه الآية".

وربط الرازي قوله تعالى :[والله يعدكم مغفرة منه وفضلا]بقوله [الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا *٢٦٨*]: "ثم لما ذكر سبحانه وتعالى درجات وسوسة الشيطان أردفها بذكر إلهامات الرحمن فقال [والله يعدكم مغفرة منه وفضلا] فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة، والفضل إشارة إلى ما يحصل في الدنيا من الخلق، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أن الملك ينادى كل ليلة [اللهم أعط كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا] وفي هذه الآية لطيفة وهى أن الشيطان يعدك الفقر في غد دنياك، والرحمن يعدك المغفرة في غد عقباك .."(١).

وبهذا يتضح أن أمر الشيطان مخالف لأمر الله تعالى .

٢٧٢/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ قال الرازي :

"ثم قال تعالى :[وماتنفقون إلا ابتغاء وجه الله] في هذه الآية وجوه الأول:- أن يكون المعنى :ولستم في صدقتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون إلا وجه الله فقد علم الله هذا من قلوبكم فأنفقوا عليهم إذا كنتم إنما تبتغون بذلك وجه الله في صلة رحم وسد خلة مضطر،وليس عليكم اهتداؤهم حتى يمنعكم ذلكم من الإنفاق عليهم الثاني :أن هذا وإن كان ظاهره خبراً إلا أن معناه نهي أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله"(٢).

هنا جاء الحث على الانفاق بأسلوب الخبر بعد أن ورد ضمان بأن ما أنفق الانسان فهو له نفسه وورد الخبر بأنه لا ينفق الا ابتغاء وجه الله ثم وعد الله بتوفيته إياه .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٦٥/٧ .

(٢) مفاتيح الغيب ٧٨/٧ .

٢٧٤/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٤﴾

وقال الرازي في ربط أجزاء الآية :"في الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية، وذلك لأنه قدم الليل على النهار، والسر على العلانية في الذكر"(١).

وبما قال يتبين أن التقديم إشارة التفضيل.

٢٧٥/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٥﴾

قال الرازي :" بم تعلق قوله [من المس].

قلنا: فيه وجهان (أحدهما] بقوله[لا يقومون] والتقدير: لا يقومون من المس الذى لهم إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان (والثانى] أنه متعلق بقوله [يقوم] والتقدير لا يقومون إلا كما يقوم المتخبط بسبب المس"(٢).

وقال أيضاً:"ظاهر قوله تعالى [ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا] يدل أن الوعيد إنما يحصل بإستحلالهم الربا دون الإقدام عليه وأكله مع التحريم، وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الآية كون الربا من الكبائر"(٣).

لكن هذا غير مستقيم لانه ورد في صدر الآية الوعيد لآكلي الربا من غير تعرض لمسألة الاقرار بالتحريم وذلك دليل على كونه من الكبائر وكذا ختم الآية بالوعيد.

---

(١)مفاتيح الغيب ٦٠/٥ .

(٢)المصدر نفسه ٧/ ٨٨ .

(٣) المصدر السابق ٩١/٧ .

وقال الرازي :وأما قوله [أحل الله البيع وحرم الربا] ففيه مسائل : (الأولى) يحتمل أن يكون هذا الكلام من تمام كلام الكفار، والمعنى أنهم قالوا : البيع مثل الربا، ثم إنكم تقولون [وأحل الله البيع وحرم الربا] فكيف يعقل هذا ؟ يعني أنهما لما كانا متماثلين فلو حل أحدهما وحرم الآخر لكان ذلك إيقاعا للتفرقة بين المثلين، وذلك غير لائق بحكمة الحكيم فقوله [أحل الله البيع وحرم الربا] ذكره الكفار على سبيل الإستبعاد.

وأما أكثر المفسرين فقد اتفقوا على أن كلام الكفار انقطع عند قوله [إنما البيع مثل الربوا] وأما قوله [أحل الله البيع وحرم الربوا] فهو كلام الله تعالى ونصه على هذا الفرق ذكره إبطالاً لقول الكفار إنما البيع مثل الربا.

وأورد لذلك حججا منها (الحجة الثالثة) أنه تعالى ذكر عقيب هذه الكلمة قوله [فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] فظاهر هذا الكلام يقتضى أنهم لما تمسكوا بتلك الشبهة وهى قوله[إنما البيع مثل الربا] فالله تعالى قد كشف عن فساد تلك الشبهة وعن ضعفها، ولو لم يكن قوله [وأحل الله البيع وحرم الربا] كلام الله لم يكن جواب تلك الشبهة مذكورا فلم يكن قوله [فمن جاءه موعظة من ربه] لائقا بهذا الموضع...(١).

وفي هذا بيان لنظم الآية وكيفية سياقها.

---

(١) المصدر السابق ٩١/٧-٩٢ .

أما قوله تعالى [وأمره إلى الله] ففيه وجوه للمفسرين، إلا أن الذى أقوله: إن هذه الآية مختصة بمن ترك استحلال الربا من غير بيان أنه ترك أكل الربا، أو لم يترك، والدليل عليه مقدمة الآية ومؤخرتها، أما مقدمة الآية فلأن قوله [فمن جاءه موعظة من ربه فليس فيه بيان أنه انتهى عماذا فلابد وأن يصرف ذلك المذكور إلى السابق، وأقرب المذكورات في هذه الكلمة، ما حكى الله أنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا، فكان قوله [فانتهى] عائدا إليه، فكان المعنى : فانتهى عن هذا القول . وأما مؤخرة الآية فقوله [ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] ومعناه : عاد إلى الكلام المتقدم، وهو استحلال الربا [فأمره إلى الله] ثم هذا الإنسان إما أن يقال : كما انتهى عن إستحلال الربا انتهى أيضا عن أكل الربا، أو ليس كذلك، فان كان الأول كان هذا الشخص مقرا بدين الله عالما

بتلكيف الله، فحينئذ يستحق المدح والتعظيم والإكرام، لكن قوله[فأمره إلى الله] ليس كذلك لأنه يفيد أنه تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فثبت أن هذه الآية لاتليق بالكافر ولا بالمؤمن المطيع، فلم يبق إلا أن يكون مختصا بمن أقر بحرمة الربا ثم أكل الربا فههنا أمره لله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .... (١)

وقد تقدمت إشارة لمثل هذا من قبل، وما ذهب إليه فيه نظر فإن قوله (فأمره إلى الله) لأنه تابع لأمر يتعلق بحقوق الآدمين فكان تحت المشيئة والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٩٣/٧-٩٤ .

٢٧٩/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾

قال الرازي :"اختلفوا في الخطاب بقوله [فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله] خطاب مع المؤمنين المصرين على معاملة الربا أو هو خطاب مع الكفار المستحلين للربا، الذين قالوا إنما البيع مثل الربا، قال القاضي :والاحتمال الأول أولى، لأن قوله [فأذنوا] خطاب مع قوم تقدم ذكرهم، وهم المخاطبون بقوله :[يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذوروا مابقي من الربوا] وذلك يدل على أن الخطاب مع المؤمنين" (١).

وهنا حدد النظم والسياق المخاطب بهذه الآية.

٢٨٠/ وفي ربط أجزاء قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

بين الرازي أن هذه الآية فيها المبالغة في الوصية بحفظ المال الحلال، وأن فيها حث على الاحتياط في أمر الأموال لكونها سبباً لمصالح المعاش والمعاد.

---

(١) مفاتيح الغيب ٩٩/٧ .

وعند هذه الآية أورد كلاماً طويلاً عن القفال فيه ربط لأجزاء الآية فقال :" قال القفال رحمه الله تعالى : والذى يدل عل ذلك أن الفاظ القرآن جارية في الأكثر على الاختصار، وفي هذه الآية بسط شديد، ألا ترى أنه قال[إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه] ثم قال ثانيا [وليكتب بينكم كاتب بالعدل] ثم قال ثالثا [ولا يأبى كاتب أن يكتب كما علمه الله] فكان هذا كالتكرار لقوله [وليكتب بينكم كاتب بالعدل] لأن العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعا [فليكتب] وهذا إعادة الأمر الأول ثم قال خامسا [وليملل الذى عليه الحق] وفي قوله [وليكتب بينكم كاتب بالعدل] كفاية عن قوله [فليملل الذى عليه الحق] لأن الكاتب بالعدل إنما يكتب ما يملى عليه ثم قال سادسا [وليتق الله ربه] وهذا تأكيد، ثم قال سابعا [ولا يبخس منه شيئا] فهذا كالمستفاد من قوله [وليتق الله ربه] ثم قال ثامنا [ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله] وهو أيضا تأكيد لما مضى ثم قال تاسعا [ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا] فذكر هذه الفوائد الثلاثة لتلك التأكيدات السالفة وكل ذلك يدل على أنه لما حث على ما يجرى مجرى سبب تنقيص المال في الحكمين الأولين بالغ في هذا الحكم في الوصية بحفظ المال الحلال وصونه عن الهلاك والبوار ليتمكن الإنسان بواسطته من الإنفاق في سبيل الله، والإعراض عن مساخط الله من الربا وغيره، والمواظبة على تقوى الله وهذا هو الوجه الأول من وجوه النظم، وهو حسن لطيف"(١).

والأمر هنا كما قال يتضمن التكرار والتأكيد على حفظ الأموال وعدم إضاعتها .

قال الرازي :"واعلم أنه تعالى لما أمر عند المداينة بالكتبة أولا ، ثم بالإشهاد ثانيا، أعاد ذلك مرة أخرى على سبيل التأكيد، فأمر بالكتبة، فقال [ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله]"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠٧/٧ - ١٠٨ .

(٢)المصدر نفسه ١١٥/٧ .

٢٨٣/ وعند قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

ربط الرازي بما يوافق مذهبه بين أجزاء الآية عند بيانه لكيفية نظمها فقال: "وأقول أنه قد ثبت أن الصفات التى هى كمالات حقيقة ليست إلا القدرة والعلم، فعبر سبحانه عن كمال القدرة بقوله [لله ما في السموات وما في الأرض] ملكا وملكا، وعبر عن كمال العلم المحيط بالكليات والجزئيات بقوله [وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله]

وإذا حصل كمال القدرة والعلم، فكان كل من في السموات والأرض عبيدا مربوبين وجدوا بتخليقه وتكوينه كان ذلك غاية الوعد للمطيعين، ونهاية الوعيد للمذنبين، فلهذا السبب ختم الله هذه السورة بهذه الآية"(١).

والناظر في الآية يرى اشتمالها على اثبات . الملك والربوبية واستحقاق العبودية، وفيها بيان كمال العلم ثم إنها تتضمن الوعد والوعيد .

---

(١) مفاتيح الغيب ٧/ ١٢٤ .

الفصل الخامس : الفاصلة والتذييل .

٢- التذييل والفاصلة،(*) أو مناسبة آخر الآية لأولها جانب من ربط أجزاء الآية لكنها أفردت لأهميتها ومكانتها وقد حظيت بعناية بالغة من أهل العلم فأبرزها ابن المعتز واشتغل بها الرازي وابن أبي الإصبع والزركشي والسيوطي :

قال الزركشي :"واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً"(١).

وذكر أن فواصل القرآن متماثلة متقاربة تأتي طوعاً سهلة تابعة للمعاني لا متكلفة تتبعها المعاني ومثل لها ببيان بعض آيات الفاتحة(٢).

(*)أفرد هذا الموضوع بالدراسة والبحث والتأليف قديماً فألف فيه نجم الدين الطوفي (ت٧١٦هـ)وشمس الدين ابن الصائغ (ت٧٧٦هـ) مؤلفات مستقله وبحثت في كتابات البلاغيين وحوى "البرهان في علوم القرآن "للزركشي فصلاً ضافيا فيها وكذا الإتقان للسيوطي.

وكتب فيه حديثاً الأستاذ محمد الحسناوي، والدكتور عبد الفتاح لاشين "الفاصلة في القرآن".

وبحث منها"مناسبة الأسماء الحسنى للآيات التي ختمت بها في القرآن الكريم"في ثلاث رسائل علميه في جامعة أم القرى اشترك فيها كل من :

الأخ/ محمد مصطفى آيدين من سورة المائدة إلى آخر سورة المؤمنون في رسالة نال بها درجة الماجستير بتقدير "ممتاز".

والأخ/ عبد الودود مقبول أحمد حنيف من سورة النور إلى آخر المصحف، ونال بها درجة الماجستير بتقدير "ممتاز".

والطالبه/ وداد عبد الجبار من أول القرآن الكريم إلى آخر سورة النساء.

(١) انظر البرهان للزركشي ١/٦٠-٦٣ .

(٢) البرهان ٧٢-٧٥ .

أما علاقة الفاصلة بالآية أو وجه ارتباطها ومناسبتها للآية فقد حصرها أهل العلم في أربعة أشياء :

١- التمكين: وهو أن تمهد تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير "نافرة". ولا قلقة، متعلق معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاما؛ بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم .

ومثل له بما ورد في قوله تعالى :[وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] (البقرة ١٨٦)

فقال: وقوله عقب الأمر بطلب الدعاء والإجابه[لعلهم يرشدون] فيه تعريض بليلة القدر، أي لعلهم يرشدون إلى معرفتها وإنما يحتاجون للإرشاد إلى ما لا يعلمون ؛فإن هذه الآية الكريمة ذكرت عقب الأمر بالصوم وتعظيم رمضان وتعليمهم الدعاء فيه، وأن أرجى أوقات الإجابة فيه ليلة القدر (١).

٢- التصدير: أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية، وتسمى أيضاً: رد العجز على الصدر.

ونقل السيوطي عن ابن المعتز تقسيمه إلى ثلاثة أقسام :

١- أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر نحو [أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا *١٦٦*] (النساء)

٢- أن يوافق أول كلمة منه نحو [وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ *٨*] (آل عمران)

٣- أن يوافق بعض كلماته نحو [وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *١٠*(الأنعام)" (٢).

---

(١) البرهان للزركشي ٩٣-٩٤ .ولم يورد الرازي كلاماً في فاصلتها.

(٢) انظر الإتقان ٢/٩٦٠-٩٦١ .

٣- التوشيح وهو أن يكون في أول الكلام مايستلزم الفاصلة .
قال :والفرق بينه وبين التصدير أن هذا دلالته معنوية وذاك لفظيه ،كقوله تعالى :[إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ *٣٣*(آل عمران). فإن اصطفى لا يدل على أن الفاصلة العالمين باللفظ ؛ لأن لفظ العالمين غير لفظ اصطفى ولكن بالمعنى ؛ لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختاراً على جنسه وجنس هولاء المصطفون العالمون (١)
٤ - الإيغال :وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها .
وأورد السيوطي قوله تعالى :[يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ*٢٠*اتَّبِعُوا مَن لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ*٢١*يس] مثالاً للإيغال وقال :"فقوله [وهم مهتدون]إيغال، لأنه يتم المعنى بدونه، إذ الرسول مهتد لا محالة،لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه." (٢)
وأكد محمد الحسناوي وجود علاقات أخرى للفاصلة منها:
أ- علاقة الفاصلة بالمقطع وسماها علاقة التقسيم أو القفل أوالختام على شكل من الأشكال ،ومثل لها بالآيات المكررة في السورة الواحدة .
ب - علاقة الفاصلة بالسورة وهو مايعرف بخواتم السور، أوحسن الختام وجعله على أقسام :
١- تعلق الفاصلة بمضمون السورة ومثل لها بخواتم سورة (المرسلات) (والضحى) و(الكافرون)
٢- تعلق الفاصلة الأخيرة بفاتحة السورة، ومثل لها بسورة (ص) و(القلم) (٣).
ومن فوائدالفاصلة والتذييل :
أ - تأكيد معنى الآية ومضمونها، وزيادة الإقناع، وإقامة الحجة.
ب - إضافة معان جديدة للآية .
ج - تبين نوع من أنواع إعجاز القرآن .

---

(١)الإتقان للسيوطي ٩٦١/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٨٦٩/٢ .

(٣)الفاصلة في القرآن ٢٩٢-٢٩٣ .

سبق تبيين الفاصلة وأقسامها وفوائدها ولأهميتها اعتنى بها الرازي حيث شغلت حيزاً كبيراً من تفسيره (مفاتيح الغيب) ومن أمثلة ذلك:

١/ ماقاله فيما ختمت به الآيات الواردة في صفات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

ففي مناسبة التذييل [بالمفلحون]

قال الرازي:" إن الله تعالى لما وصفهم بالقيام بما يلزمهم علماً وعملاً بين نتيجة ذلك وهو الظفر بالمطلوب الذى هو النعيم الدائم من غير شوب على وجه الإجلال والإعظام لأن ذلك هو الثواب المطلوب للعبادات"(١).

وهذه الفاصلة قد مهد لها فجاءت متمكنة في مكانها، لأنه أخبر سبحانه بأنهم على هدى من ربهم ومن كان على هدى فقد أفلح وفاز.

٢/ وعند قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾

ربط الرازي قوله [وما هم بمؤمنين*٨*]بقوله [ءامنا بالله] فقال: " لما قالوا [ءامنا بالله] فلو قال الله:" ما آمنوا " لكان تكذيبا لهم أما لما قال [وما هم بمؤمنين] كان ذلك مبالغة في تكذيبهم (٢).

وفي هذا التذييل رد لما ادعوه من الإيمان وإثبات بقاءهم على الكفران بأسلوب أقوى من مجرد النفي.

٣/ وفي تذييل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾ بقوله [إنما نحن مصلحون]

قال الرازي:" الذين قالوا: إنما نحن مصلحون هم المنافقون والأقرب من مرادهم أن يكون نقيضا لما نهوا عنه فلما كان الذى نهوا عنه هو الإفساد في الأرض كان قولهم [إنما نحن مصلحون] كالمقابل له"(٣).

فإنهم لما نهو عن الفساد ادعوا الإصلاح، ووجه التناسب والترابط المقابلة والتضاد بين ما ادعوه وما نهو عنه.

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٣/١.

(٢) المصدر نفسه ٦١/٢.

(٣) انظر المصدر نفسه ٢/ ٦٦ -٦٧.

٤/ و في ختم آية النهي عن الإفساد في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ بقوله [ولكن لا يشعرون].

وختم قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

بقوله [ولكن لا يعلمون] وهي في الأمر بالإيمان.

قال الرازي :"إنما قال في آخر هذه الآية [لا يعلمون] وفيما قبلها [لا يشعرون] لوجهين:- الأول: أن الوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل أمر عقلي نظري، وأما أن النفاق وما فيه من البغي يفضي إلى الفساد في الأرض فضروري جار مجرى المحسوس، الثاني: أنه ذكر السفه وهو جهل، فكان ذكر العلم أحسن طباقا له والله أعلم"(١).

وقد أجاد أبو عبد الله الرازي المقارنة بين الفاصلتين وإيضاح مناسبة كل منها لمعنى الآية التي ختمت بها وتمكنها منها .

٥/ وفي تذييل قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾

بقوله [إنما نحن مستهزءون] قال الرازي: رابطا بينهما إن هذا تأكيد له؛ لأن قوله [إنا معكم] معناه الثبات على الكفر وقوله [إنما نحن مستهزءون] رد للإسلام ورد نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه؛ لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر، أو استئناف كأنهم اعترضوا عليه حين قال [إنا معكم] فقالوا إن صح ذلك فكيف توافقون أهل الإسلام ؟ فقالوا:[إنما نحن مستهزءون](٢).

وهذا من المبالغة وزيادة المعنى ويعرف بالإيغال وهو تعليل لما حصل منهم مع المؤمنين وتأكيد لبقائهم على الكفر .

وفي تذييل الآية هنا تأكيد للمعنى الأول، أوعلى سؤال يفهم من السياق وهو داخل في الاستطراد لمناسبة، وهي كما تتضمن ربط أجزاء الآية ففيها مناسبة بالتذييل والفاصلة مؤكدة للمعنى الذي تضمنته الآية .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢/ ٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ٢/٦٩-٧٠ .

٦/ ومن التوشيح ما في ربط فاصلة قوله : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ١٨﴾

قال الرازي: "لا يرجعون عما تقدم ذكره وهو التمسك بالنفاق الذى لأجل تمسكهم به وصفهم الله تعالى بهذه الصفات فصار ذلك دلالة على أنهم يستمرون على نفاقهم أبدا، أو لا يعودون للهدى بعد إذ باعوه"(١).

٧/ وفي قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾

بين الرازي أن تذييلها بقوله تعالى [وهو بكل شيء عليم] "يدل على أنه سبحانه لا يمكن أن يكون خالقاً للأرض وما فيها وللسموات وما فيها من العجائب والغرائب إلا إذا كان عالماً محيطاً بجزئيات السموات والأرض وكلياتها"(٢).

وهو بما قال يبين التلازم بين تذييل الآية وصدرها .

٨/ وأما مناسبة تذييل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ٥٠﴾ بقوله :[وأنتم تنظرون]

قال الرازي: " فيه وجوه :منها ـ ترون التطام أمواج البحر بفرعون وقومه، أن الله أراهم فرعون وقومه طافين على البحر"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢ / ٧٦ . قال ابن عاشور قوله فهم لا يرجعون تفريع على جملة صم بكم لإن من اعترته هذه الصفات انعدم منه الفهم والإفهام وتعذر طمع رجوعه إلى رشد أو صواب. التحريروالتنوير ٣١٤ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٥٨/٢ .

أهمل الرازي الكلام على فاصلة الآية (رقم٢٠) وهي قوله:[إن الله على كل شيء قدير] عقب قوله:[يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير *٢٠*]

وهي من أوضح أمثلة تذييل الترشيح للتوجيه المقصود للتهديد زيادة في تذكيرهم وإبلاغا لهم وقطعاً لمعذرتهم في الآخرة،" التحرير والتنوير ٣٢٣/١ .

(٣) مفاتيح الغيب ٧٠/٣، ٧٣ .

٩/ أما تذييل قوله تعالى : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾ بقوله: [لعلكم تهتدون] فيرى الرازي أنه كما يليق أن يتعلق بالكتاب لأنه فرقان وبه تكون الهداية، فيصح أيضاً أن يكون المراد بالفرقان ماأوتي موسى عليه السلام من اليد والعصا وسائر الآيات وسميت بالفرقان لأنها فرقت بين الحق والباطل أوأن المراد به النصر على قوم فرعون أو فرقان البحر دليل على صدق موسى"(١).

وبهذا يكون قد جعل وجه المناسبة لتذييل الآية بقوله تعالى [لعلكم تهتدون] متفقا مع ماتحتمله الآية من معان فإن في كل معنى مماتحتمله الآية سبيلا للاهتداء والله أعلم.

١٠/ أما عند قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾ فيقول الفخر في التذييل بقوله تعالى:[وأنتم تنظرون]" تنبيه على عظم العقوبة"(٢).

١١/ وفي تعقيب قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ بقوله [لعلكم تشكرون] قال الرازي :"ليبين أن بعثهم بعد الموت في الدار الدنيا ليكلفهم وليتمكنوا من تلافي ماصدر عنهم من الجرائم"(٣).

والتذييل هنا تعليل وبيان لسبب بعثهم بعد أن أماتهم الله و هو يستوجب شكر الله تعالى.

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ٧٨/٣.

(٢)المصدر نفسه ٨٦/٣.

(٣)المصدر نفسه ٨٦/٣.

١٢/ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

ففي تذييل الآية بقوله تعالى :[ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون]

قال الفخر:" واعلم أنه تعالى لما ذكر إنزال العقوبة بهم بين علة ذلك فبدأ أولاً: بما فعلوه في حق الله تعالى وهو جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه: بما يتبلوه في العظم، وهو قتل الأنبياء، ثم ثلثه: بما يكون منهم من المعاصي التي تخصهم، ثم ربع بما يكون منهم من المعاصي المتعدية إلى الغير مثل الاعتداء والظلم،وذلك في نهاية حسن الترتيب"(١).

ولعلها ختمت بما هو أعم إذ أن الله ختمها بقوله [ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون] ولا تخرج معاصيهم عن كونها معصية واعتداء والله أعلم .

١٣/ قال تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

بين الرازي أن تعقيبه بالتهديد والوعيد بقوله تعالى[وما الله بغفل عما تعملون] فالمعنى أن الله تعالى بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم محص لها فهو يجازيهم بها في الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى [وماكان ربك نسيا]وفي هذا وعيد لهم وتخويف كبير لينزجروا "(٢).

وهكذا ختمت الآية بوعيد من الله للقاسية قلوبهم .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠٣/٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٣٢/٣ .

١٤/ وقد بين الرازي سر تذييل قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾

بقوله تعالى :[أفلا تعقلون] فقال الرازي:"في قوله [أفلا تعقلون] فيه وجوه ،أحدها : أنه يرجع إلي المؤمنين فكأنه تعالى قال:" أفلا تعقلون لما ذكرته لكم من صفتهم أن الامر لا مطمع لكم في إيمانهم" وهو قول الحسن، وثانيها :أنه راجع إليهم فكأن عندما خلا بعضهم ببعض قالوا لهم أتحدثونهم بما يرجع وباله عليكم وتصيرون محجوجين به ، أفلا تعقلون أن ذلك لا يليق بما أنتم عليه ، وهذا الوجه أظهر لانه من تمام الحكاية عنهم فلا وجه لصرفه عنهم إلي غيرهم (١) .

فانظر كيف رجح الوجه الأخير وهو أن ماذيلت به الآية من قولهم وتمام كلامهم وليس خطاباً للمسلمين وفي ذلك مراعاة للسياق وبه يترابط الكلام .

١٥/ أما تذييل قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

فقد ذكر الرازي فيه وجوهاً:أقواها ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وأنتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا أي شاهد عليها وقيل فيهاأوجه أخرى:١-أقرأسلافكم وأنتم تشهدون الآن ٢-أقررتم في وقت الميثاق الذي مضى وأنتم بعد ذلك تشهدون ٣-أنه للتأكيد(٢).

---

(١)مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٣٧/٣ .

(٢)انظر المصدر السابق١٧١/٣، وبما ذكر كانت الفاصلة متمكنة متممة لمعنى الآية، وقال ابن عاشور في التذييل بقوله: ثم أقررتم وأنتم تشهدون مرتب ترتيباً رتبياًأي أخذ عليكم العهد وأقررتموه أي عملتم به وشهدتم عليه فالضميران في قوله تعالى :[أقررتم وأنتم تشهدون]راجعان لمارجع له ضمير ميثاقكم وما بعده لتكون الضمائر على سنن واحد في النظم ."التحرير والتنوير ٥٨٦/١".

١٦/ وفي تذييل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ بقوله تعالى[وما الله بغفل عما تعملون]قال الرازي:" تهديد شديد وزجر عظيم عن المعصية وبشارة عظيمة على الطاعة لأن الغفلة إذا كانت ممتنعة عليه سبحانه مع أنه أقدر القادرين وصلت الحقوق لا محالة إلى مستحقيها"(١).

فبين هنا كيف صار التذييل بقوله تعالى[وما الله بغفل عما تعملون] مناسباً ومتمماً لمعنى الآية.

١٧/ وفي ختم قوله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ بقوله[ولا هم ينصرون] قال الرازي:" فيه وجهان: الأكثرون حملوه على نفي النصرة في الآخرة يعني أن أحداً لا يدفع هذا العذاب عنهم ولا هم ينصرون على من يريد عذابهم، ومنهم من حمله على نفي النصرة في الدنيا، والأول أولى لأنه تعالى جعل ذلك جزاء على صنيعهم ولذلك قال [فلا يخفف عنهم العذاب] وهذه الصفة لا تليق إلا بالآخرة"(١).

وما اختاره الرازي من صلة الفاصلة بالآية توشيح مناسب لمعنى الآية.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٧٤/٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٧٥/٣ .

١٨/ وفي تذييل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾

بقوله تعالى [ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون]

تساءل الرازي عن سر التعبير بتقتلون في الفاصلة بدل قتلتم فقال:"هلا قيل وفريقاً قتلتم؟ وجوابه من وجهين: ١-أن يراد الحال الماضية لأن الأمر فضيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب .

٢-أن يراد فريقاً تقتلونهم بعد لأنكم حاولتم قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة، وقال عليه السلام عند موته ‹مازالت أكلة خيبر تعاودني؛ فهذا أوان انقطاع أبهري *›والله أعلم"(١).

وبهذا يظهر أن التكذيب صفة ملازمة لهم والتقتيل عادة معروفة فيهم .

وفي تذييل قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ وضح الفخر الرازي وجه ختمها فقال :"وأما قوله تعالى[والله عليم بالظالمين]فهو كالزجر والتهديد لأنه إذا كان عالماً بالسر والنجوى ولم يمكن إخفاء شيء عنه صار تصور المكلف لذلك من أعظم الصوارف عن المعاصي"(٢).

وفي ربطه للجمل الأولى على أنها من أخبار الغيب الصادقة وفي الثانية اعتمد على التعليل وفيها تذييل متضمن معنى زائداً هو التهديد والله أعلم .

---

* هذا الحديث بألفاظ أخرى رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة في باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته،انظر صحيح البخاري٣/٩١ .

(١) مفاتيح الغيب ١٧٨/٣ .

(٢)انظر مفاتيح الغيب ١٩٢/٣ .

١٩/ أما قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

قال الرازي في التذييل بقوله تعالى: [والله بصير بما يعملون]: "فاعلم أن البصر قد يراد به العلم يقال إن لفلان بصراً بهذا الأمر، أي معرفة، وقد يراد به أنه على صفة لو وجدت المبصرات لأبصرها وكلا الوصفين يصحان عليه سبحانه إلا أن من قال: إن في الأعمال ما لا يصح أن يرى حمل هذا البصر على العلم لا محالة، والله أعلم"(١).

وفاصلة هذه الآية تتضمن إثبات العلم المحيط لله تعالى وهي مشتملة على إثبات الإبصار وقد ختمت بها الآية للزجر والتهديد، والله أعلم.

٢٠/ وعند قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

وفي اختتام الآية بقوله [كأنهم لا يعلمون] قال الرازي: دلالة على أنهم نبذوه عن علم لأنه لا يقال ذلك إلا فيمن يعلم فدلت الآية من هذه الجهة على أن هذا الفريق كانوا عالمين بصحة نبوته إلا أنهم جحدوا ما يعلمون"(١).

إذ كان الواجب عليهم بمقتضى علمهم تصديق ما يصدق كتبهم.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩٤/٣.

(٢) انظر المصدر نفسه ٢٠٢/٣.

٢١/ وفي تذييل قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٩﴾

قال الرازي: "أما التعقيب بقوله تعالى [إن الله على كل شئ قدير] فهو تحذير لهم بالوعيد سواء حمل على الأمر بالقتال أوغيره "(١).

وهكذا فإن للسياق أثره في وجه المناسبة والتذييل.

٢٢/ وفي ختم قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٠﴾

قال الرازي: " [إن الله بما تعملون بصير] أي أنه لا يخفى عليه القليل ولا الكثير من الأعمال وهو ترغيب من حيث يدل على أنه تعالى يجازي على القليل كما يجازي على الكثير "(٢).

وهذه فاصلة متمكنة تدل على أن مافعلوا من خير فسيجدون ثوابه عند الله.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٤٥/٣.

قال ابن عاشور: (لعل في قوله " إن الله على كل شيء قدير" تعليماً للمسلمين فضيلة العفو أي فإن الله قدير على كل شيء وهو يعفو ويصفح. و قال: "تذييل مسوق مساق التعليل) ١:٦٧١ التحرير والتنوير.

(٢) مفاتيح الغيب ٢/٤.

٢٣/ وعند قول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝١١٥﴾

قال الرازي في التذييل بقوله تعالى:[إن الله واسع عليم]"إنه تعالى واسع القدرة في توفية ثواب من يقوم بالصلاة على شرطها، وتوفية عقاب من يتكاسل عنها"(١).

٢٤/ وفي تذييل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾

قال الفخر:" إنما عقب هذا الدعاء بقوله:[إنك أنت السميع العليم] كأنه يقول تسمع دعاءنا وتضرعنا، وتعلم مافي قلبنا من الإخلاص وترك الالتفات إلى أحد سواك"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٤-٢٢ . قيد الرازي هذه الآية وفق مذهبه في التأويل والأولى حملها على العموم .

وأحسن مما قال ماذكره السعدي عند هذه الآيه حيث قال :"إنه واسع الفضل والصفات عظيمها عليم بسرائركم ونياتكم فمن سعته وسع لكم الأمر وقبل منكم المأمور فله الحمد والشكر ." تفسير السعدي١:٨٨ .

وقال ابن عاشور :(إن قوله "واسع " تذييل لمدلول" ولله المشرق والمغرب") التحرير والتنوير ١: ٦٨٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ٥٨/٤ ،قال ابن عاشور :"وجملة إنك أنت السميع العليم تعليل لطلب التقبل منهما" التحرير والتنوير١:٧١٩ .

٢٥/ وفي تذييل قوله تعالى ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾

قال الرازي:"أما قوله [وما الله بغفل عما تعلمون] فهو الكلام الجامع لكل وعيد،ومن تصور أنه تعالى عالم بسره وإعلانه ولا يخفى عليه خافية أنه من وراء مجازاته إن خيراً فخير وإن شراً فشر لا يمضي عليه طرفة عين إلا وهو حذر خائف ألا ترى أن أحدنا لو كان عليه رقيب من جهة سلطان يعد عليه الأنفاس لكان دائم الحذر والوجل مع أن ذلك الرقيب لا يعرف إلا الظاهر فكيف بالرب الرقيب الذي يعلم السر وأخفى إذا هدد وأوعد بهذا الجنس من القول"(١).

---

(١) مفاتيح الغيب ٨٩/٤ .

قال ابن عاشور : "وقوله [وماالله بغافل عما تعملون] بقية مقول القول وهو تهديد لأن القادر إذا لم يكن غافلاً لم يكن له مانع من العمل بمقتضى علمه"التحرير والتنوير١:٧٤٨ .

وقال السعدي:" فلهذا قال [وما الله بغافل عما تعملون] بل قد أحصى أعمالهم وعدها وادخر لهم جزاءها فبئس الجزاء جزاءهم وبئست النار مثوى للظالمين وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازى عليها فيفيد ذلك الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ويفيد أيضاً ذكر الأسماء الحسنى بعد الأحكام أن الأمر الديني والجزائي أثر من آثارها وموجب من موجباتها وهي مقتضية له ." تيسيرالكريم الرحمن ١:١٠٤ .

٢٦/ وفي تذييل قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ بالاسمين[الرؤف الرحيم]

قال الرازي: "ذكروا في وجه تعلق هذين الإسمين بما قبلهما وجوها (أحدها) أنه تعالى لما أخبر أنه لا يضيع إيمانهم قال[إن الله بالناس لرؤف رحيم] والرؤف الرحيم كيف يتصور منه هذه الإضاعة (وثانيها) أنه لرؤف رحيم فلذلك ينقلكم من شرع إلى شرع آخر وهو أصلح لكم وأنفع في الدين والدنيا (وثالثها) قال[وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله] فكأنه تعالى قال؛وإنما هداهم الله لأنه رؤف رحيم"(١).

فكان اشتمال الفاصلة على اسمين من الأسماء الحسنى مناسب لما تضمنته الآية .

٢٧/ وفي تذييل قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ بقوله:[وما الله بغافل عما يعملون] بعد أن بين الرازي أن قوله [يعملون] قراءة لابن عامر وحمزة والكسائي قال:"إن جعلناه خطاباً للمسلمين فهو وعد لهم وبشارة، أي لا يخفى علي جدكم واجتهادكم في قبول الدين فلا أخل بثوابكم، وإن جعلناه كلاماً مع اليهود فهو وعيد وتهديد لهم ويحتمل أيضاً أنه ليس بغافل عن مكافئاتهم ومجازاتهم وإن لم يعجلها لهم"(٢).

وهنا كان السياق وأسلوب الخطاب محدداً لوجه المناسبة .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠٨/٤ .قال ابن عاشور :(وفي التذييل بقوله:"إن الله بالناس لرؤف رحيم" تأكيد لعدم إضاعة إيمانهم ومنة وتعليم بأن الحكم المنسوخ إنما يلغى العمل به في المستقبل لا في ما مضى . التحرير و التنوير ٢:٢٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٢٣/٤، وبقريب من ذلك قال السعدي ١١٠/١ .

٢٨/ وفي تذييل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ بقوله تعالى: [فلا تكونن من الممترين]

قال الرازي في ماذا اختلفوا فيه على أقوال: (أحدها) صحة نبوته وشرعه، قال: وهذا هو الأقرب لأن أقرب المذكورات إليه قوله [الحق من ربك] فإذا كان ظاهره يقتضي النبوة وما تشتمل عليه من قرآن ووحي وشريعة، فقوله [فلا تكن من الممترين] وجب أن يكون راجعاً إليه (١).

وهكذا بين الرازي اتصال الفاصلة بالسياق ومن وجه إليه الخطاب والله أعلم بالصواب.

٢٩/ أما تذييل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ بقوله تعالى [وما الله بغافل عما تعملون]

قال الرازي: "يعني ما يعمله هؤلاء المعاندون الذين يكتمون الحق وهم يعرفونه ويدخلون الشبهة على العامة بقولهم [ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها] وبأنه قد اشتاق إلى مولده ودين آبائه* فان الله عالم بهذا فأنزل ما أبطله وكشف عن وهنه وضعفه" (٢).

---

(١) المصدر نفسه ١٣٠/٤-١٣١.

(٢) مفاتيح الغيب ١٣٩/٤، وفيما قال الرازي بعد ولعل الصواب كما يرى السعدي أن الكلام عن المؤمنين فهو لا يغفل عن أعمالهم ١١٣/١.

٣٠/ وفي تذييل قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾
بقوله [ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون]

قال الرازي:" هذا تنبيه على أنه تعالى أرسله على حين فترة من الرسل وجهالة من الأمم، فالخلق كانوا متحيرين ضالين في أمر أديانهم فبعث الله تعالى محمداً بالحق حتى علمهم ما احتاجوا إليه في دينهم وذلك من أعظم أنواع النعم"(١).

وفي هذا تتميم لمعنى الآية وبيان ماتضمنته الرسالة من علم.

٣١/ أما ختم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾
بقوله :[إن الله مع الصابرين]

قال الرازي :"[إن الله مع الصابرين]يعني في النصر لهم كما قال [فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم] فكأنه تعالى ضمن لهم إذا هم استعانوا على طاعاته بالصبر والصلاة أن يزيدهم توفيقاً وتسيداً وألطافا كما قال [ويزيد الله الذين اهتدوا هدى]"(٢).

وهذا التذييل من التصدير إذ جاء في صدر الآية لفظ الصبر وذيلت بقوله [إن الله مع الصبرين]والله أعلم .

٣٢/ وفي تذييل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾
بقوله تعالى[لآيات لقوم يعقلون]

قال الرازي في التذييل بقوله [لآيات لقوم يعقلون]:"انما خص الآيات بهم لأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه، والاستدلال به على مايلزمهم من توحيد ربهم وعدله وحكمه ليقوموا بشكره،ومايلزم من عبادته وطاعته"(٣).

وهذه الفاصلة أومأإليها معنى الآية فجاءت متمكنة في مكانها .

---

(١)مفاتيح الغيب٤/ ١٤٣ .

(٢)المصدر نفسه٤/١٤٥، وقال ابن عاشور:" تذييل في معنى التعليل أي اصبروا ليكون الله معكم لأنه مع الصابرين." التحرير والتنوير ٢: ٥٣ .

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠٣/٤ .

٣٣/ وفي ختم قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ بقوله تعالى: [واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون] قال الرازي في هذه الآية وجوه :-

١-[واشكروا لله]إن كنتم عارفين بالله وبنعمه،فعبر عن معرفة الله تعالى بعبادته،إطلاقاً لاسم الأثر على المؤثر .

٢- معناه إن كنتم تريدون أن تعبدوا الله فاشكروه فإن الشكر رأس العبادات .

٣- واشكروا لله الذى رزقكم هذه النعم [إن كنتم إياه تعبدون]أى إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه سبحانه المنعم لا غيره"(١). وهذا التذييل يؤكد أن الشكر عبادة لله تعالى، وفيما ذكر الرازي بعد في الوجه الأول، ولعل الثاني والثالث أقرب إلى الصواب والله أعلم .

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ١٠/٥ .

٣٤/ وعند تذييل قوله تعالى :﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

بقوله [إن الله غفور رحيم *١٧٣*]

فقد بين الرازي عند هذه الآية طريقة من طرقه في تذييل الآيات فقال:"أما قوله تعالى [إن الله غفور رحيم] ففيه إشكال وهو أنه لما قال: [فلا إثم عليه فكيف يليق أن يقول بعده إن الله غفور رحيم]فإن الغفران إنما يكون عند حصول الإثم .

والجواب من وجوه :١-أن المقتضي للحرمة قائم في الميتة والدم،إلا أنه زالت الحرمة لقيام المعارض، فلما كان تناوله تناولا لما حصل فيه المقتضى للحرمة عبر عنه بالمغفرة ثم ذكر بعده أنه رحيم، يعني لأجل الرحمة عليكم أبحت لكم ذلك .

٢- لعل المضطر يزيد على تناول الحاجة فهو سبحانه غفور بأن يغفر ذنبه في تناول الزيادة ،رحيم حيث أباح في تناول قدر الحاجة .

٣-أنه تعالى لما بين هذه الاحكام عقبها بكونه غفوراً رحيماً لأنه غفور للعصاة إذا تابوا، رحيم بالمطيعين المستمرين على نهج حكمه سبحانه وتعالى"(١).

---

(١)انظر مفاتيح الغيب (١٣/٥)قال البقاعي :"ثم علل هذا الحكم مرهباً مرغباً بقوله :[إن الله] ...[غفور]اشعار بأنه لا يصل إلى حال الاضطرار إلى ماحرم عليه ذنباً أصابه فلولا المغفرة لتمت عليه عقوبته، وفي قوله: [رحيم]إنباء بأن من اضطر فأصاب مما اضطر إليه شيئاً لم يبغ فيه ولم يعد تناله من الله رحمة توسعه من أن يضطر بعدها إلى مثله (انظر نظم الدرر٢/٣٤٧-٣٤٩) .

وقال السعدي :"وقوله [إن الله غفور رحيم] ولما كان الحل مشروطاً بهذين الشرطين وكان الإنسان في هذه الحالة ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها -أخبر أنه غفور رحيم فيغفر ما أخطأ فيه في هذه الحال خصوصاً وقد غلبته الضرورة، وأذهبت حواسه المشقة، وفي هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة :"الضرورات تبيح المحظورات" فكل محظور اضطر إليه الإنسان فقد أباحه له الملك الرحمن فله الحمد والشكر أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً (تيسير الكريم الرحمن١/١٣٤).

٣٥/ أما ختم قوله تعالى:
﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾ بقوله [إن الله سميع عليم] قال الرازي:"فمعناه أنه تعالى سميع للوصية على حدها، ويعلمها على صفتها، فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها، والله اعلم .."(١).

٣٦/ وفي مناسبة تذييل قوله تعالى ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾ بقوله تعالى: [إن الله غفور رحيم*١٨٢*]

قال الرازي :"أما قوله[إن الله غفور رحيم] ففيه أيضا سؤال: وهو أن هذا الكلام إنما يليق بمن فعل فعلاً لا يجوز، أما هذا الإصلاح فهو من جملة الطاعات فكيف به بهذا الكلام وجوابه من وجوه: (أحدها) أن هذا من باب تنبيه الأدنى على الأعلى كأنه قال أنا الذى أغفر الذنوب ثم أرحم المذنب فبأن أوصل رحمتى وثوابى إليك مع أنك تحملت المحن الكثيرة في إصلاح هذا المهم كان أولى، و(ثانيها) يحتمل أن يكون المراد أن ذلك الموصى الذى أقدم على الجنف والإثم متى أصلحت وصيته فإن الله غفور رحيم يغفر له ويرحمه بفضله و(ثالثها) أن المصلح ربما إحتاج في إيتاء الإصلاح إلى أقوال وأفعال كان الأولى تركها فاذا علم تعالى منه أن غرضه ليس إلا الإصلاح فانه لا يؤاخذه بها لأنه غفور رحيم "(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٦٥/٥ ،وما ذكره أوجه حسنة وقد قال السعدي: "[إن الله سميع] يسمع سائر الأصوات ومنه سماعه لمقالة الموصي ووصيته، فينبغي أن يراقب من يسمعه ويراه،وأن لا يجور في وصيته [عليم] بنيته، وعليم بعمل الموصى إليه،فإذا اجتهد الموصي وعلم الله من نيته ذلك أثابه ولو أخطأ، وفيه التحذير للموصى إليه من التبديل فإن الله عليم به مطلع على فعله فليحذر من الله(تيسير الكريم الرحمن١:١٤٢).

(٢) مفاتيح الغيب ٦٨/٥ .قال ابن عاشور:" فيه تنويه بالمحافظة على تنفيذ وصايا الموصين حتى جعل تغيير جورهم محتاجاً للإذن من الله"،(التحرير والتنوير ١٥٤/٢)، وقال السعدي :"[غفور] لميتهم الجائر في الوصية إذا احتسبوا مسامحة بعضهم بعضاً لأجل إبراء ذمته [رحيم]بعباده حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون ويتعاطفون"(تيسير الكريم الرحمن ١:١٤٣)

٣٧/ وفي تذييل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ بقوله [لعلكم تتقون]

قال الرازي:"هذا الكلام كيف يليق بهذا الموضع؟"

ثم قال:"فيه وجوه (أحدها) أنه سبحانه وتعالى بين بهذا الكلام أن الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى، ثم بين أن الصوم جامع لأسباب التقوى فيكون معنى الآية فرضت عليكم الصيام لتكونوا به من المتقين الذين أثنيت عليهم في كتابي وأعلمت أن هذا الكتاب هدى لهم ولما اختص الصوم بهذه الخاصية حسن منه تعالى أن يقول عند إيجابها [لعلكم تتقون] (وآخرها) لعلكم تنتظمون بسبب هذه العبادة في زمرة المتقين لأن الصوم شعارهم والله أعلم"(١).

وفيما ذكر الرازي ربط للفاصلة بصدر الآية، وربط لها بما ورد في أول هذه السورة من قوله تعالى [ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين*٢*]

٣٨/ وفي تذييل قوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٤﴾

قال الرازي:"أما قوله [إن كنتم تعلمون] أى أن الصوم عليكم فاعلموا صدق قولنا [وأن تصوموا خير لكم] الثانى: أن آخر الآية متعلق بأولها، والتقدير كتب عليكم الصيام وأن تصوموا خيرا لكم إن كنتم تعلمون أى إنكم إذا تدبرتم علمتم ما في الصوم من المعانى المورثة للتقوى وغيرها مما ذكرناه في صدر هذه الآية الثالث:أن العالم بالله لابد وأن يكون في قلبه خشية الله على ما قال [إنما يخشى الله من عباده العلماء] فذكر العلم والمراد الخشية، وصاحب الخشية يراعى الاحتياط والاحتياط في فعل الصوم، فكأنه قيل: إن كنتم تعلمون الله حتى تخشونه كان الصوم خيراً لكم"(٢).

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٧٠/٥ - ٧١، والفاصلة في هذه الآية تظهر الحكمة في مشروعية الصيام إذ هو من أكبر أسباب التقوى لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه انظر تفسير السعدي ١٤٣/١ .

(٢) مفاتيح الغيب ٨٢/٥ .وفي التحرير أي تعلمون فوائد الصوم دنيا وثوابه أخرى٢:١٦٨ .

٣٩/ وفي تذييل قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ بقوله :[ولعلكم تشكرون]

قال الرازي عند قوله تعالى [ولعلكم تشكرون]:"ما الفائدة في ذكر هذا اللفظ في هذا الموضع ؟ ثم قال:" إن الله تعالى لما أمر بالتكبير وهو لا يتم إلا بأن يعلم العبد جلال الله وكبريائه وعزته وعظمته، وكونه أكبر من أن تصل اليه عقول العقلاء، وأوصاف الواصفين، وذكر الذاكرين، ثم يعلم أنه سبحانه مع جلاله وعزته وإستغنائه عن جميع المخلوقات، فضلا عن هذا المسكين خصه الله بهذه الهداية العظيمة لابد وأن يصير ذلك داعيا للعبد إلى الاشتغال بشكره، والمواظبة على الثناء عليه بمقدار قدرته وطاقته فلهذا قال[ولعلكم تشكرون]"(١).

وفي التذييل إشارة إلى النعم ،وأمر بشكرها.

٤٠/ وعند تذييل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ بقوله تعالى [إن الله غفور رحيم]

قال الرازي :"هذه الآية تدل على أنه تعالى يقبل التوبة من التائب، لأنه تعالى لما أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه بأنه كثير الغفران كثير الرحمة فهذا يدل قطعاً على أنه يغفر لذلك المستغفر، ويرحم ذلك الذي تمسك بحبل رحمته وكرمه"(٢).

ففي ختم الآية المتقدمة (بالغفور الرحيم) وعد للمستغفرين وهي مشتملة على توشيح الفاصله حيث ورد لفظ المغفرة بالأمر بالاستغفار في صدر الآية وورد في التذييل الله نفسه بأنه غفور .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٩٣/٥ .وذكر ابن عاشور:" أنه تعليل عقب تعليل "التحرير ١٧٧/٢ .

ويرى السعدي: أنه أمر بشكر الله تعالى عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده تفسير السعدي ١٤٥/١ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٨١/٥ .

٤١ / ومن ربط الفاصلة ما في قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾

حيث قال الرازي :أما قوله تعالى :[فاعلموا أن الله عزيز حكيم]ففيه سؤال يقول :إن قوله تعالى:[فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينت]إشارة إلى ذنبهم وجرمهم،فكيف يدل قوله تعالى:[أن الله عزيز حكيم] على الزجر والتهديد.

ثم قال في الجواب :" تقدير الآية :فإن زللتم من بعد ماجاءتكم البينات، فاعلموا أن الله مقتدر عليكم لا يمنعه مانع عنكم، فلا يفوته مايريده منكم وهذا نهاية في الوعيد لأنه يجمع من ضروب الخوف مالا يجمعه الوعيد بذكر العقاب، وربما قال الوالد لولده :"إن عصيتني فأنت عارف بي،وأنت تعلم قدرتي عليك وشدة سطوتي" فيكون هذا الكلام في الزجر أبلغ من ذكر الضرب وغيره ، وذكر أنها تشتمل على الوعد كذلك إضافة إلى الوعيد حيث قال: "فإن قيل: أفهذه الآية مشتملة على الوعد كما أنها مشتملة على الوعيد قلنا : نعم من حيث أتبعه بقوله:[حكيم]فإن اللائق بالحكمة أن يميز بين المحسن والمسئ كما يحسن من الحكيم إيصال العذاب إلى المسئ فكذلك يحسن منه إيصال الثواب إلى المحسن بل هذا أليق بالحكمة وأقرب للرحمة"(١).

وقد بين الرازي أن في ختم الآية بالعزيز وعيد للعاصي المتعدي لحدوده ، وأن في ختمها بالحكيم وعد لمن أحسن .

وفي هذا الموضع مسألة قال الرازي:" يحكى أن قارئاً قرأ [غفور رحيم]فسمعه اعرابي فأنكره وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه"(٢).

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ٢١١/٥ .

(٢) المصدر السابق ٢١١/٥ .

٤٢/ وفي ختم قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾

بقوله: [من بعد ما جآءته فان الله شديد العقاب]

قال الرازي: "أما قوله تعالى [من بعد ما جاءته] فان فسرنا النعمة بايتاء الايات والدلائل كان المراد من قوله [من بعد ما جاءته] أى من بعد ما تمكن من معرفتها، أو من بعد ما عرفها، وإن فسرنا النعمة بما يتعلق بالدنيا من الصحة والأمن والكفاية، فلا شك أن عند حصول هذه الأسباب يكون الشكر أوجب فكان الكفر أقبح، فلهذا قال: [فان الله شديد العقاب] قال الواحدى رحمه الله تعالى: وفيه اضمار، والمعنى شديد العقاب له، وأقول: بين عبدالقاهر النحوى في كتاب دلائل الاعجاز أن ترك هذا الإضمار أولى، وذلك لأن المقصود من الآية التخويف بكونه في ذاته موصوفا بأنه شديد العقاب، من غير التفات الى كونه شديد العقاب لهذا أو لذلك ثم قال الواحدي رحمه الله: والعقاب عذاب يعقب الجرم"(١).

واختار الرازي في هذه الآية العموم وعدم تقييدها بمن تقدمت الإشارة إليه في الآيه ولعل المعنى يدل على العموم من خلال السياق إذ أن الآية بينت أن العذاب الشديد على من بدل نعمة الله من بعد ماجاءته وهو عام في كل من اتصف بهذه الصفه.

---

(١) مفاتيح الغيب ٤/٦.

٤٣/وفي تذيل قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

بقوله [بغيرحساب] ذكرالرازي أوجهاً في تفسيرها وبين وجه ربطه في هذه الأوجه فقال:" واعلم أن هذه الوجوه كلها محتملة وعطايا الله لها منتظمة فيجوز أن يكون المراد كلها والله أعلم، أما اذا حملنا الاية على ما يعطى في الدنيا أصناف عباده من المؤمنين والكافرين ففيه وجوه أحدها: وهو أليق بنظم الاية أن الكفار إنما كانوا يسخرون من فقراء المسلمين لأنهم كانوا يستدلون بحصول السعادات الدنيوية على أنهم على الحق وبحرمان(*) فقراء المسلمين من تلك السعادات على أنهم على الباطل، فالله تعالى أبطل هذه المقدمة بقوله[والله يرزق من يشاء بغير حساب]يعنى أنه يعطى في الدنيا من يشاء من غير أن يكون ذلك منبئا عن كون المعطى محقا أو مبطلا ومحسنا أو مسيئا وذلك متعلق بمحض المشيئة، فقد وسع الدنيا على قارون، وضيقها على أيوب عليه السلام، فلا يجوز لكم أيها الكفار أن تستدلوا بحصول متاع الدنيا لكم وعدم حصولها لفقراء المسلمين على كونكم محقين وكونهم مبطلين، بل الكافر قد يوسع عليه زيادة في الاستدراج، والمؤمن قد يضيق عليه زيادة في الابتلاء والامتحان، (وثانيها) أن المعنى أن الله يرزق من يشاء في الدنيا من كافر ومؤمن بغير حساب يكون لأحد عليه،ولا مطالبة ولا تبعة، ولا سؤال سائل والمقصود منه أن لايقول الكافر: لو كان المؤمن على الحق فلم لم يوسع عليه في الدنيا ؟ وأن لا يقول المؤمن:إن الكافر مبطلاً فلم وسع عليه في الدنيا ؟ بل الاعتراض ساقط، والأمر أمره والحكم حكمه [لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون] وثالثها: قوله[بغير حساب] أى من حيث لا يحتسب "(١).

وهذا تذيل يرشحه معنى الاية فإن الله أبدل المؤمنين السخرية بهم أن جعلهم فوق الساخرين يوم القيامة وفي هذا دلالة على أن الأمر كله لله يفعل ما يشاء وهو يعطي نعيم الدنيا من شاء وخص الأتقياء بنعيم الاخرة .

---

(١)مفاتيح الغيب ٦/٩-١٠ .

(*) في الكتاب ويحرمون .

٤٤/ وفي تذييل قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

قال الرازي: "أما قوله تعالى [والله يعلم وأنتم لا تعلمون] فالمقصود منه الترغيب العظيم في الجهاد وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد قصور علم نفسه وكمال علم الله تعالى ثم علم أنه سبحانه لا يأمر العبد إلا بما فيه خيرته ومصلحته علم قطعاً أن الذي أمره الله تعالى به وجب عليه امتثاله سواء كان مكروهاً للطبع أولم يكن" (١).

ولما كان الخالق الآمر هو العالم بما هو خير للعبد كان في التذييل بقوله [والله يعلم وأنتم لا تعلمون]حث على المبادرة بالقتال وإن كرهته النفس وهذا التذييل مما يتمم معنى الآية .

٤٥/ وفي تذييل قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

بقوله :[والله غفور رحيم]

قال الرازي: " ثم قال تعالى[والله غفور رحيم] أى أن الله تعالى يحقق لهم رجاءهم اذا ماتوا على الإيمان والعمل الصالح، وأنه غفور رحيم، غفر لعبد الله بن جحش وأصحابه ما لم يعلموا ورحمهم"(٢).

فذكر في ختمها وجهين: أحدهما أنها خاصة بسبب نزولها.

الثاني العموم: ويدخل فيها سبب النزول دخولاً أوليا ولعل الثاني هو الراجح .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٨/٦ .

(٢) مفاتيح الغيب ٤٠/٦ .

٤٦/ وفي مناسبة تذييل قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾

قال الرازي: "ثم قال في آخر الآية والله سميع عليم] أي: إن حلفتم يسمع، وإن تركتم الحلف تعظيما لله وإجلا لا له من أن يستشهد باسمه الكريم في الأعراض العاجلة فهو عليم عالم بما في قلوبكم ونياتكم" (١).

وفي ختم هذه الآية بهاتين الصفتين وعد ووعيد، وعد بأن الله يسمع ويعلم من اتقى وأصلح وهو متضمن الوعيد لمن لم يتق.

٤٧/ وربط الرازي فاصلة قوله تعالى:
﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ... فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

فقال عند قوله تعالى :[ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون]:

" فيه وجوه (أحدهما) أنه تعالى ذكره في سائر الآيات [ألا لعنة الله على الظالمين] فذكر الظلم ههنا تنبيهاً على حصول اللعن (وثانيها)أن الظالم اسم ذم وتحقير، فوقوع هذا الاسم يكون جاريا مجرى الوعيد (وثالثها)أنه أطلق لفظ الظلم تنبيها على أنه ظلم من الإنسان على نفسه، حيث أقدم على المعصية، وظلم أيضا للغير بتقدير أن لاتتم المرأة عدتها، أو كتمت شيئا مما خلق في رحمها، أو الرجل ترك الإمساك بالمعروف والتسريح بالإحسان، أو أخذ من جملة ما آتاها شيئا لا بسبب نشوز من جهة المرأة، ففي كل هذه المواضع يكون ظالما للغير فلو أطلق لفظ الظالم دل على كونه ظالما لنفسه، وظالما لغيره، وفيه أعظم التهديدات..."(٢)

وهذا التذييل من التهديد والوعيد عقب الأحكام وهو مما يفيد الحث على تنفيذ الأحكام والحذر من التفريط فيها .

---

(١) مفاتيح الغيب ٧٦/٦

(٢) المصدر نفسه ١٠٣/٦ .

٤٨/وفي تذييل قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ بقوله [واعلموا أن الله بما تعملون بصير]

قال الرازي: "بين حكم الأم وأنها أحق بالرضاع، وبين أنه يجوز العدول في هذا الباب عن الأم إلى غيرها...ثم إنه تعالى ختم الآية بالتحذير، فقال [واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير]"(١).

لما أمر هنا بالتقوى وهي فعل الطاعة واجتناب المعصية زاد في الحث عليها بقوله [واعلموا أن الله بما تعملون بصير] وهو وعد يتضمن ما ذكره الرازي من أنه تحذير.

٤٩/ وفي مناسبة تذييل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ بقوله [والله بما تعملون خبير *٢٣٤*] قال الرازي:" ثم ختم الآية بالتهديد، فقال[والله بما تعملون خبير]"(٢).

وفي قول الرازي :أنها ختمت بالتهديد والوعيد عقب الحكم، حث على الوفاء به.

---

(١)مفاتيح الغيب ٦/ ١٢٥ .

(٢)المصدر نفسه ٦/ ١٢٩ .

٥٠/ وفي مناسبة تذييل قوله تعالى ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ بقوله ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

قال الرازي: "ثم إنه تعالى ختم الآية بالتهديد فقال: [واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه] وهو تنبيه على أنه تعالى لما كان عالماً بالسر والعلانية وجب الحذر في كل مايفعله الإنسان في السر والعلانية ثم ذكر بعد الوعيد الوعد فقال: [واعلموا أن الله غفور حليم] "(١).

وهذا من تتميم الأحكام بما يناسب من الوعد عقب الوعيد بذكر صفتي الغفور والحليم ترغيباً في مغفرة الله وحلمه ورحمته بامتثال أمره حتى في ما يتعلق في شأن خطبة النساء عقب التحذير بقوله [فاحذروه].

٥١/ في ختم قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

بقوله [ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير].

قال الرازي: "ولا تتركوا الفضل والإفضال فيما بينكم، وذلك لأن الرجل إذا تزوج بالمرأة فقد تعلق قلبها به، فإذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتأذيها منه، وأيضا إذا كلف الرجل أن يبذل لها مهرا من غير أن انتفع بها البتة صار ذلك سببا لتأذيه منها، فندب تعالى كل واحد منهما إلى فعل يزيل ذلك التأذى عن قلب الآخر ندب الزوج إلى أن يطيب قلبها بأن يسلم إليها المهر بالكلية وندب المرأة إلى ترك المهر بالكلية، ثم إنه تعالى ختم الآية بما يجرى مجرى التهديد على العادة المعلومة، فقال [إن الله بما تعملون بصير] "(٢).

والتذييل هنا يحتمل الوعد بالخير لمن عمل خيراً وتفضل فإنه لا يضيع عند الله.

---

(١) المصدر نفسه ١٣٤/٦ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ١٤٥/٦ . وفي قول الرازي على العادة المعلومة مايشير إلى ختم آي الأحكام بالوعيد غالباً.

٥٢/ وفي التعقيب بقوله ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ لقوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤﴾ أى يسمع كلامكم في ترغيب الغير في الجهاد، وفي تنفير الغير عنه، وعليم بما في صدوركم من البواعث والأغراض وأن ذلك الجهاد لغرض الدين أو لعاجل الدنيا"(١).

وكلام الرازي عند هذا التذييل في غاية الحسن.

٥٣/وفي تذييل قوله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦﴾ بقوله [والله عليم بالظالمين] أى هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف ربه ولم يف بما قيل من ربه، وهذا هو الذى يدل على تعلق هذه الآية بقوله قبل ذلك [وقاتلوا في سبيل الله] فكأنه تعالى أكد وجوب ذلك بأن ذكر قصة بنى إسرائيل في الجهاد وعقب ذلك بأن من تقدم على مثله فهو ظالم والله أعلم بما يستحقه الظالم وهذا بين في كونه زجرا عن مثل ذلك في المستقبل وفي كونه بعثا على الجهاد، وأن يستمر كل مسلم على القيام بذلك والله أعلم"(٢).

وذيلت هذه الآية بالتهديد والوعيد الشديد لمن خالف أمر الله، وبينت أن من خالف أمر الله وأن من خالفه فهو ظالم لنفسه.

---

(١) مفاتيح الغيب ٦/ ١٦٦ .

(٢) المصدر السابق ٦/١٧٢ .

٥٤/ وفي ختم قوله تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ بقوله تعالى [والله واسع عليم]

قال الرازي:"أي أنه تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة، وسعت رحمته كل شيء والتقدير: أنتم طعنتم في طالوت بكونه فقيراً،والله تعالى واسع الفضل والرحمة،فإذا فوض الملك إليه فإن علم أن الملك لا يتمشى إلا بالمال فالله يفتح عليه باب الرزق والسعة في المال..قال الرازي :" ثم بين قوله (عليم) أنه تعالى مع قدرته على إغناء الفقير عالم بمقادير ما يحتاج إليه في تدبير الملك، وعالم بحال ذلك الملك في الحاضر والمستقبل، فيختار لعلمه بجميع العواقب ما هو مصلحته في قيامه بأمر الملك "(١).

وهكذا فإن قوله تعالى [والله واسع عليم] مناسب لما قبله تمام المناسبة.

---

(١) المصدر نفسه ١٧٤/٦-١٧٥ .

٥٥/ وفي ختم سياق القصص بقوله تعالى : ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

قال الرزي :" ثم قال[وإنك لمن المرسلين] وإنما ذكر هذا عقيب ما تقدم لوجوه (أحدها) أنك أخبرت عن هذه الأقاصيص"(١).

من غير تعلم ولا دراسة، وذلك يدل على أنه عليه الصلاة والسلام إنما ذكرها وعرفها بسبب الوحى من الله تعالى، (وثانيها) إنك قد عرفت بهذه الآيات ما جرى على الأنبياء عليهم السلام في بنى إسرائيل، من الخوف عليهم والرد لقولهم، فلا يعظمن عليك كفر من كفر بك، وخلاف من خالف عليك، لأنك مثلهم، وإنما بعث الكل لتأدية الرسالة ولامتثال الأمر على سبيل الإختيار والتطوع، لا على سبيل الإكراه فلا عتب عليك في خلافهم وكفرهم، والوبال في ذلك يرجع عليهم فيكون تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فيما يظهر من الكفار والمنافقين، ويكون قوله [وإنك لمن المرسلين] كالتنبيه على ذلك"(٢).

وعلى القول الأول فالفاصلة مهد لها فجاءت مطمئنة في موضعها متمكنة وعلى القول الثاني ما قبل الفاصلة تصبير للنبي بذكر ماجرى على من تقدمه من الأنبياء وما بعدها تنبيه على ذلك ،وتأكيد له.

٥٥/أما الختم لقوله تعالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ بقوله [والله سميع عليم]

فيقول الرازي :"أي أنه تعالى يسمع قول من تكلم بالشهادتين،وقول من يتكلم بالكفر ويعلم مافي قلب المؤمن من الإعتقاد الطاهر وما في قلب الكافر من الإعتقاد الخبيث"(٣).

وفي الختم بهاتين الصفتين وعد لمن أطاع فعند الله علم ماقدم، ووعيد لمن عصى فالله يسمع ويعلم ما يقترف .

---

(١) أقاصيص الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وإماتتهم، وإحيائهم وتمليك طالوت وغيرها من القصص .

(٢)مفاتيح الغيب ١٩٣/٦ .

(٣)المصدر نفسه ١٦/٧ .

٥٦/ وفي ختم قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١)

بقوله تعالى: [والله واسع عليم] قال الرازي: "أي واسع القدرة على المجازاة على الجود والإفضال عليهم، بمقادير الإنفاقات، وكيفية مايستحق عليها، ومتى كان الأمر كذلك لم يصر عمل العامل ضائعاً عند الله تعالى"(١).

فاتضح من كلام الرازي أن في الختم بصفة واسع، بيان سعة فضل الله ثم بين أنه مع سعة فضله فهو يعلم المستحق من غيره، وتحديد الرازي لقوله واسع بسعة القدرة خطأ بين لأنه أول معناها، وحدده وحقه أن يبقى كماهو من غير وحقه أن يبقى كما هو من غير تأويل أو تعطيل أو تمثيل.

٥٧/ وقال الرازي في تذييل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢٦٥)

بقوله [والله بما تعملون بصير]: " والمراد من البصير العليم، أى هو تعالى عالم بكمية النفقات وكيفيتها، والأمور الباعثة عليها، وأنه تعالى مجاز بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر"(٢).

والبصر صفة من صفات الله ومعناه الذي أحاط بصره بجميع المبصرات وفي هذا حث وترغيب في الإنفاق.

٥٨/ وفي ختم قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٦٦)

بقوله [كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون] قال الرازي: "ثم قال: [كذلك يبين الله لكم الآيات] أي كما بين الله لكم آياته ودلائله في هذا الباب ترغيبا وترهيبا كذلك يبين الله لكم آياته ودلائله في سائر أمور الدين [لعلكم تتفكرون]"(٣)، والتذييل في هذه الآية لما ضرب الله المثل للإنفاق الزائل بالمن والأذى بين في الخاتمة أنه ماضرب المثل إلا ليتفكر الناس والرازي يميل إلى أن هذا التذييل عام غير خاص.

---

(١) مفاتيح الغيب ٧/ ٤٥.

(٢) المصدر نفسه ٧/٥٧.

(٣) المصدر نفسه ٧/٦٠.

٥٩/ وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾

قال الرازي: "ثم ختم الآية بقوله [واعلموا أن الله غني حميد] والمعنى أنه غني عن صدقاتكم، ومعنى حميد أي محمود على ما أنعم بالبيان، وفيه وجه آخر، وهو أن قوله [غني] كالتهديد على إعطاء الأشياء الرديئة في الصدقات و[حميد] بمعنى حامد أي أنا أحمدكم على ما تفعلونه من الخيرات وهو كقوله [فأولئك كان سعيهم مشكورا]"(١).

بين الرازي في هذا التذييل أن له وجهان ١-العموم وهو أن الله غني عن الصدقات مستحق للحمد على النعم.

٢- الخصوص فيكون أمراً وتكليفاً مختوماً بالوعد والوعيد.

٦٠/ وفي ختم قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ بقوله [والله واسع عليم *٢٦٨*]

قال الرازي: "ثم ختم الآية بقوله [والله واسع عليم] أي أنه واسع المغفرة، قادر على إغنائكم، وإخلاف ما تنفقونه، وهو عليم لا يخفى عليه ما تنفقون، فهو يخلفه عليكم"(٢).

وما في ختم هذه الآية مؤكد لقوله [والله يعدكم مغفرة منه وفضلا] المقابل لما في صدر الآية وهو قوله تعالى [الشيطن يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء].

ثم إن التذييل في هذه الآية مناسب لما تضمنته الآية من حث على الخير والبر.

---

(١) مفاتح الغيب ٧/٦٣-٦٤.

(٢) المصدر نفسه ٧/٦٦-٦٧.

٦١/ وفي ختم قوله تعالى : إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ
بقوله وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

قال الرزي :"ثم قال الله [والله بما تعملون خبير] وهو إشارة إلى تفضيل صدقة السر على العلانية والمعنى أن الله عالم بالسر والعلانية وأنتم إنما تريدون بالصدقة طلب مرضاته ، فقد حصل مقصودكم في السر ، فما معنى الإبداء، فكأنهم ندبوا بهذا الكلام إلى الإخفاء ليكون أبعد من الرياء"(١).

وقد تقدم في صدر الآية ما يرشح هذه الفاصلة التي بين الرازي وجه التذييل بها.

٦٢/وفي مناسبة تذييل قوله تعالى :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ بقوله [إن كنتم مؤمنين *٢٧٨*] قال الرازي :"فإن قيل كيف قال [يأيها الذين آمنوا اتقوا] ثم قال في آخره [إن كنتم مؤمنين] (الجواب) من وجوه (الأول) أن هذا مثل ما يقال : إن كنت أخا فأكرمن، معناه إن من كان أخا أكرم أخاه (والثانى) قيل معناه إن كنتم مؤمنين قبله (الثالث) إن كنتم يريدون إستدامة الحكم لكم بالإيمان (الرابع) يأيها الذين آمنوا بلسانهم ذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين بقلوبكم"(٢).

وهذا من رد العجز على الصدر .

٦٣/ وفي ختم قوله تعالى : وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ بقوله [إن كنتم تعلمون]

قال:"فيه وجوه :الأول - معناه إن كنتم تعلمون أن هذا التصدق خير لكم إن عملتموه ،فجعل العمل من لوازم العلم ،وفيه تهديد شديد على العصاة والثاني - إن كنتم تعلمون فضل التصدق على الإنظار والقبض، والثالث إن كنتم تعلمون أن مايأمركم به ربكم أصلح لكم"(٣).

وفيما تقدم ذيلت الآية بزيادة فيها الحث على الإحسان وهو ما يعرف بالإيغال والوجه الثاني والثالث مما ذكره الرازي أقوى؛ لتأكيده على ما تناولته الآية .

---

(١) مفاتح الغيب ٧٦/٧ .

(٢) المصدر نفسه ٩٨/٧ .

(٣)المصدر السابق ١٠٤/٧ .

٦٤/ وفي ختم قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ بقوله: [ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون]

قال الرازي: "عند قوله تعالى [وهم لا يظلمون]وفيه سؤال وهو أن قوله [توفى كل نفس ماكسبت] لا معنى له إلا أنهم لا يظلمون فكان ذلك تكريراً.

ثم قال: "وجوابه أنه تعالى لما قال [توفى كل نفس ما كسبت] كان ذلك دليلا على إيصال العذاب إلى الفساق والكفار، فكان لقائل أن يقول كيف يليق بكرم أكرم الأكرمين أن يعذب عبيده فأجاب عنه بقوله [وهم لا يظلمون] والمعنى أن العبد هو الذى أوقع نفسه في تلك الورطة لأن الله تعالى مكنه وأزاح عذره وسهل عليه طريق الاستدلال وأمهله فمن قصر فهو الذى أساء إلى نفسه، وهذا الجواب إنما يستقيم على أصول المعتزلة وأما على أصول أصحابنا فهو أنه سبحانه مالك الخلق، والمالك إذا تصرف في ملكه كيف شاء وأراد لم يكن ظلما، فكان قوله [وهم لا يظلمون] بعد ذكر الوعيد إشارة إلى ما ذكرناه"(١).

وكلام الرازي في هذه الفاصلة على أنها ختمت الآية بالوعد بعدم الظلم في قوله [وهم لا يظلمون] كما ختمت بالوعيد للظالمين بأنهم لا يجزون إلا ما كانوا يكسبون.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠٥/٧، وما ذكره هنا هو قول أهل السنة فهو أن الله يفعل مايشاء وهو غير ظالم أبدا (انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٤٤٣).

٦٥/ وفي مناسبة ختم قوله تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

بقوله: [واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم].

قال الرازي :" قال تعالى [واتقوا الله] يعني فيما حذر منه ههنا وهو المضارة، أو يكون عاما، والمعنى اتقوا الله في جميع أوامره ونواهيه ثم قال [ويعلمكم الله] والمعنى: أنه يعلمكم ما يكون إرشادا واحتياطاً في أمر الدنيا، كما يعلمكم ما يكون إرشاداً في أمر الدين [والله بكل شيء عليم] إشارة إلى كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع مصالح الدنيا والآخرة"(١).

ووجه اتصال الفاصلة بالآية واضح كما بينه الرازي .

وفيه ترغيب في حسن المعاملة مع الخلق وترهيب من المعاملة السيئة معهم .

---

(١) مفاتيح الغيب ١١٩/٧ .

٦٦/وفي تذييل قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

بقوله :[والله بما تعملون عليم]

قال الرازي:"ثم قال عز وجل [والله بما تعملون عليم]وهو تحذير من الإقدام على هذا الكتمان، لأن المكلف إذا علم أنه لا يعزب عن علم الله ضمير قلبه كان خائفا حذرا من مخالفة أمر الله تعالى، فإنه يعلم أنه تعالى يحاسبه على كل تلك الأفعال، ويجازيه عليها إن خيرا فخيرا ، وإن شرا فشرا "(١).

وهذا وعيد لمن كتم الشهادة حيث بين الله أنه إن كتم ما يعلمه فإن الله بكل شيء عليم، وما ورد في ختم هذه الآية يرشحه ما تقدم في صدرها.

٦٧/وفي ختم قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

بقوله : [والله على كل شيء قدير]

قال الرازي:"ثم قال [والله على كل شيء قدير]وقد بين بقوله [لله مافي السموات والأرض]أنه كامل الملك والملكوت،وبين بقوله [وإن تبدوا ما في أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله]أنه كامل العلم والإحاطة، ثم بين بقوله [والله على كل شيء قدير](*)أنه كامل القدرة مستول على كل الممكنات بالقهر والقدرة والتكوين والإعدام ولا كمال أعلى وأعظم من حصول الكمال في هذه الصفات، والموصوف بهذه الكمالات يجب على كل عاقل أن يكون عبداً منقاداًله خاضعاً لأوامره ونواهيه محترزاً عن سخطه ونواهيه وبالله التوفيق"(٢).

وما قاله من أن ختم هذه الآيات بهذا الحشد من صفات الله يدفع العبد للخضوع لأمره واجتناب نهيه حق لا شك فيه .

(*) هذه الآية عامة في قدرة الله على كل شيء فتخصيصها بالممكنات ليس بمستقيم .

(١)مفاتيح الغيب ١٢٣/٧ .

(٢)المصدر السابق١٢٧/٧ .

الفصل السادس : الربط بين الآية والآية .

الربط بين الآية والآية .

إن الربط بين الآية والآية من الأنواع التي تعرض لها الرازي في كتابه بكثرة، وله في الربط طرق وأساليب من ذلك أنه يربط الآية بالآية التي تسبقها مباشرة أوتسبقها بعدة آيات ومن طرقه إيراد إشكال والإجابة عليه أو السؤال عن نظم الآية أي كيف انتظمت مع ماسبقها من آي أو السؤال عن وجه تعلقها بما قبلهابلفظ التعلق تارة أو بوجه الإتصال تارة أخرى.

واعتناء الرازي بربط الآية بالآية يتضح في مواطن عدة من تفسيره لسورة البقرة وهذه نماذج وأمثلة لذلك من خلال تفسيره لسورة البقرة وهي كما يلي :

١/ ألمح الرازي إلى اتصال قوله ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ *٢*]بقوله [الٓمٓ ﴿١﴾] حيث تسآل الرازي عن المشار إليه [بذلك] وذكر أجوبة في وجوه قال في خامسها: إن [ذلك] وقعت الإشارة به إلى [الم] بعدما سبق التكلم بها وانقضى والمنقضي في حكم المتباعد"(١).

وهذا بناء على أن[الم] آية مستقلة أوأنها اسم للسورة أو للقرآن.

٢/في ربط قوله تعالى ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

بقوله: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ قال الرازي :

عند قوله تعالى: ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

قال بعضهم :"يحتمل أن يكون كالتفسير لكونهم متقين وذلك لأن المتقى هو الذى يكون فاعلاً للحسنات وتاركاً للسيئات. أما الفعل فإماأن يكون فعل القلب وهو قوله [ٱلَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ] وإما ان يكون فعل الجوارح واساسه الصلاة والزكاة والصدقة"(١).

وهنا جعل الآية الثانية بياناً وتفسيراً للآية التي قبلها وعلى هذا فالربط قوي واضح فإن من التقوى الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٣/٢ .

* ذكر الرازي أن ترتيب الآي بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم

٣/ وفي ربط قوله تعالى :﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بقوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

قال الرازي : في كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها ثلاثة أوجه: أحدها - أن ينوى الإبتداء [بـ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وذلك لأنه لما قيل [هدى للمتقين] فخص المتقين بأن الكتاب هدى لهم كان لسائل أن يسأل فيقول :- ما السبب في اختصاص المتقين بذلك؟ فوقع قوله [الذين يؤمنون بالغيب]إلى قوله [وأولئك هم المفلحون]جواباً عن هذا السؤال كأنه قيل الذى يكون مشتغلا بالإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والفوز بالفلاح والنجاة لابد وأن يكون على هدى من ربه .

وثانيها :- أن يجعله تابعاً [للمتقين] ثم يقع الابتداء من قوله [أولئك على هدى من ربهم] كانه سئل عن سبب اختصاصهم بالهدى والجواب أنه غير مستبعد فوزهم دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا ...

ثالثها :- أن يجعل الموصول الأول صفة [للمتقين] ويرفع الثانى على الابتداء [وأولئك]خبره. ويكون المراد جعل إختصاصهم بالفلاح والهدى تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله تعالى"(١).

وواضح هنا أن الرازي ربط هذه الآية وما قبلها بأوجه ثلاثه :من غير ترجيح لأحدها.

الأول:- إجابة عن سؤال مقدر لبيان سبب اختصاص المتقين بذلك .

الثاني:- الإبتداء والإستئناف بقوله أولئك لاختصاصهم بالهدى

الثالث :-الإبتداء بالآية التي قبلها وهي قوله [وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ] فتكون [أُولَٰئِكَ] متممة لها .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٣/٢ بتصرف في بعضها .

٤/ وعن اتصال قوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

قال الرازي : اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنهم [لا يؤمنون]أخبر في هذه الآية بالسبب الذى لأجله لم يؤمنوا وهو الختم "(١).

وكلام الرازي هذا هو اقتناص حكيم للمناسبة حيث بين أن قوله تعالى[ختم الله على قلوبهم] ومابعدها سبب لما قبلها وهو من اتصال السبب بالمسبب .

٥/ وفي ربط قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾

بما ورد في وصف المؤمنين، ثم ماورد في وصف الكافرين في قوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾

قال الرازي:"اعلم أن المفسرين أجمعوا على أن ذلك في وصف المنافقين ثم ساق قول المفسرين :" وصف الله الأصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين، فبدأ بالمؤمنين المخلصين الذين صحت سرائرهم وسلمت ضمائرهم، ثم أتبعهم بالكافرين الذين من صفتهم الإقامة على الجحود والعناد، ثم وصف حال من يقول بلسانه أنه مؤمن وضميره يخالف ذلك"(٢).

والجامع هنا المضادة بين الأصناف المتقدمة أو الاستطراد لأن الحديث كان عن القرآن ثم استطرد بالحديث عن أقسام الناس فيه .

٦/ وعند قوله تعالى :﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

قال الرازي رحمه الله تعالى:"اعلم أن الله تعالى ذكر من قبائح المنافقين أربعة أشياء أحدها ما ذكره في هذه الآية وهو أنهم يخادعون الله والذين ءامنوا (٣).

وهكذا بينت هذه الآية صفة من صفاتهم القبيحة.

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٨/٢ .

(٢)انظر مفاتيح الغيب ٥٨/٢ .

(٣)مفاتيح الغيب ٦٣/٢ .

٧/ واعتبر قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾
النوع الثاني من قبائح أفعال المنافقين (١).
وبهذا يشير الرازي إلى أن من صفات المنافقين زيادة على المخادعة الإفساد مع ادعاء الإصلاح، وهذا حالهم في كل زمان كما هي حالهم في عصرنا لاكثرهم الله.

٨/ وعند قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾

قال الرازي : "اعلم أن هذا هو النوع الثالث من قبائح أفعال المنافقين وذلك لأنه سبحانه لما نهاهم في الآية المتقدمة عن الفساد في الأرض أمرهم في هذه الآية بالإيمان، لأن كمال حال الإنسان لا يحصل إلا بمجموع الأمرين"(٢).
ولذلك اهتم الإسلام ببيان حال العبد مع ربه وخالقه، ثم بيان حاله مع خلق الله تعالى .بل بدأ في هذه الآية بالأمر بمايتعلق بالخلق وهو من التخلية قبل التحلية.

٩/ وعند قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝١٤ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾
قال الرازي : - هذا هو النوع الرابع من أفعالهم القبيحه(٣).
وهذه أبرز سمة من سماتهم .

١٠/ وعند قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾

قال:" وأعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكى عنهم ذلك أجابهم بأشياء.
أحدها: قوله [اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ] (٤)
جملة مستأنفة جاءت مقابلة لهم بمثل مافعلوا مع المؤمنين .

---

(١) مفاتيح الغيب ٦٣/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٦٦/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٦٧/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٦٩/٢-٧٠ .

١١/ وفي ربط قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

قال الرازي :"اعلم أنه تعالى لما بين حقيقة صفات المنافقين عقبها بضرب مثلين زيادة في الكشف والبيان أحدهما هذا المثل"(١).

والمثل الثاني قوله تعالى :[أو كصيب من السماء ...الآية*١٩*]

قال الرازي :"اعلم أن هذا هو المثل الثاني للمنافقين"(٢).

والأمر كما أشار الرازي من أنه بعد أن بينت أوصافهم ووضح حالهم جاء التمثيل لزيادة الكشف والإيضاح .

١٢/ وعند قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ قال الرازي في الربط بما سبق:

إن الله تعالى لما قدم أحكام الفرق الثلاثة ،أعني المؤمنين والكفار والمنافقين أقبل عليهم بالخطاب وهو من باب الإلتفات المذكور في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ وذكر الرازي أن الآيات المتقدمة كانت في حكاية أحوالهم وأما هذه الآيات فإنها أمر وتكليف(٣).

وهذا يوضح صلة هذه الآية بما تقدمها من آي وأنه لما ذكر حال المؤمنين والكافرين والمنافقين جاء الخطاب عاماً لكل هؤلاء على سبيل الالتفات .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢/٧٢-٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٧ .

(٣) مفاتيح الغيب ٢/٨٢ .

١٣/ وربط قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

فقال في مناسبتها لما قبلها: "اعلم أنه سبحانه لما أقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع وأبطل القول بالشريك عقبه بما يدل على النبوة"(١).

وهذا من باب التتميم فإن الإقرار بالرسالة من تمام إقرار بالألوهية، ثم إن الرسالة سبيل لتوضيح الألوهية وتبينها.

١٤/ وفي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ عقب قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ وجه الربط بينهما أن في الآية الثانية وعد وفي الأولى وعيد، قال الرازي: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة تكلم بعدهما في المعاد وبين عقاب الكافر وثواب المطيع ومن عادة الله تعالى أنه إذا ذكر آية في الوعيد أن يعقبها بآية في الوعد"(٢).

والجامع في هذا الربط هو التقابل بين ما أعده للمؤمنين وما أعده للكافرين.

وهو يتضمن نوعاً من الاستطراد حيث أفاض في ذكر ما أعد للمؤمنين مع أن الحديث كان في شأن الكافرين.

---

(١) مفاتيح الغيب ١١٥/٢ .

(٢) المصدر نفسه ١٢٢/٢ .

١٥/ ربط الرازي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾٢٦ بما قبلها فقال:

"اعلم أنه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزاً أورد ههنا شبهة أوردها الكفار قدحا في ذلك، وأجاب عنها.

وتقرير الشبهة أنه جاء في القرآن ذكر النحل والذباب والعنكبوت والنمل(*) وهذه الأشياء لايليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها يقدح في فصاحته فضلا عن كونه معجزا فأجاب الله تعالى بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا كان ذكرها مشتملا على حكم بالغة قال: فهذا هو الإشارة إلى كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها"(١).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢/ ١٣١ - ١٣٢ .

(*) ولا يخفى أنه لم يتقدم في السورة ذكر للذباب والنحل وغيره . ويمكن استخلاص مناسبة من جامع البيان مما ساقه عن أهل التأويل في سبب نزولها وهو منقول عن ابن مسعود وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعنى قوله[مثلهم كمثل الذى استوقد نارا] وقوله[أو كصيب من السماء] الآيات الثلاث، قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله[إن الله لا يستحى ....الآية]إلى [هم الخاسرون] (جامع البيان ١/ ١٧٧) .

١٦/ اعتبر الرازي قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾

النعمة الأولى النعم التي عمت جميع المكلفين وهي أربع:

أولها/نعمة الإحياء وهي المذكورة في هذه الآية (١).

وابتدأ من هنا سرد النعم التي جاء سياقها في هذا الموضع .

١٧/ أما وجه اتصال قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ بماقبلها .وهو قوله ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾

فهو قول الرازي: "اعلم أن هذا هو النعمة الثانيه التي عمت المكلفين بأسرهم وما أحسن مارعى الله سبحانه وتعالى هذا الترتيب فإن الانتفاع بالأرض والسماء إنما يكون بعد حصول الحياة فلهذا ذكر الله أمر الحياة أولاً ثم أتبعه بذكر السماء والأرض" (٢).

والربط هنا من باب تعقيب السبب بالمسبب .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٢/ ١٤٩ .

(٢) انظر المصدر السابق٢/١٥٣ .

١٨/ وعند قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾

قال الرازي :" هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي أوردها في هذا الموضع، لأن الآية دالة على كيفية خلقه آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه فيكون ذلك إنعاماً عاما على جميع بني آدم"(١).

ولعله بعد أن امتن بتسخير مافي الأرض ذكر شأنهم وشأن أبيهم في السماء والأرض.

١٩/ وعن اتصال قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ بقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾

قال الرازي: "اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته وإسكانه تعالى إياهم في الأرض وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى [إني أعلم ما لا تعلمون] أراد تعالى أن يزيدهم بياناً وأن يفصل لهم ذلك المجمل فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام مالم يكن من ذلك معلوماً لهم وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي"(٢).

وهذا من التفصيل عقب الإجمال ويتضمن تعليل الاستخلاف المشار إليه في الآية السابقة.

وقد ربط الرازي قول الله تعالى :﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢﴾ بالآية التي قبلها بأوجه:

١- أن هذا اعتذار عن خطئهم في السؤال وهذا رجوع وتوبة واعتذار.

٢-أن هذا اعتراف بالعجز والتسليم بأنهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله.

٣- أن الله أخبرهم بأن من في الأرض سيفسدون فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥٩/٢ .

(٢) انظر المرجع نفسه١٧٥/٢ .

(٣) انظر المرجع نفسه ٢٠٩/٢ بتصرف .

٢٠/ وفي اتصال قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بقوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قال الرازي :"إن الله لما أمر الكل بالسجود لآدم وأبى إبليس السجود صيره الله ملعوناً،ثم أمر آدم بأن يسكنها مع زوجته"(١).

٢١/ وفي قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

قال الرازي :"إنما اكتفى الله تعالى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها كانت تبعاً له كما طوى ذكر النساء في القرآن والسنة كذلك،وقد ذكرها في قوله [قال ربنا ظلمنا أنفسنا]"(٢).

٢٢/ ثم ربط قوله تعالى ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ بقوله ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

فقال:"أن آدم وحواء لما أتيا بالزلة أمرا بالهبوط فتابا بعد الأمر بالهبوط ووقع في قلبيهما أن الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلة فبعد التوبة وجب أن لا يبقى الأمر بالهبوط فأعاد الله تعالى الأمر بالهبوط مرة ثانية ليعلما أن الأمر بالهبوط ما كان جزاء على ارتكاب الزلة حتى يزول بزوالها بل الأمر بالهبوط باق بعد التوبه لأن الأمر به كان تحقيقاً للوعد المتقدم في قوله [إني جاعل في الأرض خليفة]"(٣).

وهذه الآيات مرتبط بعضها ببعض لأنها في سياق قصة واحدة .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢/٣ .

(٢) المصدر نفسه ٢٦/٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢٦/٣ .

٢٣/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قال الرازي: "لما وعد الله متبع الهدى بالأمن من العذاب والحزن عقبه بذكر من أعد له العذاب الدائم فقال [والذين كفروا وكذبوا بآيتنا] سواء كانوا من الإنس أو من الجن فهم أصحاب العذاب الدائم"(١).

وهذا على سبيل المقابلة والتضاد فقد بدأ بأهل النعيم متبعي الهدى وبين أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم بين أن مصير الكافرين المكذبين، هو الخلود في النار.

٢٤/ وفي ربط قوله تعالى ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ بقوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أنه سبحانه ذكرهم تلك النعم أولا على سبيل الإجمال فقال [يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم] وفرع على تذكيرها الأمر بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال [وءامنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم] ثم عقبها بذكر الأمور التي تمنعهم عن الإيمان به(٢).

كقوله تعالى [وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ*٤٢*]وهذا على سبيل التفصيل عقب الإجمال.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٨/٣.

(٢) المرجع السابق ٢٩/٣.

٢٥/ وفي تعقيب قوله تعالى ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

قال الرازي: "اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما أمرهم بالإيمان أولاً ثم نهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمان دلائل النبوة ثانياً، ذكر بعد ذلك بيان مالزمهم من الشرائع وذكر من جملة الشرائع ماكان كالمقدم والأصل فيها وهو الصلاة التي هي أعظم العبادات البدنية والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية"(١).

بعد أن أجمل النهي والأمر بدأ في تفصيل الأوامر وهذا من التفصيل عقب الإجمال وبدأ بأصول العبادات البدنية، والمالية.

٢٦/ وزاد في حثهم على الطاعات بتعقيب قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ بقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

قال الرازي: "واعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ماخصهم به من النعم رغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر وهو أن التغافل عن البر مع حث الناس مستقبح في العقول إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره وأن ينصح غيره ويهمل نفسه فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٤/٣ .

(٢) المرجع نفسه ٤٦/٣ . ولعله خطاب لبعضهم بعد مخاطبة جميعهم، قال أبو السعود (أتأمرون الناس بالبر) تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بعد توجيهه إلى الكل (إرشاد العقل السليم ٩٧/١) .

٢٧/ ورجح اتصال قوله تعالى ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦﴾ بماقبلها وأنها خطاب لبني اسرائيل منتظمة مع السياق الذي هي فيه وذكر:" أن العلماء اختلفوا في المخاطبين بقوله سبحانه وتعالى [واستعينوا بالصبر والصلاة] على أقوال :

١- قال قوم هم المؤمنون بالرسول......،ولا يمتنع أن يكون الخطاب أولا في بني اسرائيل ثم يقع بعد ذلك خطاباً للمؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٢- قال الرازي:"والأقرب أن المخاطبين هم بنوا إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النظم".

ثم قال:" وعلى هذا نقول إنه لما أمرهم بالإيمان وبترك الاضلال وبالتزام الشرائع وهي الصلاة والزكاة وكان ذلك شاقاً عليهم لما فيه من ترك الرياسات والاعراض عن المال والجاه لاجرم عالج الله تعالى هذا المرض فقال [واستعينوا بالصبر والصلاة]"(١).

وفي أمرهم بذلك عقب الأوامر والنواهي حث على الصبر في ترك المعاصي وحث على الصبر في إمتثال الأوامر فإنه لابد للإنسان من صبر عن المعصية وصبر على الطاعة وفيما اختار مراعاة للسياق في قصة بني إسرائيل .

---

(١)مفاتيح الغيب ٣/٤٨- ٤٩ .

٢٨/ وعند قوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيداًللحجة عليهم وتحذيراً من ترك اتباع محمدصلى الله عليه وسلم ثم قرنه بالوعيد، وهو قوله[واتقوا يوماً] كأنه قال إن لم تطيعوني لأجل سوالف نعمتي عليكم فأطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل"(١).

هنا يلاحظ أن الرازي ربط هذه الآية بما سبقها مذكراً بأنها قد ذكرت من قبل وإنما أعيدت توكيداً للحجة وتحذيراًمن مخالفة النبي الخاتم، وربطها بالآية التالية لها فبين أنها جعلت كالوعيدالمترتب على حالهم في الآية السابقة، وهذا من الترهيب بعد الترغيب.

وفي الموضع السابق قال الرازي: "ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الإجمال ثانياً بقوله مرة أخرى [يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم]تنبيهاً على شدة غفلتهم،ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله [وأني فضلتكم على العلمين] مقروناً بالترهيب البالغ بقوله [واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً] إلى آخر الآية.

قال الرازي :"ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع"(٢).

وهذا يبين مدى إدراك الرازي للترابط وأثر ذلك في نفسه.

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٢/٣ .

(٢) المصدر نفسه ٢٩/٣ .

٢٩/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾
بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما قدم ذكر نعمه على بني إسرائيل إجمالاً بين بعد ذلك أقسام تلك النعم على سبيل التفصيل ليكون أبلغ في التذكير وأعظم في الحجة، فكأنه قال: اذكروا نعمتي واذكروا إذ نجيناكم، واذكروا إذ فرقنا بكم البحر والمذكور في هذه الآية هو الإنعام الأول"(١).

وفي كلامه المتقدم ربط لما قبلها بأنها تفصيل للنعم المشار إليها في آية الامتنان بالنعم وبما بعدها بأنها قسيمتها وألمح إلى شيء من مناسبة هذه الآية والتذكير بما فيها من النعم لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم في وجوه مجملها:

١- أن هذه الأشياء التي ذكرها الله تعالى لما كانت من أعظم ما يمتحن به الناس من جهة الملوك والظلمة صار تخليص الله إياهم من هذه المحن من أعظم النعم إضافة إلى معاينة هلاك عدوهم ومشاهدة ذلته.

٢- كأنه تعالى قال: لا تغتروا بفقر محمد وقلة أنصاره في الحال فإنه محق لا بد وأن ينقلب العز إلى جانبه والذل إلى جانب أعدائه قياساً على حالهم حينما كانوا في نهاية الذل وهم على الحق وخصمهم على الباطل وفي نهاية العز فذكرهم بهذا.

٣-أنه نبه سبحانه بذلك على أن الملك بيده يؤتيه من يشاء فليس للإنسان أن يغتر بعز الدنيا بل عليه السعي في طلب عز الآخرة(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٦٩/٣ .

(٢) المصدر نفسه ٦٩/٣-٧٠ .

٣٠/ وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أن هذا الإنعام الخامس"(١)، أي من الإنعامات على بني اسرائيل.

ثم ساق أمراً يتعلق بمنهجه في تبيين مناسبة الآي حيث يذكر رأي المفسرين القائلين في الآية بعدم الارتباط أوبالانقطاع عما يليها من آيات ثم يعقب عليه فاستمع إليه وهو يقول: قال بعض المفسرين: هذه الآية وما بعدها منقطعة عما تقدم من التذكير بالنعم وذلك لأنها أمر بالقتل والقتل لا يكون نعمة.

ثم إن الرازي علق على هذا بقوله: وهذا ضعيف من وجوه:- أحدها:- أن الله تعالى نبههم على عظم ذنبهم، ثم نبههم على مابه يتخلصون عن ذلك الذنب العظيم وذلك من أعظم النعم في الدين، وإذا كان الله تعالى قد عدد عليهم النعم الدنيوية فبأن يعدد عليهم هذه النعمة الدينية أولى، ثم إن هذه النعمة وهي كيفية هذه التوبة لما لم يكن وصفها إلا بمقدمة ذكر المعصية كان ذكرها أيضاً من تمام النعمة فصار كل ما تضمنته هذه الآية معدوداً في نعم الله فجاز التذكير بها.

وثانيها:- أن الله تعالى لما أمرهم بالقتل رفع ذلك الأمر عنهم قبل فنائهم بالكلية فكان ذلك نعمة في حق أولئك الباقين، وفي حق الذين كانوا موجودين في زمان محمد عليه الصلاة والسلام.

وثالثها:- أنه تعالى لما بين أن توبة أولئك ماتمت إلا بالقتل مع أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان يقول لهم لاحاجة بكم الآن في التوبة إلى القتل بل إن رجعتم عن كفركم وآمنتم قبل الله إيمانكم فكان بيان التشديد في تلك التوبة تنبيهاً على الإنعام العظيم بقبول مثل هذه التوبة السهلة الهينة.

ورابعها:- أن فيه ترغيباً شديداً لأمة محمد صلوات الله وسلامه عليه في التوبة، فإن أمة موسى عليه السلام لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلأن يرغب الواحد منا في التوبة التي هي مجرد الندم كان أولى، ومعلوم أن ترغيب الإنسان في ماهو المصلحة المهمة من أعظم النعم(٢).

وفيما قال الرازي بيان للمناسبة واستخلاص لحكم الآيات وغيرها.

---

(١) مفاتيح الغيب ٣/ ٧٩

(٢) انظر المصدر نفسه ٧٩/٣.

٣١/ حيث قال قوله تعالى ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ونقل الرازي عن القفال قوله: "إن فيما ذكره الله تعالى في هذه السورة من أقاصيص بني إسرائيل وجوهاً من المقصد، أحدها: الدلالة بها على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه اخبر عنها من غير تعلم".

وثانيها: تعديد النعم على بني إسرائيل وما من الله تعالى به على أسلافهم من أنواع الكرامة والفضل كالإنجاء من آل فرعون بعد ما كانوا مقهورين مستعبدين ونصرهه إياهم وجعلهم أنبياء وملوكا وتمكينة لهم في الأرض وفرقه بهم البحر وإهلاكه عدوهم وإنزاله النور والبيان عليهم بواسطة إنزال التوراة والصفح عن الذنوب التي ارتكبوها من عبادة العجل ونقض المواثيق ومسألة النظر إلى الله جهرة، ثم ما أخرجه لهم في التيه من الماء العذب من الحجر وإنزاله عليهم المن والسلوى ووقايتهم من حر الشمس بتظليل الغمام فذكرهم الله هذه النعم القديمة والحديثة.

وثالثها: إخبار النبى عليه عليه السلام بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاقهم وتعنتهم مع الأنبياء ومعاندتهم لهم وبلوغهم في ذلك مالم يبلغه أحد من الأمم قبلهم....

قال: "فكأن الله تعالى يقول إذا كانت هذه أفعالهم فيما بينهم ومعاملاتهم مع نبيهم الذي أعزهم الله به وأنقذهم من الرق والآفة بسببه فغير بديع مايعامل به أخلافهم محمداً عليه السلام.

الرابع: فيه تحذير أهل الكتاب الموجودين في زمنه عليه السلام

الخامس: فيه تحذير مشركي العرب أن ينزل عليهم مثل ذلك"(١).

---

(١) مفاتيح الغيب ٣/١٣٢-١٣٣ .

٣٢/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ بقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أن هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم"(١).

بعد فعلهم الأول وهو ما تضمنه قوله [أفتطمعون].

وقال الرازي: "اعلم أن هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم والمروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقي أهل الكتاب كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذى آمنتم به ونشهد أن صاحبكم صادق وأن قوله حق ونجده بنعته وصفته في كتابنا؛ ثم إذا خلا بعضهم إلي بعض قال الرؤساء لهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم في كتابه من نعته وصفته ليحاجوكم به، فإن المخالف إذا إعترف بصحة التوراة وإعترف بشهادة التوراة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا حجة أقوى من ذلك فلا جرم كان بعضهم يمنع بعضا من الاعتراف بذلك عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٣٦/٣ .

وعند هذه الآية قال ابن عاشور: "هذا اعتراض استطرادي بين القصة الماضية والقصة التي أولها [وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون] فجميع الجمل من قوله: [أفتطمعون - إلى قوله - وإذ أخذنا] داخلة في هذا الاستطراد." التحرير والتنوير ٥٦٦/١ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٣٧/٣ . وعند ابن جرير قريب منه ٣٦٩/١-٣٧٢ .

٣٣/ وعند مناسبة قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٧٦﴾

فللرازي فيه قولان، الأول: وهو قول الأكثرين إن اليهود كانوا يعرفون الله ويعرفون أنه تعالى يعلم السر والعلانية فخوفهم الله به.

الثاني: أنهم ما علموا بذلك فرغبهم بهذا القول في أن يتفكروا فيعرفوا أن لهم ربا يعلم سرهم وعلانيتهم وأنهم لا يأمنون حلول العقاب بسبب نفاقهم، وعلى القولين جميعا فهذا الكلام زجر لهم عن النفاق وعن وصية بعضهم بعضا بكتمان نبوة محمد، والأقرب أن اليهود المخاطبين بذلك كانوا عالمين بذلك (١).

وفي هذا تهديد لهم و بيان أن نفاقهم لا يخفى على الله تعالى وبيان أنهم وإن كانوا يعلمون لكن نفاقهم وكتمانهم الحق جعلهم بمنزلة من لا يعلم ذلك.

٣٤/ وعند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠﴾

قال الرازي: "اعلم أن هذا هو النوع الثالث من قبائح أقوالهم وأفعالهم وهو جزمهم بأن الله تعالى لا يعذبهم إلا أياماً قليلة" (٢).

ثم بين أن الله رد عليهم قولهم في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٨١﴾

حيث أن قوله تعالى: [بلى] إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله تعالى [لن تمسنا النار] أي بلى تمسكم أبداً بدليل قوله [هم فيها خالدون]

ونقل ذلك عن الزمخشري في قوله: "قال صاحب الكشاف [بلى] إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله تعالى [لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ] أي بلى تمسكم أبداً بدليل قوله [هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*٨١*]" (٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٧٣/٣-١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ١٤١/٣ .

(٣) المصدر نفسه ١٤٤/٣ .

٣٥/ وفي قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٨٢﴾ عقب قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٨١﴾

قال الفخر الرازي :"اعلم أنه سبحانه وتعالى ماذكر في القرآن آية في الوعيد إلا ويذكر بجانبها آية في الوعد وذلك لفوائد :-

أحدها : ليظهر بذلك عدله سبحانه لأنه لما حكم بالعذاب الدائم على المصرين على الكفر وجب أن يحكم بالنعيم الدائم على المصرين على الإيمان .

وثانيها :- أن المؤمن لابد وأن يعتدل خوفه ورجاءه على ماقال عليه الصلاة والسلام (لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا) وذلك الاعتدال لا يحصل إلا بهذا الطريق .

وثالثها :- أنه يظهر بوعده كمال رحمته ،وبوعيده كمال حكمته فيصير ذلك سبباً للعرفان(١).

٣٦/ ثم ساق قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝٨٣﴾

فقال:"اعلم أن هذا نوع آخر من أنواع النعم التي خصهم الله بها وذلك لأن التكليف بهذه الأشياء موصل إلى أعظم النعم وهو الجنة والموصل إلى النعمة نعمة، فهذا التكليف لامحالة من النعم ثم إنه تعالى بين ههنا أنه كلفهم بأشياء :عددها الرازي وهي مانصت عليه الآيات من عبادة الله ،والإحسان إلى الوالدين و الإحسان إلى من ذكر بعدهم ،ثم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة "(٢).

وبين أن هذه موصلة إلى الجنة فجعلت في سياق النعم من باب السببية .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦٢/٣ .وفيما تقدم إشارة واضحة إلى قاعدة مهمة من قواعد المناسبات في القرآن الكريم وهي أنه مايذكر في القرآن آية في الوعيد إلا ويذكر بجانبها آية في الوعد ثم بين فوائد ذلك .

(٢) انظر المصدر نفسه ١٦٤/٣- ١٦٩ .

(*)" لا أصل له في المرفوع وإنما يؤثر عن بعض السلف"قاله العجلوني في كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث بين الناس ص :١٦٦،ط،مكتبة القدسي ١٣٥٠هـ،القاهرة ، وانظر المقاصدالحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ص:٣٥٠، ت،عبدالله الغماري وعبدالوهاب عبد اللطيف ،ط،مكتبة الخانجي ١٣٧٥هـ،القاهرة .

٣٧/ أما قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

فقد ربطها الرازي بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى: [لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ*٨٣*].

فقال: "اعلم أن هذه الآية تدل على نوع آخر من نعم الله عليهم وهو أنه تعالى كلفهم هذا التكليف وأنهم أقروا بصحته ثم خالفوا العهد فيه" (١).

وهذا خطاب لعامة بني اسرائيل خوطب به الحاضرون.

٣٨/ وعند قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أن هذا نوع من قبائح اليهود" (٢).

ثم ربط قوله تعالى [فلعنة الله على الكافرين] بما قبلها قال: فإن قيل أليس أنه تعالى ذكر في الآية المتقدمة [وقولو للناس حسناً] من قوله تعالى: [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ *٨٢*]

وقال [ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم] قلنا: "العام قد يتطرق اليه التخصيص على أنا بينا فيما قبل أن لعن من يستحق اللعن من القول الحسن والله اعلم" (٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٧٠/٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٨٠/٣ ، وقد وضح الرازي وابن جرير أن المخاطب به اليهود والمقصود بالكتاب القرآن. جامع البيان ٤١٠/١ .

(٣) مفاتيح الغيب ١٨١/٣ .

٣٩/ قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

وقد تقدم قوله تعالى ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾.

قال الرازي :"اعلم أن تكرير هذه الآية يغني عن تفسيرها والسبب في تكريرها أنه تعالى لما حكى طريقة اليهود في زمان محمد صلى الله عليه وسلم ووصفهم بالعناد والتكذيب ومثلهم بسلفهم في قتلهم الأنبياء الذي يناسب التكذيب لهم بل يزيد عليه، أعاد ذكر موسى عليه السلام وما جاء به من البينات وأنهم مع وضوح ذلك أجازوا أن يتخذوا العجل إلهاً وهو مع ذلك صابر ثابت على الدعاء إلى ربه والتمسك بدينه وشرعه فكذلك القول في حال معكم وإن بالغتم في التكذيب والإنكار"(١).

٤٠/ وعند قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

وقد تقدم قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قال الرازي:"اعلم أن في الإعادة وجوهاً :

١-أن التكرار في هذا وأمثاله للتأكيد وإجاب الحجة على الخصم على عادة العرب .

٢-أنه إنما ذكر ذلك مع زيادة وهي قولهم [سمعنا وعصينا] وذلك يدل على نهاية لجاجهم"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب٣/١٨٧ .

(٢) انظرالمصدر نفسه ٣/١٨٧ .

٤١/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٩٥﴾

بقوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٤﴾

قال الفخر: "أما قوله تعالى: [ولن يتمنوه] فخبر قاطع عن أن ذلك لا يقع في المستقبل وهذا إخبار عن الغيب لأن مع توفر الدواعي على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وسهولة الإتيان بهذه الكلمة أخبر بأنهم لا يأتون بذلك فهذا إخبار جازم عن أمر قامت الأمارات على ضده فلا يمكن الوصول اليه إلا بالوحي"(١).

ولما أخبر بتقديمهم الدنيا على الآخرة وبين أنهم لا يتمنوا الموت أكد ذلك بما ورد في قوله تعالى: [ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة]

وقد بين الرازي ذلك في ربطه لقوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ بقوله ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٩٥﴾

حيث قال: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أخبر عنهم في الآية المتقدمة أنهم لا يتمنون الموت أخبر في هذه الآية أنهم في غاية الحرص على الحياة لأن ههنا قسما ثالثاً وهو أن يكون الإنسان بحيث لا يتمنى الموت ولا يتمنى الحياة فقال: [ولتجدنهم أحرص الناس على حياة"(٢).

وفي هذا تأكيد على ماتقدم من الاخبار بعدم تمنيهم الموت.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩٢/٣.

(٢) المصدر نفسه ١٩٢/٣.

٤٣/ وفي مناسبة قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

قال الرازي: "أما الآية الثانية: وهي قوله تعالى: [من كان عدواً لله وملائكته] فاعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى [من كان عدواً لجبريل] لأجل أنه نزل على قلب محمد، وجب أن يكون عدواً لله تعالى، بين في هذه الآية أن من كان عدواً لله كان عدواً له، فبين أن في مقابلة عداوتهم مايعظم ضرر الله عليهم وهو عداوة الله لهم لأن عداوتهم لا تؤثر ولا تنفع ولا تضر، وعداوته تعالى تؤدي إلى العذاب الدائم الأليم الذي لاضرر أعظم منه"(١).

وهكذا فإنه بين في الآية الأولى أن عداوتهم لجبريل خاصة لإنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم. فجاءت الآية الثانيه مبينة عداوة الله وملائكته لمن عادى رسله جبريل ومحمد صلوات الله عليهم وهذا من باب التلازم.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩٧/٣.

٤٤/ أما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝١٠٣﴾ لقوله تعالى:

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝١٠٢﴾

فقد قال الرازي: "اعلم أن الضمير عائد إلى اليهود الذين تقدم ذكرهم فانه تعالى لما بين فيهم الوعيد بقوله [ولبئس ماشروا به] أتبعه بالوعد جامعاً بين الترهيب والترغيب لأن الجمع بينهما أدعى إلى الطاعة والعدول عن المعصية".

واضح الجمع بين الترغيب والترهيب.

ثم بين أنهم دعوا للإيمان بما نبذوه حيث قال: "أما قوله تعالى [ءامنوا] فاعلم أنه تعالى لما قال [نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم] ثم وصفهم بأنهم اتبعوا ماتتلوا الشياطين وأنهم تمسكوا بالسحر قال من بعد [ولو أنهم ءامنوا] يعنى بما نبذوه من كتاب الله. فإن حملت ذلك على القرآن جاز، وإن حملته على كتابهم المصدق للقرآن جاز، وإن حملته على الأمرين جاز، والمراد من التقوى الاحتراز عن فعل المنهيات وترك المأمورات"(١).

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٣/٢٢٢-٢٢٣.

٤٥/ وفي اتصال قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ١٠٥

بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٠٤

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بين حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة حذر المؤمنين منهم فقال [مايود الذين كفروا] فنفى عن قلوبهم الود والمحبة لكل مايظهر به فضل المؤمنين"(١).

وبين الرازي مناسبة قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٦ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٠٤

قال الرازي: "اعلم أن هذا هو النوع الثاني من طعن اليهود في الإسلام، فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً وغداً يرجع عنه فنزلت هذه الآيه"(٢).

وهذا من طعن اليهود في دين الإسلام وهو مما يبين حسدهم للنبي وأتباعه.

٤٦/ وفي مناسبة قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ١٠٧

لقوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٦

قال: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بجواز النسخ عقبة ببيان أن ملك السموات والأرض له لا لغيره، وهذا هو التنبيه على أنه سبحانه وتعالى إنما حسن منه الأمر والنهي لكونه مالكاً للخلق وهذا هو مذهب أصحابنا."

وبهذا بين الرازي: أن مقتضى كونه مالكاً أن له الحكم والأمر ينسخ مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

---

(١) مفاتيح الغيب ٣/٢٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ٣/٢٢٦ .

(٣) المصدر نفسه ٣/٢٣٤ . ونقل عن القفال احتمال أن يكون هذا إشارة إلى أمر القبلة.

٤٧/ أما قوله تعالى : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

لقوله تعالى : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾

فقد نقل الرازي عمن سبقه وجه مناسبتها لما قبلها فقال:"ذكروا في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوهاً، أحدها:أنه تعالى لما حكم بجواز النسخ في الشرائع فلعلهم كانوا يطالبونه بتفاصيل ذلك الحكم فمنعهم الله تعالى عنها وبين أنهم ليس لهم أن يشتغلوا بهذه الأسئلة كما أنه ما كان لقوم موسى أن يذكروا أسئلتهم الفاسدة وثانيها: لما تقدم من الأوامر والنواهي قال لهم إن لم تقبلوا ما أمرتكم به وتمردتم عن الطاعة كنتم كمن سأل موسى ماليس له أن يسأله :عن أبي مسلم،وثالثها:لما أمر ونهى قال أتفعلون ما أمرتم أم تفعلون كما فعل من قبلكم من قوم موسى"(١).

وبناء على ربطها بالوجه الأول فهو توجيه لهم بما يصلح شأنهم وفي الثاني والثالث وعيد وتهديد لهم .

٤٨/ وفي مناسبة قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾

لقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

قال الرازي :"اعلم أنه تعالى أمر بالعفو والصفح عن اليهود،ثم عقبه بقوله تعالى[وأقيموا الصلواة وءاتوا الزكواة]تنبيها على أنه كما ألزمهم لحظ الغير وصلاحه بالعفو والصفح، فكذلك ألزمهم لحظ أنفسهم وصلاحها القيام بالصلاة والزكاة الواجبتين، ونبه بهما على ماعداهما من الواجبات"(٢).

وهذا يتضمن الأمر بالإحسان إلى النفس عقب الحث على الإحسان إلى الناس .

---

(١)مفاتيح الغيب٣/٢٣٦ .

(٢)المصدر نفسه٤/٢ .

٤٩/ ربط الرزي قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ بقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝١١٥﴾ ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝١١٦﴾.

بقوله: "اعلم أن هذا من تمام الكلام الأول، لأنه تعالى قال: [بل له ما في السموات والأرض] فبين بذلك كونه مالكاً لما في السموات والأرض " ثم بين بعده أنه المالك أيضاً للسموات والأرض، ثم إنه تعالى بين أنه كيف يبدع الشئ فقال [وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون](١).

وفي هذه الآيات بيان للملك والإبداع على سبيل الترقي.

٥٠/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝١١٨﴾

بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝١١٦﴾

قال الرازي: "إن الله تعالى لما حكى عن اليهود والنصارى والمشركين مايقدح في التوحيد وهو أنه تعالى أتخذ الولد، حكى عنهم ما يقدح في النبوة "(٢).

وواضح أن الطعن في التوحيد وما يتعلق بالرب يتبعه الطعن في النبوة بل هو مستلزم له.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٥/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٢٨/٤ .

٥١/ أما عن مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

فإن الفخر يقول: "اعلم أن القوم لما أصروا على العناد واللجاج الباطل واقترحوا المعجزات على سبيل التعنت بين الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه لامزيد على مافعله الرسول في باب الإبلاغ والتنبيه لكي لايكثر غمه بسب إصرارهم على كفرهم"(١).

هنا التفات بالخطاب إلى النبي مبيناً موقفه أمام تلك المطالب وأن مهمته محصورة في البشارة والنذارة.

٥٢/ وربط الرازي قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

حيث قال: "اعلم أنه تعالى لما صبر رسوله بما تقدم من الآية وبين أن العلة قد انزاحت من قبله لا من قبلهم وأنه لاعذر لهم في الثبات على التكذيب به، عقب ذلك بأن القوم بلغ حالهم في تشددهم في باطلهم وثباتهم على كفرهم أنهم يريدون مع ذلك أن يتبع ملتهم ولا يرضون منه بالكتاب بل يريدون منه الموافقة لهم فيما هم عليه فبين بذلك شدة عداوتهم للرسول وشرح مايوجب اليأس من موافقتهم"(٢).

ولما تقدم في الآية السابقة أن مهمة النبي البلاغ ولا يسأل عن أصحاب الجحيم وفي ذلك تيئيس من اتباعهم الحق بين في هذه الآية أنهم لن يرضوا عنه حتى يترك الحق ويتبع ماهم عليه .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٠/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٣١/٤ .

٥٣/ وربط الرازي قوله تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٣٤ بقوله تعالى :
﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ١٣٣

فقال:"أما قوله تعالى [تلك أمة قد خلت]فهو إشارة إلى من ذكرهم الله تعالى في الآية المتقدمة،وهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنوه الموحدون ....والمعنى أني اقتصصت عليكم أخبارهم وما كانوا عليه من الإسلام والدعوة إلى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون أن تفعلوا مافعلوه،فإن أنتم فعلتم ذلك انتفعتم وإن أبيتم لم تنتفعوا بأفعالهم"(١).

فذكر هنا أن من تقدم أمة على الإسلام والدعوة وإنما عليكم أنفسكم فالزموها الطاعة وهذا من تنويع الخطاب .

٥٤/ثم بين أن قول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٣٥
شبهة من شبه المخالفين الطاعنين في الإسلام"(٢).

وهي شبهة ضعيفة لأن الله ساقها بعد أن أظهر سبحانه تصريح الأنبياء أنهم على الإسلام وأن الخير في اتباع ملة إبراهيم عليه السلام .

---

(١)مفاتيح الغيب ٧٨/٤ .

(٢)المصدر نفسه ٨٠/٤ .

٥٥/ وفي اتصال قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾

بقوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾

بين الرازي المناسبة بقوله :"اعلم أنه تعالى لما أجاب بالجواب الجدلي أولا "(١).

ذكر بعده جواباً برهانياً في هذه الآية وهو:"أن الطريق إلى معرفة نبوة الأنبياء عليهم السلام ظهور المعجز عليهم،ولما ظهر المعجز على يد محمد صلى الله عليه وسلم وجب الاعتراف بنبوته والإيمان برسالته،فإن تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب المناقضة في الدليل وأنه ممتنع عقلا،فهذا هو المراد من قوله[قولوا ءامنا بالله وماأنزل الينا]الى آخر الآية، وهذا هو الغرض الأصلي من ذكر هذه الآية، فإن قيل:كيف يجوز الإيمان بإبراهيم وموسى وعيسى مع القول بأن شرائعهم منسوخة، قلنا:نحن نؤمن بأن كل واحد من تلك الشرائع كان حقاً في زمانه فلا يلزم منا المناقضة، أما اليهود والنصارى لما اعترفوا بنبوة بعض من ظهر المعجز عليه، وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع قيام المعجز على يده فحينئذ يلزمهم المناقضة فظهر الفرق"(٢).

وفي هذا تلازم فإن الكفر برسول واحد يقتضي الكفر بكل رسول ثم إنه لما بين ملة إبراهيم دعا الناس إلى اتباعها .

---

(١) وهو قوله:فان قيل أليس أن كل واحد من اليهود والنصارى يدعي أنه على دين إبراهيم عليه السلام ؟

وإجابته بقوله :قلنا لما ثبت أن إبراهيم كان قائلا بالتوحيد،وثبت أن النصارى يقولون بالتثليث،واليهود يقولون بالتشبيه،فثبت أنهم ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام،وأن محمداً عليه السلام لما دعا إلى التوحيد،كان هو على دين إبراهيم عليه السلام . انظر مفاتيح الغيب ٨٠/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٨٢/٤ .

٥٦/ وفي ربط قوله ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣٧﴾

بقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ١٣٦﴾

قال الرازي: "اعلم أنه لما بين الطريق الواضح في الدين وهو أن يعترف الإنسان بنبوة من قامت الدلالة على نبوته وأن يحترز في ذلك عن المناقضة رغبهم في مثل هذا الإيمان في قوله [فإن ءامنوا بمثل ما ءامنتم به فقد اهتدوا]"(١).

وهنا رد لما ادعوه في الآية التي قبلها فيما حكاه الله عنهم من قوله سبحانه [وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا]

وفيه دعوة وحث لهم على الإيمان وبيان حالهم عند الإيمان وحالهم عند عدمه.

٥٧/ وربط الرازي قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٤٢﴾ بقوله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦﴾

فقال: "اعلم أن هذا هو الشبهة الثانية من الشبه التي ذكرها اليهود والنصارى طعنا في الإسلام فقالوا: النسخ يقتضي إما الجهل أو التجهيل، وكلاهما لا يليق بالحكيم..(٢).

ثم بين أن غرضهم أن يتوصلوا بهذا الوجه إلى الطعن في الإسلام(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ٨٣/٤.

(٢) المصدر نفسه ٩٠/٤.

(٣) المصدر نفسه ٩١/٤.

أما الشبهة الأولى فهي ماتقدم في مناسبة قوله تعالى: [ما ننسخ من ءاية أوننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيءقدير*١٠٦*]

حيث قال الرازي: " اعلم أن هذا هو النوع الثاني من طعن اليهود في الإسلام، فقالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً وغداً يرجع عنه فنزلت هذه الآيه." المصدر نفسه ٢٢٦/٣.

وفي صـــ٢٣٤ نقل الرازي عن القفال احتمال أن يكون هذا إشارة إلى أمر القبلة.

٥٨/ وفي ربط قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ بقوله تعالى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٤٢﴾

قال الرازي:"اعلم أن في هذه الآية مسائل:

المسألة الأولى :-الكاف في[كذلك]كاف التشبيه والمشبه به أي شيء هو؟وفيه وجوه (أحدها)أنه راجع إلى معنى يهدي،أي كما أنعمنا عليكم بالهداية،كذلك أنعمنا عليكم بأن جعلناكم أمة وسطاً"

وثانيها :قول أبي مسلم وتقريره كما هديناكم إلى قبلة هي أوسط القبل وكذلك جعلناكم أمة وسطا

وثالثها: أنه عائد إلى ماتقدم من قوله في حق إبراهيم عليه السلام [ولقد اصطفيناه في الدنيا*١٣٠*] أي فكما اصطفيناه في الدنيا فكذلك جعلنكم أمة وسطاً.

ثم قال الرازي :"ورابعها: يحتمل عندي أن يكون التقدير [ولله المشرق والمغرب *١١٥*]فهذه الجهات بعد استوائها في كونها ملكاً لله وملكاً له خص بعضها بأن جعله قبلة فضلاً منه وإحساناً فكذلك العباد كلهم مشتركون في العبودية إلا أنه خص هذه الأمة بمزيد الفضل والعبادة فضلاً منه وإحساناً"(١).

---

(١)انظر مفاتيح الغيب ٩٦/٤-٩٧ .

٥٩/ وفي ربط قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)﴾

بقوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)﴾

قال الرازي:" اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أن هذه القبلة حق،بين بعد ذلك أن صفتهم لا تتغير في الاستمرار على المعاندة"(١).

ورجح الرازي أنها متصلة بما قبلها في السياق وليست نازلة على حادثة معينة وإن كان قد أورد ماقيل في سبب نزولها فقال :

"وروى أن يهود المدينة ونصارى نجران قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ائتنا بآية كما أتى الأنبياء قبلك فنزل الله تعالى هذه الآية".

ثم قال:" والأقرب أن هذه الآية مانزلت في واقعة مبتدأة بل هي من بقية أحكام تحويل القبلة"(٢).

وهكذا فإن الآية المتممة لما سبق ترتبط بما قبلها في سياق واحد والله أعلم .

---

(١)المصدر نفسه ١٢٤/٤ .

(٢)المصدر نفسه ١٢٦/٤ .

٦٠/ وفي مناسبة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

أشار الرازي إلى أنها تبنى على مايعود عليه الضمير في قوله: [يعرفونه] فقال: الضمير في قوله [يعرفونه] إلى ماذا يرجع ؟ ثم قال: ذكروا فيه وجوهاً

أرجحها: "أنه عائد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يعرفونه معرفة جلية، يميزون بينه وبين غيره كما يعرفون أبنائهم، لا تشتبه عليهم وأبناء غيرهم.

وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته معلوم بغير إعلام".

قال الرازي: "وعلى هذا القول أسئلة.

السؤال الأول: أنه لا تعلق لهذا الكلام بما قبله من أمر القبلة.

الجواب: أنه تعالى في الآية المتقدمة لما حذر أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن اتباع اليهود والنصارى بقوله [ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك لمن الظالمين] أخبر المؤمنين بحاله عليه الصلاة والسلام في هذه الآية فقال: اعلموا يامعشر المؤمنين أن علماء أهل الكتاب يعرفون محمداً وما جاء به وصدقه ودعوته وقبلته لا يشكون فيه كما لا يشكون في أبنائهم" (١).

(١) مفاتيح الغيب ١٢٨/٤ .

وذكر الرازي أن القول الثاني هو: أن الضمير من قوله تعالى: [يعرفونه] راجع إلى أمر القبلة: أي علماء أهل الكتاب يعرفون أمر القبلة التي نقلت إليها كما يعرفون أبناءهم وهو قول ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد.

قال: " واعلم أن القول الأول أولى من وجوه (أحدها) أن الضمير إنما يرجع إلى مذكور سابق وأقرب المذكورات العلم في قوله [من بعد ما جاءك من العلم] والمراد من ذلك العلم: النبوة. فكأنه تعالى قال: إنهم يعرفون ذلك العلم كما يعرفون أبنائهم، وأما أمر القبلة فما تقدم ذكره البتة (وثانيها) أن الله تعال ما أخبر في القرآن أن أمر تحويل القبلة مذكور في التوراة والإنجيل، وأخبر فيه أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مذكورة في التوراة والإنجيل، فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى (وثالثها) أن المعجزات لا تدل أول دلالتها إلا على صدق محمد عليه السلام، فأما أمر القبلة فذلك إنما يثبت لأنه أحد ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى"(١).

وما تقدم يبين طريقة الرازي في بيان وجه المناسبة حيث يورد السؤال عن التعلق ويذكر الأقوال فيه ثم يرجح معتمداً في ترجيحه على نظم الآيات وسياقها .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٢٨/٤-١٣٠ .

٦١/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ١٥١﴾ بقوله تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٠﴾

فقد قال الرازي:"أما قوله تعالى [كما أرسلنا] هذا الكاف إما أن يتعلق بما قبله أو بما بعده، فان قلنا:إنه متعلق بما قبله ففيه وجوه (الأول)أنه راجع إلى قوله[ولأتم نعمتي عليكم]أي ولأتم نعمتى عليكم في الدنيا بحصول الشرف، وفي الآخرة بالفوز بالثواب، كماأتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول.

الثاني - أن إبراهيم عليه السلام قال :[رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتك *١٢٩*] وقال أيضاً [ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا *١٢٨*] فكأنه تعالى قال : ولأتم عليكم نعمتي ببيان الشرائع وأهديكم إلى الدين إجابة لدعوة إبراهيم كما أرسلنا فيكم رسولاً إجابة لدعوته عن ابن جرير .

الثالث - قول أبي مسلم الأصفهاني وهو أن التقدير وكذلك جعلناكم أمة وسطا كما أرسلنا فيكم رسولا أي كما أرسلنا فيكم رسولاً من شأنه وصفته كذا وكذا فكذلك جعلناكم أمة وسطاً .

وأما إن قلنا إنه متعلق بما بعده، فالتقدير:كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يعلمكم الدين والشرع فاذكروني أذكركم، وهو اختيار الأصم.

ثم نقل عن القاضي قوله: والوجه الأول أولى لأنه قبل الكلام إذا وجد مايتم به الكلام من غير فصل فتعلقه به أولى .ثم ذكر أن في وجه التشبيه قولان :إن قلنا الكاف متعلق بقوله [ولأتم نعمتي] كان المعنى أن النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة لأنه تعالى يفعل الأصلح،وإن قلنا إنه متعلق بقوله تعالى [اذكروني] دل ذلك على أن النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بالرسالة"(١).

وهكذا نقل الرازي أقوالاً في وجه اتصال هذه الآية ثم رجح أحدها معتمداً على نظم الآية وسياقها.

---

(١)مفاتيح الغيب ١٤٢/٤-١٤٣ .

٦٢/أما ربط قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ بقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾

فقال فيه الفخر الرازي: "اعلم أنه تعالى لما أوجب بقوله [فاذكروني] جميع العبادات، وبقوله [واشكروا لى] مايتصل بالشكر أردفه ببيان ما يعين عليهما فقال [استعينوا بالصبر والصلاة] وإنما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات، أما الصبر فهو قهر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى وتوطينها على تحمل مشاق وتجنب الجزع، ومن حمل نفسه وقلبه على هذا التذليل سهل عليه فعل الطاعات وتحمل المشاق العبادات، وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم، ومنهم من حمله على الجهاد لأنه تعالى ذكر بعده ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ﴾ ...، *١٥٤*] ...إلا أن القول الذى اخترناه أولى لعموم اللفظ وعدم تقييده"(١).

وهنا ذكر أوجهاً في مناسبة هذه الآية واختار أحدها لعمومه.

(١) مفاتيح الغيب ٤/١٤٤-١٤٥

٦٢/ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

قال الرازي :"ووجه تعلق الآية بما قبلها كأنه قيل :استعينوا بالصبر والصلاة في إقامة ديني،فان احتجتم في تلك الإقامة إلى مجاهدة عدوي بأموالكم وأبدانكم ففعلتم ذلك فتلفت نفوسكم فلا تحسبوا أنكم ضيعتم أنفسكم بل اعلموا أن قتلاكم أحياء عندي"(١).

وقد صرح في هذا الموطن بوجه التعلق والرازي يفعل ذلك في مواضع عده وفي هذه المناسبة إشارة إلى أن إقامة الدين تحتاج إلى جهاد في سبيل الله ولعل في ختم الآية الأولى بقوله [إن الله مع الصبرين] تأكيد على هذا.

٦٣/أما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

فقد نقل الرازي:عن القفال أنه قال:"هذا متعلق بقوله[واستعينوا بالصبر والصلاة]أي استعينوا بالصبر والصلاة فإنا نبلوكم بالخوف وبكذا"(٢).

وهكذا لما أمر بالصبر عقبها بذكر أمور مما ينبغي أن يصبر فيها وعليها.

٦٤/ ثم ربط الرازي قوله تعالى :﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ بقوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

فقال :"اعلم أنه تعالى لما قال [وبشر الصبرين]بين في هذه الآية أن الإنسان كيف يكون صابراً وأن تلك البشارة كيف هي"(٣).

وقد بين ذلك بقوله ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴿١٥٧﴾﴾ وهذا من تمام الكلام وبيانه بعد الإجمال ؛فإن هذه الآية وضحت كيفية الصبر وثوابه.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤٥/٤ .

(٢) المصدر نفسه ١٤٩/٤ .

(٣) المصدر نفسه ١٥٤/٤ .

٦٥/ وفي اتصال قوله تعالى: [إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ بما قبلها

قال الرازي: "اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجوه أحدها:-أن الله تعالى بين أنه إنما حول القبلة إلى الكعبة ليتم إنعامه على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته بإحياء شرائع إبراهيم ودينه على ماقال [وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴿١٥٠﴾ للآية] وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر إبراهيم على ماذكر في قصة بناء الكعبة وسعي هاجر بين الجبلين فلما كان الأمر كذلك ذكر الله تعالى هذا الحكم عقيب تلك الآية.

وثانيها:-أنه تعالى لما قال [ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع] إلى قوله [وبشر الصابرين*١٥٥*] قال [إن الصفا والمروة من شعائر الله] وإنما جعلهما كذلك لأنهما من آثار هاجر وإسماعيل مما جرى عليهما من البلوى واستدلوا بذلك على أن من صبر على البلوى لا بد وأن يصل إلى أعظم الدرجات وأعلى المقامات.

وثالثها:- أن أقسام تكليف الله تعالى ثلاثة (أحدها) ما يحكم العقل بحسنه في أول الأمر فذكر هذا القسم أولا وهو قوله فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ فإن كل عاقل يعلم أن ذكر المنعم بالمدح والثناء والمواظبة على شكره أمر مستحسن في العقول (وثانيها) ما يحكم العقل بقبحه في أول الأمر إلا أنه بسبب ورود الشرع به يسلم حسنه وذلك مثل إنزال الآلام والفقر والمحن فان ذلك كالمستقبح في العقول لأن الله تعالى لا ينتفع به ويتألم العبد منه فكان ذلك كالمستقبح إلا أن الشرع لما ورد به وبين الحكمة فيه ،وهي الابتلاء والامتحان على ماقال [وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ *١٥٥*] فحينئذ يعتقد المسلم حسنه وكونه حكمة وصواباً (وثالثها) الأمر الذي لا يهتدى لا إلى حسنه ولا إلى قبحه ،بل يراه كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة وهو مثل أفعال الحج من السعي بين الصفا والمروة ،فذكر الله تعالى هذا القسم عقيب القسمين الأولين ليكون قد نبه على جميع أقسام تكاليفه وذاكراً لكلها على سبيل الاستيفاء والاستقصاء والله أعلم (١).

وهذه ثلاثة أوجه قد يكون الأول أقربها لأن فيه إشارة إلى أن السعي بين الصفا والمروة تشريع من الله كالقبلة التي شرعها الله والله أعلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ٤/١٥٦-١٥٧ .

٦٦/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ بقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بين عظيم الوعيد في الذين يكتمون ما أنزل الله كان يجوز أن يتوهم أن الوعيد يلحقهم على كل حال، فبين تعالى أنهم إذا تابوا تغير حكمهم، ودخلوا في أهل الوعيد" (والصواب الوعد) (١).

وفي هذا تذكير لهم وحث على المبادرة بالرجوع والندم والتوبة.

٦٧/ وفي ربط قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ بقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾

قال الرازي: "اعلم أن ظاهر قوله تعالى[إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار] عام في حق كل من كان كذلك فلا وجه لتخصيصه ببعض من كان كذلك، وقال أبو مسلم: يجب حمله على الذين تقدم ذكرهم، وهم الذين يكتمون الآيات، واحتج عليه بأنه تعالى لما ذكر حال الذين يكتمون ثم ذكر حال التائبين منهم، ذكر أيضاً حال من يموت منهم غير توبة، وأيضاً أنه تعالى لما ذكر أن أولئك الكاتمين ملعونون حال الحياة، بين في هذه الآية أنهم ملعونون أيضاً بعد الممات (والجواب عنه) أن هذا إنما يصح متى كان الذين يموتون من غير توبة لا يكونون داخلين تحت الآية الأولى، فأما إذا دخلوا تحت الأولى: استغنى عن ذكرهم فيجب حمل الكلام على أمر مستأنف" (٢).

وهنا رد الرازي قول أبي مسلم من أنها متصلة بما قبلها وأنها تتعلق به مباشرة واعتبرها أمراً عاما مستأنفا وما قبلها في حكم الكافرين في أمر خاص لكن هذا لا يمنع من وجود تناسب وهو أنه لما تطرق لحال من يكتم البينات وأنهم يستحقون اللعن بسبب كتمهم، بين المستحقون للعن الله والملائكة في كل أحوالهم وهم الكافرون.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦٥/٤، التصويب من مخطوطة مكتبة الحرم المكي ٢٤٦/١.

(٢) المصدر نفسه ١٦٦/٤.

٦٨/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾
بقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولاً وعلى توحيده وبراءته عن الأضداد والأنداد ثانياً" (١).

وهذا على التفصيل عقب الإجمال فإنه لما حكم بالإلهية لله وحده ووصفه بأنه الرحمن الرحيم ساق الأدلة على ذلك لينتفع بها كل عاقل.

٦٩/ وفي ربط قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾
بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلائل القاهرة القاطعة أردف ذلك بتقبيح مايضاد التوحيد لأن تقبيح ضد الشيء مما يؤكد حسن الشيء ؛ ولذلك قال الشاعر: وبضدها تتبين الأشياء.

وقالوا: أيضاً النعمة مجهولة، فإذا فقدت عرفت، والناس لا يعرفون قدر الصحة، فإذا مرضوا ثم عادت الصحة إليهم عرفوا قدرها، وكذا القول في جميع النعم، فلهذا السبب أردف الله تعالى الآية الدالة على التوحيد بهذه الآية" (٢).

وهنا صرح بأن الجامع هو التضاد بين من آمن بالله وحده ومن اتخذ من دون الله أنداداً يحبهم كحب الله ثم حشد أمثلة وشواهد للتضاد ومن هذه الآية إشارة إلى ماتضمنته الآية السابقة من أنه لا ينتفع بالآيات السابقة إلا ذوو العقول والألباب الراشدة وأن من الناس مع هذه الآيات والدلائل من يتخذ من دون الله أنداداً.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٧٨/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٢٠٤/٤ .

٧٠/ وفي ربط قوله تعالى :[إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

قال الرازي :"اعلم أنه تعالى لما بين حال من يتخذ من دون الله أنداداً بقوله[ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب]على طريق التهديد زاد في هذا الوعيد بقوله تعالى [إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا] فبين أن الذين أفنوا عمرهم على عبادتهم واعتقدوا أنهم أوكد أسباب نجاتهم فانهم يتبرؤن منهم عند احتياجتهم إليهم"(١).

ونظيره قوله تعالى:[يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً]وقال أيضاً:[الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين]وقال:[كلما دخلت أمة لعنت أختها]وحكى عن إبليس أنه قال[إني كفرت بما أشركتموني من قبل](١)

وهنا بين أن هذا زيادة في الوعيد على ما تقدم، ثم إن هذا مما يكون في يوم القيامة فبعد رؤية العذاب تحصل براءة المتبوعين من الأتباع .

وفي مناسبة اتصال قوله تعالى:
إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾
بقوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾

قال الرازي:"وأما قوله تعالى [إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون]فهذا كالتفصيل لجملة عداوته وهو مشتمل على أمور ثلاثه: وهي ١- السوء.٢- الفحشاء.٣- أن تقولوا على الله ما لا تعلمون"(٢).

وهذا الترابط من باب التفصيل بعد الإجمال فأنه سبحانه لما نهى عن اتباع سبل الشيطان وأنه عدو بين سبحانه طرق عداوته .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢١٠/٤ .

(٢)انظر المصدر نفسه ٤/٥ .

٧١/ وفي مناسبة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

قال الرازي: " إنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان، تنبيها على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد، وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال، وترك التعويل على ما يقع في الخاطر من غير دليل، أو على ما يقوله الغير من دليل" (١).

وقال الرازي: "اعلم أنهم اختلفوا في الضمير في قوله [لهم] على ثلاثة أقوال: (أحدها) أنه عائد على [من] في قوله [مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا *١٦٥*] وهم مشركوا العرب، وقد سبق ذكرهم (وثانيهما) يعود على [الناس] في قوله: [يَا أَيُّهَا النَّاس *١٦٨*] فعدل عن المخاطبة إلى المغايبة على طريق الالتفات مبالغة في بيان ضلالهم، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون (وثالثها) قال ابن عباس نزلت في اليهود، وذلك حين دعاهم رسول الله إلى الاسلام، فقالوا: نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا خير منا، وأعلم منا، فعلى هذا الآية مستأنفة" (٢).

ومن طرق الربط إرجاع ضمير في آية متآخية على آية قبلها ومن خلال ما تقدم عند هذه الآية ذكر الرازي أوجهاً أن منها سبب نزول فهي مستأنفة ولا يلزم البحث لها عن مناسبة أو أنها ترجع إلى مذكور متقدم فهي مرتبطة بالآية نفسها.

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٧/٥.

(٢) المصدر نفسه ٦/٥.

٧٢/ وفي ربط قوله تعالى :
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾
بقوله : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾

قال الفخر الرازي :"اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله تركوا النظر والتدبر، وأخلدوا إلى التقليد، وقالوا [بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا]ضرب لهم هذا المثل تنبيهاً للسامعين لهم إنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين،فصيرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام، ومثل هذا المثل يزيد السامع معرفة بأحوال الكفار، ويحقر إلى الكافر نفسه إذا سمع ذلك، فيكون كسراً لقلبه،وتضييقاً لصدره، حيث صيره كالبهيمة فيكون في ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه عن أن يسلك مثل طريقه في التقليد"(١).

فقد بين الرازي وجه الربط وهو أنه سبحانه لما أخبر بأنهم لا يعقلون ولا يهتدون في الآية الأولى ضرب لهم مثلاً يبين حقيقة حالهم في الآية الثانية وفي التمثيل تقريب وتوضيح للحال.

٧٣/ وفي مناسبة قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾
لقوله تعالى :
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾

قال الرازي :"إنه سبحانه وتعالى لما أمرنا في الآية السالفة بتناول الحلال فصل في هذه الآية أنواع الحرام"(٢).

وفي هذا مناسبة على سبيل المضادة وانظر كيف ذكر الله ما أباح وهو كثير ثم عقبه بما حرم وهو قليل وفي ذلك من الرحمة والبر ما فيه.

---

(١) مفاتيح الغيب ٥/٧ .

(٢)انظر المصدر السابق ٥/١٠ .

٧٤/ وفي ربط قوله تعالى :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ۝١٧٥﴾

بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٤﴾

قال الرازي :"اعلم أنه تعالى لما وصف علماء اليهود بكتمان الحق وعظم في الوعيد عليه، وصف ذلك الجرم ليعلم أن ذلك العقاب انما عظم لهذا الجرم العظيم"(١).

وفيما ذكر الرازي كانت الآية الثانية مبينة لسبب الوعيد الذي تضمنته الآية الأولى.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/٥ .

٧٥/ وفي اتصال قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ بقوله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾

قال الرازي :"اختلفوا في أن قوله [ذلك] إشارة إلى ماذا فذكروا وجهين :

الأول :- أنه إشارة إلى ماتقدم من الوعيد لأنه تعالى لما حكم على الذين يكتمون البينات بالوعيد الشديد بين أن ذلك الوعيد على ذلك الكتمان إنما كان لأن الله نزل الكتاب بالحق في صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأن هؤلاء اليهود والنصارى لأجل مشاقة الرسول يخفونه ويوقعون الشبهة فيه فلاجرم استحقوا ذلك الوعيد الشديد .

الثاني: إشارة إلى مايفعلونه من جراءتهم على الله في مخالفتهم أمر الله وكتمانهم ماأنزل الله فبين تعالى أن ذلك من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق وقد نزل فيه أن هؤلاء الرؤساء من أهل الكتاب لايؤمنون ولاينقادون ولا يكون منهم إلا الإصرار على الكفر كما قال [إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون]"(١).

٧٦/ وقد ربط الرازي قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾

فقال:"اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أوجب في الآية المتقدمة القصاص وكان القصاص من باب الإيلام توجه فيه سؤال وهو أن يقال كيف يليق بكمال رحمتة إيلام العبد الضعيف ؟ فلأجل دفع هذا السؤال ذكر عقيبه حكمة شرع القصاص فقال [ولكم في القصاص حياة]"(٢).

ووجه الاتصال هو انبعاث سؤال جاء جوابه في الآية الثانية وبيان لحكمة الله في شرع القصاص .

---

(١)مفاتيح الغيب ٣٢/٥ . وفي هذا الموضع ربط الرازي الآيتين ببيان مرجع الإشارة فعلى هذا القول يكون ربطها بالآية التي تسبقها مباشرة، ولايظهر في الوجه الثاني وجه إرتباط والله أعلم .

(٢)المصدر نفسه ٥٦/٥ .

٧٧/ وفي ربط قوله تعالى:
﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾
بقوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾

قال الرازي :"اعلم أنه تعالى لما ذكر أمر الوصية ووجوبها، وعظم أمرها، أتبعه بما يجرى مجرى الوعيد في تغييرها"(١).

وهذا من تعقيب الاحكام بالوعيد من أجل القيام بها وأداءها بتمامها.

٧٨/ وفي ربط قوله تعالى : ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾ بقوله تعالى :﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١﴾

قال الرازي :" اعلم انه تعالى لما توعد من يبدل الوصية، بين أن المراد بذلك التبديل أن يبدله عن الحق إلى الباطل، أما إذا غيره عن باطل إلى حق على طريق الإصلاح فقد أحسن، وهو المراد من قوله [فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم] لأن الإصلاح يقتضى ضربا من التبديل والتغيير فذكر تعالى الفرق بين هذا التبديل وبين ذلك التبديل الأول بأن أوجب الإثم في الأول وأزاله عن الثانى بعد إشتراكهما في كونهما تبديلين وتغييرين، لئلا يقدر أن حكمهما واحد في هذا الباب"(٢).

وقد بين وجه الربط وهو أن الإصلاح يقتضي نوعاً من التبديل يستثنى من التبديل المتوعد عليه الذي تضمنته الآية السابقة .فالتبديل المنهي عنه في الآية الأولى عام يستثنى منه التبديل الذي تضمنته الآية الثانية.

---

(١) مفاتيح الغيب ٦٣/٥ .

(٢) المصدر نفسه ٦٥/٥ .

٧٩/ ربط الرازي قوله تعالى : ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤﴾ بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾

فقال :"قال بعض المحققين يجوز أن يكون قوله [أياماً معدودات] من صلة قوله [كما كتب على الذين من قبلكم] وتكون المماثلة بين الفرضين من هذا الوجه، وهو تعليق الصوم بمدة غير متطاولة وإن اختلفت المدتان في الطول والقصر، ويكون المراد ماذكرناه من تعريفه سبحانه إيانا أن فرض الصوم علينا وعلى من قبلنا ما كان إلا مدة قليلة لا تشتد مشقتها، فكان هذا بياناً لكونه تعالى رحيماً بجميع الأمم، ومسهلاً أمر التكاليف على كل الأمم"(١).

فيكون في هذا مناسبة من باب التماثل والتناظر بين صوم هذه الأمة وصوم الأمم قبلها ومتضمنة ماأشار إليه من فوائد .

٨٠/ أما وجه اتصال قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ﴾ بقوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ﴾ الآية ١٨٤] فقد بينه الرازي عند تقرير أن المقصود بالأيام المعدودات هي شهر رمضان لأنه تعالى قال :[كتب عليكم الصيام] وهذا محتمل ليوم ويومين وأيام ، ثم بينه بقوله تعالى [أياماً معدودات] فزال بعض الاحتمال ، ثم بينه بقوله [شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن] قال فعلى هذا الترتيب يمكن جعل الأيام المعدودات بعينها شهر رمضان وإذا أمكن ذلك فلا وجه لحمله على غيره ثمقال : فكانت الآية الثانيه ناسخة لحكم هذه الآية وفيه إشكال وهو أنه كيف يصح أن يكون قوله [فمن شهد منكم الشهر فليصمه] ناسخاً للتخير مع إتصاله بالمنسوخ وذلك لايصح وجوابه أن الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول وهذا كما قاله الفقهاء في عدة المتوفى عنها زوجها أن المقدم في التلاوة وهو الناسخ والمنسوخ متأخر وهذا ضد مايجب أن يكون عليه حال الناسخ والمنسوخ فقالوا إن ذلك في التلاوة أما في الإنزال فكان الاعتداد بالحول هو المتقدم والآية الداله على أربعة أشهر وعشر هي المتأخرة فصح كونها ناسخة وكذلك نجد في القرآن آية مكيه متأخره في التلاوة عن الآية المدنية وذلك كثير"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٧٣/٥ .

(٢) المصدر نفسه ٧٢/٥-٧٣ .

٨١/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾

بقوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٨٥﴾

قال الرازي :"في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه (الأول)أنه تعالى لما قال بعد إيجاب فرض الصوم وبيان أحكامه [ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون] فأمر العبد بالتكبير الذي هو الذكر والشكر، بين أنه سبحانه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع على ذكره وشكره فيسمع نداءه ،ويجب دعاه ،ولا يخيب رجاءه.

(والثاني)أنه أمر بالتكبير أولا ثم رغبه في الدعاء ثانياً، تنبيهاً على أن الدعاء لابد وأن يكون مسبوقاً بالثناء الجميل.

(الثالث)أن الله تعالى لما فرض عليهم الصيام كما فرض على الذين من قبلهم، وكان ذلك على أنهم إذا ناموا حرم عليهم مايحرم على الصائم ،فشق ذلك على بعضهم حتى عصوا الله في ذلك التكليف، ثم ندموا وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن توبتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية مخبراً لهم بقبول توبتهم ،ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم "(١).

وهذه الأوجه مبينة لاتصال هذه الآية بما قبلها وأقربها الأول والثاني وقد أوردها الرازي في تبين كيفية اتصالها بما قبلها .

---

(١) مفاتيح الغيب ٥ /٩٤ .

٨٢/ وفي مناسبة قوله تعالى : ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ لقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾

قال الرازي:"إنه تعالى أمر بالاستقامة في الآية المتقدمة بالتقوى في طريق معرفة الله تعالى فقال[وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البوت من أبوبها] وأمر بالتقوى في طريق طاعة الله، وهو عبارة عن ترك المحظورات وفعل الواجبات فالاستقامة علم، والتقوى عمل، وليس التكليف إلا في هذين، ثم لما أمر في هذه الآية بأشد أقسام التقوى وأشقها على النفس، وهوقتل أعداء الله قال[وقتلوا في سبيل الله]"(١).

وجهه أنه بعض مما تقدم فقد تقدم الأمر بالتقوى عامة وأمر هنا بالجهاد وهو من أشق أنواع التقوى وأعلاها فهو من تخصيص البعض بالذكر لأهميته عقب ذكر الكل .

٨٣/ وربط أيضاً بقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾

قال الرازي :"اعلم أن الله تعالى لما أباح القتال وكان ذلك منكراً فيما بينهم ذكر في هذه الآيه مايزيل ذلك فقال [الشهر الحرام بالشهر الحرام]"(٢).

ووجهه أنه لما كان منكراً كان في الشهر الحرام أشد نكارة لكن الله أباحه عند الاعتداء حتى في الزمن الحرام .

---

(١)مفاتيح الغيب ١٢٧/٥ .

(٢)المصدر نفسه ١٣٤/٥ .

٨٤/ وربط الرازي قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها.... أنه تعالى لما أمر بالقتال والاشتغال بالقتال لايتيسر إلا بالالات وأدوات يحتاج فيها إلى المال، وربما كان ذو المال عاجزاً عن القتال وكان الشجاع القادر على القتال فقيراً عديم المال، فلهذا أمر الله تعالى الأغنياء بأن ينفقوا على الفقراء الذين يقدرون على القتال"(١).

وعند هذه الآية صرح الرازي بوجه التعلق وهو ذكر الملزوم بعد اللازم بجامع التلازم لإنه لابد للجهاد من نفقة وهي ماأمر بها عقب الأمر بالجهاد.

٨٥/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أنه لما ذكر ما يتعلق بالمشعر الحرام لم يذكر الرمي لوجهين:

١-أن ذلك كان أمراً مشهوراً فيما بينهم وما كانوا منكرين لذلك إلا أنه تعالى ذكر ما فيه من ذكر الله لأنهم كانوا لايفعلونه.

٢- لعله إنما لم يذكر الرمي لأن في الأمر بذكر الله في هذه الأيام دليلاً عليه إذ كان من سننه التكبير على كل حصاة منها"(٢).

بين الرازي: أن الله ذكرهم في هذه الآيه بما كانوا يهملونه ولم يذكر ماكانوا يفعلونه من الرمي ونحوه وبين أن الآية حثت على التكبير وهو سنة من سنن الرمي ومعلوم أن القرآن أجملت فيه الأحكام وجاءت تفصيلاتها في السنة.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٣٥/٥.

(٢) المصدر نفسه ١٩٢/٥.

٨٦/ وفي مناسبة قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ لما تقدمها من أمور المناسك.

قال الرازي:"اعلم أنه تعالى لما بين أن الذين يشهدون مشاعر الحج فريقان: كافر وهو الذي يقول ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ الآية *٢٠٠*] ومسلم وهو الذي يقول ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ بقي المنافق فذكره في هذه الآية، وشرح صفاته وأفعاله، فهذا مايتعلق بنظم الآية، والغرض بكل ذلك أن يبعث العباد على الطريقة الحسنة فيما يتصل بأفعال القلوب والجوارح، وأن يعلموا أن المعبود لا يمكن إخفاء الأمور عنه"(١).

وهذا وجه حسن في ربط الآية بما قبلها وقد يقال أن المنافق يدخل مع من يقول [ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلق] وهذه الآية أولى بالمنافق فإن الكافر لا يشهد الحج.

٨٧/ وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

قال الرازي:"أنه تعالى حكى عن هذا المنافق جملة من الأفعال المذمومة (أولها) اشتغاله بالكلام الحسن في طلب الدنيا (وثانيها) استشهاده بالله كذباً وبهتاناً (وثالثها) لحاجة في إبطال الحق وإثبات الباطل (ورابعها) سعيه في الفساد (وخامسها) سعيه في إهلاك الحرث والنسل وكل ذلك فعل منكر قبيح وظاهر قوله [وإذا قيل له اتق الله] فليس بأن ينصرف إلى بعض هذه الأمور أولى من بعض، فوجب أن يحمل على الكل فكأنه قيل: اتق الله في إهلاك الحرث والنسل وفي السعي بالفساد وفي اللجاج الباطل وفي الاستشهاد بالله كذلك وفي الحرص على طلب الدنيا فانه ليس رجوع النهي إلى البعض أولى من بعض"(٢).

وهذه آيات يتعلق بعضها ببعض لأنها تتناول أمر المنافق فهي مبينة لحاله وصفاته تحذيراً منه ومن عمله.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩٦/٥ .

(٢) المصدر السابق ٢٠٣/٥ .

٨٨/ وفي وجه اتصال قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ بما تقدم في وصف المنافق في قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ إلى قوله ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٢٠٦﴾

قال الرازي :"اعلم أنه تعالى لما وصف في الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر في هذه الآية حال من يبذل دنياه ونفسه وماله لطلب الدين فقال :[ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله](١)"

وهذا على سبيل المضادة والمقابلة فالمنافق يبذل دينه ويضيع آخرته من أجل الدنيا ولا يأتيه إلا ما قدر له أما المؤمن فإنه يبذل دنياه لرضى مولاه فتأتيه وهي راغمة مع ما يناله من الفوز في الآخره.

٨٩/ وربط قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٠٨﴾ بما تقدم في وصف المنافق في قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ إلى قوله:[فحسبه جهنم ولبئس المهاد *٢٠٦*]

قال الرازي:"اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافق أنه يسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، أمر المسلمين بما يضاد ذلك وهو الموافقة في الإسلام وفي شرائعه،فقال [يأيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة]

وذكر في الآية وجهاً آخر وهو أن المراد بالآية المنافقون والتقدير :يأيها الذين ءامنوا بألسنتهم ادخلوا بكليتكم في الإسلام ...ومن قال بهذا التأويل احتج على صحته بأن هذه الآية إنما وردت عقيب مامضى من ذكر المنافقين وهو قوله [ومن الناس من يعجبك قوله]الآية فلما وصف المنافق بما ذكر دعا في هذه الآية إلى الإيمان بالقلب وترك النفاق"(٢).

ووجه المناسبة أن المنافق أسلم ظاهراً وفي الآية الثانية دعاه الله لإيمان وترك النفاق كافة اعتقاداً وعملاً ظاهراً وباطناً.

---

(١)مفاتيح الغيب ٢٠٤/٥ .

(٢)المصدر السابق ٢٠٦/٥-٢٠٧ .

٩٠/ وفي ربط قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ٢١٢

بقوله تعالى ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ٢١١

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل حال من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته وهم الكفار الذين كذبوا بالدلالة والأنبياء وعدلوا عنها، أتبعه الله تعالى بذكر السبب الذى لأجله كانت هذه طريقتهم فقال [زين للذين كفروا الحياة الدنيا] ومحصول هذا الكلام تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار والمشركين في ترجيح الفانى من زينة الدنيا على الباقى من درجات الآخرة "(١).

وقد بين في هذا الربط أن سبب تبديل النعم هو تزيين الحياة الدنيا وسخريتهم ممن آمن وهذا من ذكر السبب عقيب ذكر المسبب .

٩١/ وفي اتصال قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ٢١٣

بقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ٢١٢

قال الفخر: "اعلم أنه تعالى لما بين في هذه الآية المتقدمة أن سبب إصرار هؤلاء الكفار على كفرهم هو حب الدنيا، بين في هذه الآية أن هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان، بل كان حاصلا في الأزمنة المتقادمة، لأن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق، ثم اختلفوا وما اختلافهم إلا بسبب البغى والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا فهذا هو الكلام في ترتيب النظم "(٢).

ووجه التناسب ذكر العام بعد الخاص وبيان سبب الخلاف في كل زمان ومكان فكان الربط للعموم والسببية .

---

(١) مفاتيح الغيب ٦/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٦/١١ .

٩٢/ وفي ربط قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

قال الرازي:" في النظم وجهان: الأول:أنه تعالى قال في الآية السالفة[والله يهدى من يشاء الى صراط مستقم] والمراد أنه يهدى من يشاءإلى الحق وطلب الجنة فبين في هذه الآية أن ذلك الطلب لا يتم ولا يكمل الا باحتمال الشدائد في التكليف فقال:[أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم] الآية .

الثاني:أنه في الآية السالفة لما بين أنه هداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه بين في هذه الآية أنهم بعد تلك الهداية احتملوا الشدائد في إقامة الحق وصبروا على البلوى، فكذا أنتم يا أصحاب محمد لا تستحقون الفضيلة في الدين إلا بتحمل هذه المحن"(١).

والوجه الأول أن الآية الثانية بيان لما ورد في الآية الأولى وفي الوجه الثاني أنها تتميم لها وهذا يبين أن طريق الهدى لا يتم إلا بالابتلاء وأنه لابد بعد معرفة الحق من صبر على البلاء ومما يصبر عن الافتتان بالدنيا وزينتها وفيه التفات في الخطاب إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨/٦ .

٩٣/ وفي ربط قوله تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

بما قبلها وهو قوله تعالى :

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

قال الرازي :في تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان :

الأول:" أن عبد الله بن جحش قال :-يا رسول الله هب أنه لا عقاب فيما فعلنا، فهل نطمع منه أجرا وثوابا فنزلت هذه الآية، لأن عبد الله كان مؤمنا، وكان مهاجرا، وكان بسبب هذه المقاتلة مجاهدا.

والثاني:"أنه تعالى لما أوجب الجهاد من قبل بقوله[كتب عليكم القتال وهو كره لكم] وبين أن تركه سبب الوعيد أتبع ذلك بذكر من يقوم به فقال[ان الذين ءامنوا والذين هاجروا وجهدوا في سبيل الله] ولا يكاد يوجد وعيد إلا ويعقبه وعد "(١).

تضمن ربط الآية هذه الآية وجهين :جعل الأول منهما ماورد في سبب نزول الآية(٢).

والثاني:أنه من الوعد بعد الوعيد أو من تمام الكلام السابق فإنه لما فرض الجهاد بين أنه لايقوم به إلا المؤمن المهاجر المجاهد .

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٩/٦ .

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي ٦٢ ،بلفظ "يانبي الله أنطمع أن تكون غزوة ولا نعطي فيها أجر المجاهدين في سبيل الله فانزل الله تعالى فيها [إن الذين ءامنوا والذين هاجروا وجاهدوا] وأيد ابن عاشور الوجه الثاني بقوله :"والذي يظهر لي أن تعقيب ماقبلها بها من باب تعقيب الإنذار بالبشارة وتنزيه المؤمنين .التحرير والتنوير ٣٣٧/٢ .

٩٤/ وفي ربط قوله تعالى : ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ عقب قوله تعالى : ﴿ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ...﴾ *٢٢٩*]

قال الرازي :" واعلم أن وقوع آية الخلع فيما بين هاتين الآيتين كالشيء الأجنبي، ونظم الآية "الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره "فإن قيل : فإذا كان النظم الصحيح هو هذا فما السبب في إيقاع آية الخلع فيما بين هاتين الآيتين؟، قلنا : السبب أن الرجعة والخلع لا يصحان إلا قبل الطلقة الثالثة، أما بعدها فلا يبقى شيء من ذلك: فلهذا السبب ذكر الله حكم الرجعة، ثم أتبعه بحكم الخلع، ثم ذكر بعد الكل حكم الطلقة الثالثة لأنها كالخاتمة لجميع الأحكام المعتبرة في هذا الباب والله أعلم "(١).

وبهذا يكون كلام الرازي تنبيه على وجه ترابط واتصال ماتضمنته الآيتين من أحكام .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠٤/٦ .

٩٥/ وفي ربط قوله تعالى : ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

تحدث الرازي عن المرأة المعتدة التي تجوز خطبتها تعريضاً لا تصريحاً فقال: "أما جواز التعريض فلقوله تعالى [لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء] وظاهره أنه للمتوفى عنها زوجها، لأن هذه الآية مذكورة عقيب تلك الآية، أما انه لا يجوز التصريح، فقال الشافعي: لما خص التعريض بعدم الجناح وجب أن يكون التصريح بخلافه، ثم المعنى يؤكد ذلك، وهو أن التصريح لا يحتمل غير النكاح، فلا يؤمن أن يحملها الحرص على النكاح على الإخبار عن إنقضاء العدة قبل أوانها بخلاف التعريض فإنه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها ذلك إلى الكذب "(١).

وهكذا ربط الرازي الآية بما نقله عن الشافعي من مفهوم الآية الأولى، وهو ربط بدلالة السياق.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٣١/٦، وانظر الأم للشافعي ٥ /١٧٠، باب التعريض في خطبة النكاح، ط.دار الفكر، بيروت.

٩٦/ وفي مناسبة قوله تعالى : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ لما قبلها وما بعدها من آيات الطّلاق

قال الرازي :"اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين للمكلفين ما بين من معالم دينه، وأوضح لهم من شرائع شرعه أمرهم بعد ذلك بالمحافظة على الصلوات وذلك لوجوه (أحدها) أن الصلاة بما فيها من القراءة والقيام والركوع والسجود والخضوع والخشوع تفيد إنكسار القلب من هيبة الله تعالى، وزوال التمرد عن الطبع وحصول الإنقياد لأوامر الله تعالى والإنتهاء عن مناهيه، كما قال:[إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر](والثانى) إن الصلاة تذكر العبد جلالة الربوبية وذلة العبودية وأمر الثواب والعقاب فعند ذلك يسهل عليه الإنقياد للطاعة ولذلك قال:[استعينوا بالصبر والصلاة]"(١).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤٥/٦ .

وقد تكلم عن مناسبتها لما قبلها جمع من أهل العلم منهم أبوحيان في تفسيره البحر المحيط حيث ساق عدة أقوال منها:١- أنها جاءت في أثناء أحكام الطلاق لحصول حادثة أو قصة اقتضت الوصية بالمحافظة على الصلاة حتى عند الخوف .

٢- أنها مقدمة في التلاوة متأخرة في النزول .

٣- أنها أمر بالمحافظة على حق الله خلال الأمر بالمحافظة على حقوق الآدميين .انظر البحر المحيط لأبي حيان ٢٣٩/٢ .

وقال البيضاوي :"لعل الأمر بها في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها"أنوار التنزيل للبيضاوي ٥٣/١-٥٤ .

ومال إلى ذلك أبو السعود والألوسي وأضاف قوله:" ولعل الأمر بها عقيب الحض على العفو، والنهي عن ترك الفضل لأنها تهيء النفس لفواضل الملكات لكونها الناهية عن الفحشاء والمنكر أو ليجمع بين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلقه.انظر ارشاد العقل السليم لأبي السعود٢٣٥/١ .وانظر روح المعاني للألوسي١٥٥/١ .

أما ابن عاشور فيقول :"وربما كفى في ذلك نزول الغرض الثاني عقب الغرض الأول أوتكون الآية مأموراً بإلحاقها بموضع معين من إحدى سور القرآن ... ولايخلو ذلك من مناسبةفي المعاني أو في انسجام نظم الكلام، فلعل آية [حفظوا على الصلوت] نزلت عقب آيات تشريع العدة والطلاق لسبب اقتضى ذلك من غفلة عن الصلاة الوسطى أواستشعار مشقة في المحافظة عليها، فموقع هذه الآية موقع الجملة المعترضة بين أحكام الطلاق والعدد.

(والثالث) إن كل ما تقدم من بيان النكاح والطلاق والعدة إشتغال بمصالح الدنيا، فأتبع ذلك بذكر الصلاة التى هى مصالح الآخرة"(١).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤٥/٦ .

=قال:"وإذا أبيت إلا تطلب الارتباط فالظاهر أنه لما طال تبيان أحكام كثيرة متوالية :ابتداء من قوله [يسألونك ما ذا ينفقون]جاءت هذه الآية مرتبطة بالتذييل الذي ذيلت به الآية السابقة وهوقوله [وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم]فإن الله دعانا إلى خلق حميد وهو العفو عن الحقوق، ولما كان ذلك الخلق قد يعسر على النفس لما فيه من ترك ماتحبه من الملائم من مال وغيره كالانتقام من الظالم وكان في طباع الأنفس الشح، علمنا الله تعالى دواء هذاالداء بدواءين:أحدهما دنيوي عقلي وهو قوله [ولا تنسوا الفضل بينكم]...الدواء الثاني أخروي روحاني: وهو الصلاة التي وصفها الله تعالى في آية أخرى بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلما كانت معينة على التقوى، ومكارم الأخلاق حث الله على المحافظة عليها .

ثم قال بوجه قريب مما اختاره الرازي .انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٦٥/٢-٤٦٦ .

بما أن الصلاة من أعلى أنواع العبادة .فقد ذكر سيد قطب مناسبتها لسياقها من هذه الناحية فقال:"إن عبادة الله في كل حركة وفي كل خطرة .ومن ثم يجيء - بين هذه الأحكام - حكم الصلاة في الخوف والأمن :[حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين *٢٣٨* فان خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فأذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون*٢٣٩*]

يجيء هذاالحكم في ثنايا تلك الأحكام ؛وقبل أن ينتهي منها السياق، وتندمج عبادة الصلاة في عبادات الحياة. الظلال٢٣٨/١

وقال سعيد حوى :هاتان الآيتان في شأن الصلاة وردتا بعد آيات الطلاق فما الحكمة في ذلك ؟ ثم ذكر في ذلك أوجهاً منها:

١/ :أنه أمر بها للاستعانة بها على مشاق الحياة .

٢/ :أن مجئ هاتين الآيتين هنا توطئة لما بعد آيات الطلاق وربط لما بعد آيات الطلاق بما قبل آيات الطلاق والنكاح فبعض الأسئلة التي ذكرت في الآيات السابقة على آيات النكاح ذكرت فريضة القتال وما بعد آيات الطلاق كلام عن القتال وفي هاتين الآيتين أمر بالصلاة وإقامتها حتى في القتال . الأساس في التفسير ٥٨٨/١

٩٧/ وقال في اتصال قوله تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

بقوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾

قال الرازي :"اعلم أنه تعالى لما أوجب المحافظة على الصلوات والقيام بأركانها وشروطها، بين من بعد أن هذه المحافظة على هذا الحد لاتجب إلا مع الأمن دون الخوف، فقال [فإن خفتم فرجالا أو ركبانا]"(١).

وفي الآية الثانية صورة أخرى من صور المحافظة على الصلاة لأنها استثناء من الأمر بالمحافظة عليها والله اعلم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ فقد ذكر الرازي تعلقها بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ بأوجه منها:

١ - ما نقله من قول مجاهد:"أن الله تعالى أنزل في عدة المتوفى عنها زوجها آيتين أحدهما: ما تقدم وهو قوله [يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا] والأخرى: هذه الآية، فوجب تنزيل هاتين الآيتين على حالتين.

فنقول: إنها إن لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تأخذ النفقة من مال زوجها، كانت عدتها أربعة أشهر وعشرا على ما في تلك الآية المتقدمة، وأما إن إختارت السكنى في دار زوجها، والأخذ من ماله وتركته، فعدتها هي الحول وتنزيل الآيتين على هذين التقديرين أولى حتى يكون كل واحد منهما معمولاً به.

---

(١) مفاتيح الغيب ٦/١٥٣-١٥٤.

ونقل الرازي عن أبي مسلم الأصفهاني عدم النسخ فقال: "واحتج على قوله بوجوه، (أحدها) أن النسخ خلاف الأصل فوجب المصير إلى عدمه بقدر الإمكان (الثانى) أن يكون الناسخ متأخرا عن المنسوخ في النزول، إذا كان متأخرا عنه في النزول كان الأحسن أن يكون متأخرا عنه في التلاوة أيضا، لأن هذا الترتيب أحسن، فأما تقدم الناسخ على المنسوخ في التلاوة، فهو وإن كان جائزا في الجملة، إلا أنه يعد من سوء الترتيب وتنزيه كلام الله تعالى عنه واجب بقدر الإمكان ولما كانت هذه الآية متأخرة عن تلك التلاوة، كان الأولى أن لا يحكم بكونها منسوخة بتلك "(١).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥٨/٦-١٥٩ .والصحيح أنها منسوخة لماروى البخاري في كتاب التفسير باب "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً" بسنده عن ابن أبي مليكة قال :(قال ابن الزبيرقلت لعثمان:هذه الآية التي في البقرة [والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا- إلى قوله - غير إخراج]قد نسختها الأخرى فلم تكتبها؟ قال:تدعها يا ابن أخي، لا أغير شيئاًمن مكانه)صحيح البخاري ٩٧/٣ وفتح الباري ١٩٤/٨-٢٠١ .

وقال عطاء قال ابن عباس :نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعتد حيث شاءت لقول الله غير إخراج ....

على أن من السلف من ذهب إلى أنها ليست منسوخه وإنما خص من الحول بعضه وبقي البعض وصية لها إن شاءت كما في الباب عن مجاهد، لكن الجمهور على خلافه .ثم قال ابن حجر :"وهذا الموضع مما وقع الناسخ مقدماً في ترتيب التلاوة على المنسوخ ...قال:"وقد ظفرت بمواضع أخرى منها في البقرة أيضاً قوله [فأينما تولوا فثم وجه الله]فإنها محكمة مخصصة لعموم قوله [وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره]كونها مقدمة في التلاوة، ومنها في البقرة أيضاً قوله تعالى [ماننسخ من آية]على قول من قال إن سبب نزولها أن اليهود طعنوا في تحويل القبلة، فإنه يقتضي أن تكون مقدمة في التلاوة متأخرة في النزول، انظر فتح الباري ١٩٤/٨ .

(والوجه الثالث)وهو أنه ثبت في علم أصول الفقه أنه متى وقع تعارض بين النسخ وبين التخصيص، كان التخصيص أولى، وههنا إن خصصنا هاتين الآيتين بالحالتين على ما هو قول مجاهد اندفع النسخ فكان المصير إلى قول مجاهد أولى من إلتزام النسخ من غير دليل، وأما على قول أبي مسلم فالكلام أظهر، لأنكم تقولون تقدير الآية : فعليهم وصية لأزواجهم، أو تقديرها : فليوصوا وصية ، فأنتم تضيفون هذا الحكم إلى الله تعالى أبو مسلم يقول : بل تقدير الآية : والذين يتوفون منكم ولهم وصية لأزواجهم، أو تقديرها : وقد أوصوا وصية لأزواجهم ، فهو يضيف هذا الكلام إلى الزوج، وإذا كان لابد من الإضمار فليس إضماركم أولى من إضماره ، ثم على تقدير أن الإضمار ماذكرتم يلزم تطرق النسخ إلى الآية وعند هذا يشهد كل عقل سليم بأن إضمار أبي مسلم أولى من إضماركم، وأن التزام هذا النسخ إلتزام له من غير دليل، مع ما في القول بهذا النسخ من سوء الترتيب الذي يجب تنزيه كلام الله تعالى عنه وهذا كلام واضح .

وإذا عرفت هذا فنقول : هذه الآية من أولها إلى آخرها تكون جملة واحدة شرطية ، فالشرط هو قوله [وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم متاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ] فهذا كله شرط، والجزاء هو قوله [فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن معروف] فهذا تقرير قول أبي مسلم، وهو في غاية الصحة"(١).

وهذا يناقض ماقرره في أكثر من موضع وماقرره ابن حجر فيما تقدم (٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٥٨/٦ - ١٥٩ .

وقدأشار إلى أن الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول. فقد قال عند الآية الأولى :"أجمع الفقهاء على أن هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وإن كانت متقدمة في التلاوة ، غير أبي مسلم الأصفهاني فإنه أبى نسخها، وسنذكر كلامه من بعد إن شاء الله تعالى، والتقدم في التلاوة لايمنع التأخر في النزول، إذ ليس ترتيب المصحف على ترتيب النزول وإنما ترتيب التلاوة في المصاحف هو ترتيب جبريل بأمر الله تعالى .

(٢) مفاتيح الغيب ١٢٨/٦ .

٩٨/ وفي ربط قوله تعالى ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٤٢﴾

بقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٣٦﴾

قال الرازي:

«يروى أن هذه الآية [٢٤٢] إنما نزلت، لأن الله تعالى لما أنزل قوله تعالى [ومتعوهن] إلى قوله [حقا على المحسنين] قال رجل من المسلمين: إن أردت فعلت، وإن لم أرد لم أفعل، فقال تعالى [وللمطلقات متاعا بالمعروف حقا على المتقين] يعني على كل من كان متقياً عن الكفر.

فإن قيل: لم أعيد ههنا ذكر المتعة مع أن ذكرها قد تقدم في قوله [ومتعوهن على الموسع قدره وعل المقتر قدره] قلنا: هناك ذكر حكماً خاصا، وههنا ذكر حكما عاما"(١).

ووجه التناسب أن هذه الآية معممة للحكم بعد أن كان خاصاً وفيها بيان لما أورده من إشكال في الآية الأولى.

---

(١) مفاتيح الغيب ٦/١٦٠- ١٦١.

٩٩/ وفي تعلق قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

بماتقدم من أحكام قال الرازي :"اعلم أن عادته تعالى في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص ليفيد الاعتبار للسامع، ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد، ومزيد الخضوع والإنقياد فقال: [ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم]"(١).

وهذا ربط للآية بماتقدم من أحكام من التنويع الذي يفيد السامع فيحرك قلبه ويحمله على ترك التمرد والعناد وهي أقرب إلى ربط المقاطع .

وذكر الرازي أن في المخاطبين بقوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾

قولان : الأول/أن هذا خطاب للذين أحيوا قال الضحاك :أحياهم ثم أمرهم بأن يذهبوا إلى الجهاد لأنه تعالى إنما أماتهم بسبب أن كرهوا الجهاد .

وهنا ربط لها بقوله تعالى:

[الم ترإلى الذين خرجوا الآية٢٤٣]

فهو بقية من خطابهم .

والقول الثاني/ قال: وهو اختيار جمهور المحققين: أن هذا استئناف خطاب للحاضرين يتضمن الأمر بالجهاد إلا أنه سبحانه بلطفه ورحمته قدم على الأمر بالقتال ذكر الذين خرجوا من ديارهم لئلا ينكص عن أمر الله بحب الحياة بسبب خوف الموت وليعلم كل أحد أنه يترك القتال لا يثق بالسلامة من الموت"(٢).

وفيه التفات بالخطاب القصص إلى الوعظ للحاضرين .

---

(١)مفاتيح الغيب ٦/ ١٦١ .

(٢)المصدر نفسه١٦٥/٦ .

١٠٠/ وفي تعلق قوله تعالى :
﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥﴾

بقوله تعالى:
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٤٤﴾

قال الرازي:"إنه تعالى لما أمر بالقتال في سبيل الله ثم أردفه بقوله: [من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا] اختلف المفسرون فيه على قولين: (الأول) أن هذه الآية متعلقة بما قبلها والمراد منها القرض في الجهاد خاصة، فندب العاجز عن الجهاد أن ينفق على الفقير القادر على الجهاد، وأمر القادر على الجهاد أن ينفق على نفسه في طريق الجهاد، ثم أكد تعالى ذلك بقوله [والله يقبض ويبسط] وذلك لأن من علم ذلك كان اعتماده على فضل الله تعالى أكثر من اعتماده على ماله وذلك يدعوه إلى إنفاق المال في سبيل الله، والاحتراز عن البخل بذلك الإنفاق.

(والقول الثانى) أن هذا الكلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله"(١).

والأول أولى لأن الكلام يصح ويترابط به، ثم لما هو ظاهر في القرآن من تعقيب الأمر بالجهاد والقتال بالأمر بالإنفاق لتلازمهما غالباً والله أعلم.

---

(١)مفاتيح الغيب ١٦٦/٦ .

١٠١/ وفي اتصال ومناسبة قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

بالآية قبلها وهي قوله تعالى :
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾

قال الرازي:" تعلق هذه الآية بما قبلها من حيث إنه تعالى لما فرض القتال بقوله [وقاتلوا في سبيل الله] ثم أمرنا بالإنفاق فيه لما له من التأثير في كمال المراد بالقتال ذكر قصة بنى إسرائيل، وهي أنهم لما أمروا بالقتال نكثوا وخالفوا فذمهم الله تعالى عليه، ونسبهم إلى الظلم والمقصود منه أن لا يقدم المأمورون بالقتال من هذه الأمة على المخالفة، وأن يكونوا مستمرين في القتال مع أعداء الله تعالى"(١).

وفي هذا عظة بضرب المثل وحث على امتثال أمر الله تعالى وقد أكد ذلك بما قاله في ختم الآية حيث جعل تذييل الآية بقوله [والله عليم بالظالمين] دليلاً على ربطها بما قبلها فقال" [والله عليم بالظالمين] أى هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف ربه ولم يف بما قيل من ربه، وهذا هو الذى يدل على تعلق هذه الآية بقوله قبل ذلك [وقتلوا في سبيل الله] فكأنه تعالى أكد وجوب ذلك بأن ذكر قصة بنى إسرائيل في الجهاد وعقب ذلك بأن من تقدم على مثله فهو ظالم والله أعلم بما يستحقه الظالم وهذا بين في كونه زجرا عن مثل ذلك في المستقبل وفي كونه بعثا على الجهاد، وأن يستمر كل مسلم على القيام بذلك والله أعلم"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٧٠/٦ .

(٢) المصدر نفسه ٦/ ١٧٢ .

١٠٢/ وبين الرازي وجه مناسبة قوله تعالى:

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

لقوله تعالى:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

فقال: "وجه تعليق هذه الآية بما قبلها ماذكره أبو مسلم: وهو أنه تعالى أنبأ محمداً صلى الله عليه وسلم من أخبار المتقدمين مع قومهم، كسؤال قوم موسى [أرنا الله جهرة] وقولهم [اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة] وكقوم عيسى بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله فكذبوه وراموا قتله، ثم أقام فريق على الكفر به وهم اليهود، وفريق زعموا أنهم أولياؤه وادعت على اليهود من قتله وصلبه ما كذبهم الله تعالى فيه، وكالملأ من بني إسرائيل حسدوا طالوت ودفعوا ملكه بعد المسألة، وكذلك ماجرى من أمر النهر، فعزى الله رسوله عما رأى من قومه من التكذيب والحسد، فقال: هؤلاء الرسل الذين كلم الله تعالى بعضهم، ورفع الباقين درجات وأيد عيسى بروح القدس، قد نالهم من قومهم ما ذكرناه بعد مشاهدة المعجزات، وأنت رسول مثلهم فلا تحزن على ماترى من قومك، فلو شاء الله لم تختلفوا أنتم وأولئك، ولكن ماقضى الله فهو كائن، وما قدره فهو واقع وبالجملة فالمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم على إيذاء قومه له"(١).

وفي هذا تسلية للنبي حيث أخبر في الآية الأولى أنه مؤيد بالحق وأنه مرسل من عند الله ثم ذكر في الآية الثانية ماحصل للرسل من تكريم وما حصل في أقوامهم من بعدهم تسلية النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٩٤/٦-١٩٥ .

١٠٣/ وبين الرازي تعلق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

٢٥٤] بما قبلها مباشرة في قوله :

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

فقال: "اعلم أن أصعب الأشياء على الإنسان بذل النفس في القتال، وبذل المال في الإنفاق فلما قدم الأمر بالقتال أعقبه بالأمر بالإنفاق.

ثم ذكر وجهاً آخر للتعلق وهو تعلقه بقوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

فقال:"وأيضا فيه وجه آخر، وهو أنه تعالى أمر بالقتال فيما سبق بقوله [وقاتلوا في سبيل الله] ثم أعقبه بقوله [من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا] والمقصود منه إنفاق المال في الجهاد، ثم إنه مرة ثانية أكد الأمر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت، ثم أعقبه بالأمر بالإنفاق في الجهاد، وهو قوله [يأيها الذين ءامنوا أنفقوا]"(١).

وهذا من التلازم بين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، ثم ختم بقوله :"إذا عرفت وجه النظم فنقول: في الآية مسائل ثم بدأ في شرح معاني الآية، وهذه هي إحدى طرق الرازي في بيان التعلق والمناسبة.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠٥/٦ .

١٠٤/ وفي ربط قوله تعالى :

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

بماقبلها من آيات

قال الرازي: "اعلم أن من عادته سبحانه وتعالى في هذا الكتاب الكريم أنه يخلط هذه الأنواع الثلاثة بعضها بالبعض، أعنى علم التوحيد، وعلم الأحكام، وعلم القصص، والمقصود من ذكر القصص إما تقرير دلائل التوحيد، وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف،وهذا الطريق هوالطريق الأحسن لا إبقاء الإنسان في النوع الواحد لأنه يوجب الملال، فأما إذا انتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ويفرح به القلب، فكأنه سافر من بلد إلى آخر وانتقل من بستان إلى بستان آخر، وانتقل من تناول طعام لذيذ إلى تناول طعام آخر، ولا شك أنه يكون ألذ وأشهى ولما ذكر فيما تقدم من علم الأحكام ومن علم القصص ما رآه مصلحة ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد، فقال [الله لا إله إلا هو الحى القيوم]"(١).

وهذا ربط لهذه الآية بما تقدمها من آي ومقاطع .

---

(١) مفاتيح الغيب ٧/٢ .

١٠٥/ وفي اتصال قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

بقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

قال الرازي :"اعلم انه تعالى لما عظم أمر الإنفاق في سبيل الله، أتبعه ببيان الأمور التى يجب تحصيلها حتى يبقى ذلك الثواب، منها ترك المن والأذى"(١).

وفي الآية الثانية شرط في متم لما الآية الأولى من الحث على الإنفاق في سبيل الله وهو ترك المن والأذى وبه يحصل لهم الأجر الكثير.

١٠٦/ وفي اتصال قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أن الله تعالى لما ذكر مثل المنفق الذي يكون مانا ومؤذيا ذكر مثل المنفق الذى لا يكون كذلك وهو هذه الآية، وبين تعالى أن غرض هؤلاء المنفقين من هذا الإنفاق أمران (أحدهما) طلب مرضاة الله تعالى، (والغرض الثانى) هو تثبيت النفس "(٢).

ووجه الربط أن الآيتين تضمنت ضرب مثلين من باب التضاد بين المنفق طلباً للرياء والمنفق طلباً لمرضاة الله تعالى وبينت أن من أبرز صفات المرائي المن والأذى عند إنفاقه، ثم جاءت الآية الثانية مبينة حال المنفق ماله طلباً لمرضاة الله وتثبيت النفس وإلزامها سلوك سبل الخير وكما قيل وبضدها تتميز الأشياء.

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٥/٧ .

(٢) المصدر نفسه ٥٥/٧ .

١٠٧/ وفي اتصال قوله تعالى:
﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾
بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟
صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية ﴿٢٦٤﴾ وقوله تعالى:
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أن هذا مثل آخر ذكره الله تعالى في حق من يتبع إنفاقه بالمن والأذى.

ثم بين وجه المثل بإنه إذا أعقب إنفاقه بالمن أو بالإذى كان ذلك كالإعصار الذى يحرق تلك الجنة، ويعقب الحسرة والحيرة والندامة فكذا هذا المال المؤذى إذا قدم يوم القيامة، وكان في غاية الاحتياج إلى الإنتفاع بثواب عمله، لم يجد هناك شيئا فيبقى لا محالة في أعظم غم، وفي أكمل حسرة وحيرة، وهذا المثل في غاية الحسن، ونهاية الكمال"(١).

١٠٨/ ثم ربط قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أنه رغب في الإنفاق، ثم بين أن الإنفاق على قسمين: منه مايتبعه المن والأذى، ومنه ما لا يتبعه ثم إنه تعالى شرح مايتعلق بكل واحد من هذين القسمين، وضرب لكل واحد منهما مثلاً يكشف عن المعنى ويوضح المقصود منه على أبلغ الوجوه، ثم إنه تعالى ذكر في هذه الآية أن المال الذي أمر بإنفاقه في سبيل الله كيف ينبغي أن يكون فقال: [أنفقوا من طيبت ماكسبتم]"(٢).

وهكذا أمر بالإحسان وبين كيفية البذل والإنفاق ثم أردف ببيان نوع ماينفق ويبذل منه وأنه لابد وأن يكون طيبا.

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٨/٧ .

(٢) المصدر السابق ٦٠/٧ .

١٠٩/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما رغب الإنسان في إنفاق أجود ما يملكه حذره بعد ذلك من وسوسة الشيطان فقال [الشيطان يعدكم الفقر] أي يقال إن أنفقت الأجود صرت فقيرا فلا تبال بقوله فإن الرحمن [يعدكم مغفرة منه وفضلا]"(١).

وهذا من تمام نعمة الله أن رزقه المال ودله على تحصيل الأجر العظيم ثم حذره من وسوسة الشيطان ووعده المغفرة والفضل العظيم.

١١٠/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء، وأن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نبه على أن الأمر الذى لأجله وجب ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو ان وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل، ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والنفس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع أحكام الخيال والوهم، ولا شك أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل، وحكم الحس والشهوة والنفس توقع الإنسان في البلاء والمحنة، فكان حكم الحكمة والعقل أولى بالقبول، فهذا هو الإشارة إلى وجه النظم"(٢).

والوجه الذي ذكر الرازي حسن فإن الحكمة في تصريف المال في أوجه الخير فضل من الله عظيم ولذلك كان من أنفق المال في وجوه الخير حقيقاً بالغبطة موفقاً للحكمة مرضياً لربه سبحانه وتعالى.

---

(١) مفاتيح الغيب ٦٤/٧ .

(٢) المصدر السابق ٧٦/٧ .

١١١/ وفي ربط قوله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾

بقوله تعالى :

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾

قال الرازي :"اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنه يجوز صرف الصدقة إلى أي فقير كان، بين في هذه الآية أن الذي يكون أشد الناس استحقاقا بصرف الصدقة إليه من هو ؟ فقال [للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله]......."(١).

واتصالهما واضح كما بين الرازي فإنه لما أمر بالصدقة كان مناسباً بيان من يستحقها ومن يعطاها فهو من مما يحقق تمام معنى التصدق معناها .

---

(١) مفاتيح الغيب ٧٩/٧ .

١١٢/ وفي مناسبة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

لقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

قال الرازي: المسألة الأولى: في كيفية النظم أقوال:

الأول:- لما بين في هذه الآية المتقدمة أن أكمل من تصرف إليه النفقة من هو، بين في هذه الآية أن أكمل وجوه الإنفاق كيف هو، فقال [الذين ينفقون أموالهم باليل والنهار].

والثاني:-أنه تعالى ذكر هذه الآية لتأكيد ما تقدم من قوله [إن تبدوا الصدقت فنعما هي].

والثالث: أن هذه الآية آخر الآيات المذكوره في أحكام الإنفاق، فلا جرم أرشد الخلق إلى أكمل وجوه الانفاقات"(١).

وهذا الوجه مما يعرف بحسن الختام، أما القول الأول فبعد بيان المستحق بين الكيفية والحال، وفي الوجه الثاني تأكيد للآية [٢٧١] وبعد أن أورد أقوالاً في سبب النزول قال: "ثم إن الآية عامة في الذين يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة تحرضهم على الخير، فكلما نزلت بهم حاجه محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يعلقوها بوقت ولا حال، وهذا هو أحسن الوجوة لإن هذا أخر الآيات المذكورة في بيان حكم الإنفاقات فلاجرم ذكر فيها أكمل وجوه الإنفاقات والله أعلم"(٢).

وما قاله الرازي هنا في غاية الحسن.

---

(١) مفاتيح الغيب ٨٣/٧.

(٢) المصدر نفسه ٨٣/٧.

١١٣/ وفي اتصال قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

بما تقدم في شأن الصدقة كقوله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

قال الرازي:"اعلم أن بين الربا والصدقة مناسبة من جهة التضاد، وذلك لأن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك، والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه، فكانا متضادين، ولهذا قال الله تعالي [يمحق الله الربوا ويربي الصدقت] فلما حصل بين هذين الحكمين هذا النوع من المناسبة، لاجرم ذكر عقيب حكم الصدقات حكم الربا"(١).

والرابط بينهما كما صحح الرازي بجامع التضاد بين الصدقة والربا

---

(١)مفاتيح الغيب ٨٤/٧ -٨٥ .وقال السعدي :"لما ذكر الله حالة المنفقين ومالهم من الله من الخيرات، وما يكفر عنهم من الذنوب والخطيئات، ذكر الظالمين أهل الربا والمعاملات الخبيثة وأخبر أنهم يجازون بحسب أعمالهم .فكما كانوا في الدنيا في طلب المكاسب الخبيثة كالمجانين عوقبوا في البرزخ والقيامة، بأنهم لا يقومون من قبورهم، أو يوم بعثهم ونشورهم. تفسير السعدي ١ /٢١٧ .

١١٤/ بين الرازي في اتصال قوله تعالى:

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾

بقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾

قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربا، وكان قد بالغ في الآية المتقدمة في الأمر بالصدقات، ذكر ههنا ما يجرى مجرى الدعاء إلى ترك الصدقات وفعل الربا، وكشف عن فساده، وذلك لأن الداعي إلى فعل الربا تحصيل المزيد في الخيرات، والصارف عن الصدقات الاحتراز عن نقصان الخير فبين تعالى أن الربا وإن كان زيادة في الحال، إلا أنه نقصان في الحقيقة، وأن الصدقة وإن كانت نقصانا في الصورة إلا أنها زيادة في المعنى، ولما كان الأمر كذلك كان اللائق بالعاقل أن لايلتفت إلى ما يقضى به الطبع والحس من الدواعي والصوارف، بل يعول على ما ندبه الشرع إليه من الدواعي والصوارف فهذا وجه النظم..."(١).

وهذه مناسبة روعي فيها التنظير بين الأمرين وفيها تصحيح لفهم خاطئ وهو ظن الزيادة بالربا، والنقص بالصدقات فبين الله أنه يمحق الربا ويربي الصدقات.

١١٥/ وفي اتصال قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾

بقوله تعالي:

فأولئك أصحاب النار هم فيها خلدون*٢٧٥* يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم *٢٧٦*]

قال الرازي: "اعلم أن عادة الله في القرآن مطردة من أنه تعالى مهما ذكر وعيدا ذكر بعده وعدا فلما بالغ ههنا في وعيد المرابى أتبعه بهذا الوعد"(٢).

والمناسبة هنا من تعقيب الوعيد بالوعد كما قال الرازي.

---

(١) مفاتيح الغيب ٧ /٩٤.

(٢) المصدر السابق ٩٦/٧.

١١٦/ وفي ربط قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

بقوله تعالى: ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة أن من انتهى عن الربا فله ما سلف فقد كان يجوز أن يظن أنه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال تعالى في هذه الآية [وذروا ما بقي من الربوا]"(١).

ووجه الربط في الآية الثانية زيادة معنى على ما تضمنته الآية الأولى من أحكام.

وفي اتصال قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ بما تقدمها من آيات الربا كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أن هذه الآية في العظماء الذين كانوا يعاملون بالربا وكانوا أصحاب ثروة وجلال وأنصار وأعوان وكان قد يجرى منهم التغلب على الناس بسبب ثروتهم، فاحتاجوا إلى مزيد زجر ووعيد وتهديد، حتى يمتنعوا عن الربا وعن أخذ أموال الناس بالباطل، فلا جرم توعدهم الله بهذه الآية، وخوفهم على أعظم الوجوه"(٢).

فهو يرى أنه زيادة وعيد خاص بعد النهي والوعيد العام ولعله والله أعلم وعظ عام مناسب لما تقدم من أحكام وقصص.

---

(١) مفاتيح الغيب ٩٨/٧.

(٢) المصدر السابق ١٠٤/٧.

١١٧/ وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

قال الرازي: "اعلم أن في كيفية النظم وجهين: (الأول) أن الله سبحانه لما ذكر قبل هذا الحكم نوعين من الحكم، (أحدهما) الإنفاق في سبيل الله وهو يوجب تنقيص المال (والثاني) ترك الربا، وهو أيضا سبب لتنقيص المال، ثم إنه تعالى ختم ذينك الحكمين بالتهديد العظيم فقال [واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله] والتقوى تسد على الإنسان أكثر أبواب المكاسب والمنافع أتبع ذلك بأن ندبه إلى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن الفساد والبوار فإن القدرة على الإنفاق في سبيل الله، وعلى ترك الربا، وعلى ملازمة التقوى، لا يتم ولا يكمل إلا عند حصول المال، ثم إنه تعالى لأجل هذه الدقيقة بالغ في الوصية بحفظ المال الحلال عن وجوه التوى والتلف"(١).

وهنا بين الرازي أن الله أوصى بحفظ المال عقب الحث على الإنفاق والنهي عن المراباة بالمال بكتابة الدين والإشهاد عليه وهذا يبين أنه سبحانه في نهيه عن الربا لا يريد للمرء إلا الخير والهدى.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠٧/٧. (والتوى) مقصوراً هلاك المال كما في مختار الصحاح مادة (توى) ص٨٠.

١١٨/ وفي كيفية نظم قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

ذكر الرازي وجوهاً منها مايتعلق بربطها بالآية السابقة لها وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

فقال في الوجه الثاني من كيفية النظم:" قال أبو مسلم: إنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة [والله بما تعملون عليم] ذكر عقيبه ما يجرى مجرى الدليل العقلى فقال[لله ما السموات وما في الأرض] ومعنى هذا الملك أن هذه الأشياء لما كانت محدثة فقد وجدت بتخليقه وتكوينه وإبداعه ومن كان فاعلا لهذه الأفعال المحكمة المتقنة العجيبة الغريبة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع العظيمة لابد وأن يكون عالما بها إذ من المحال صدور الفعل المحكم المتقن عن الجاهل به، فكان الله تعالى احتج بخلقه السموات والأرض مع ما فيهما من وجوه الإحكام والإتقان على كونه تعالى عالماً بها محيطا بأجزائها وجزئياتها(١)".

وفي هذا ربط لهذه الآية بتذييل الآية السابقة لها وهي دليل على ما تضمنه تذييل الآية الأولى من سعة علم الله.

وجعل الرازي (الوجه الثالث) في كيفية النظم، قول القاضي:إنه تعالى لما أمر بهذه الوثائق أعنى الكتبة والإشهاد والرهن، فكان المقصود من الأمر بها صيانة الأموال، والإحتياط في حفظها بين الله تعالى أنه إنما المقصود لمنفعة ترجع إلى الخلق لا لمنفعة تعود إليه سبحانه منها فان له ملك السموات والأرض، وهو ربط لقوله تعالى:[لله مافي السموات وما في الأرض *٢٨٤*] بآية الدين.

وكذا الوجه الرابع فقد نقل الرازي عن الشعبي وعكرمة ومجاهد: "أنه تعالى لما نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه، بين أنه له ملك السموات والأرض فيجازى على الكتمان والإظهار(٢)، وهكذا ساق الرازي عدة أوجه في ربط هذه الآية بالآيتين قبلها.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٢٤/٧.

(٢) المصدر نفسه ١٢٤/٧.

١١٩/ وفي ربط قوله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾

بقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾

قال الفخر الرازي:" في كيفية النظم وجوه (الأول) وهو أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة كمال الملك، وكمال العلم، وكمال القدرة لله تعالى، وذلك يوجب كمال صفات الربوبية، أتبع ذلك بأن بين كون المؤمنين في نهاية الإنقياد والطاعة والخضوع لله تعالى، وذلك هو كمال العبودية وإذا ظهر لنا كمال الربوبية، وقد ظهر منا كمال العبودية، فالمرجو من عميم فضله وإحسانه أن يظهر يوم القيامة في حقنا كمال العناية والرحمة والإحسان"(١).

ووجه المناسبة أن في الآية الثانية مقابلة لكل صفة كمال لله دالة على ألوهيته بحال ووصف من أحوال العبد الدالة على عبوديته واحتياجه لمولاه.

---

(١) مفاتيح الغيب ١٢٧/٧ .

وفيما أورد الرازي من أوجه إغفال لما ورد في سبب نزول هذه الآية وهو مارواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : لله مافي السماوات وما في الأرض وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (البقرة/آية ٢٨٤) قال فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله اكلفنا من الأعمال مانطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير=

ثم قال: "(الوجه الثاني في النظم) أنه تعالى لما قال:

[وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله]

بين أنه لا يخفى عليه من سرنا وجهرنا وباطننا وظاهرنا شيء البتة، ثم قال إنه تعالى ذكر عقيب ذلك ما يجرى مجرى المدح لنا والثناء علينا، فقال:

[ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون]

كأنه بفضله يقول عبدى أنا وإن كنت أعلم جميع أحوالك، فلا أظهر من أحوالك، ولا أذكر منها إلا ما يكون مدحا لك وثناء عليك، حتى تعلم أنى كما أنا الكامل في الملك والعلم والقدرة، فأنا الكامل في الجود والرحمة، وفي إظهار الحسنات، وفي الستر على السيئات"(١).

= فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا (قال:نعم) ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا (قال:نعم) ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به (قال:نعم) واعف عنا واغفر لنا وأرحمنا أنت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين (قال:نعم) (البقرة/آية٢٨٦)"انظر صحيح مسلم ،كتاب الإيمان،باب أنه سبحانه لم يكلف إلا مايطاق ، ١/١١٥-١١٦ .

(١)مفاتيح الغيب ١٢٧/٧ .

الفصل السابع : مناسبات المقاطع .

الربط بين مقطع ومقطع .

مما اشتمل عليه تفسير الفخر الرازي ربط مقطع بمقطع ومقطع بآية متقدمة أومتأخرة ، وأحياناً يربط عدة آيات ببعض ومن أمثلة ذلك:

١/ ما ذكره الله تعالى في شأن المنافقين عقب ذكر حال المؤمنين،في قوله تعالى:

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إلى قوله : ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾

وحال الكافرين في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ *٦* إلى قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾

حيث قال الرازي عند قوله تعالى:

[ومن الناس من يقول ءامنا بالله واليوم الآخر وماهم بمؤمنين]

"اعلم أن المفسرين أجمعوا على أن ذلك في وصف المنافقين فقالوا:"إن الله وصف الأصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين فبدأ بالمؤمنين المخلصين الذين صحت سرائرهم وسلمت ضمائرهم ثم أتبعهم بالكافرين الذين من صفتهم الإقامة على الجحود والعناد ثم وصف حال من يقول بلسانه أنه مؤمن وضميره يخالف ذلك"(١).

وهذا على نهج القرآن في المقابلة بين الطوائف المختلفة فإن المنافقين والكفار مضادين للمؤ منين وماهم عليه من الحال ولذا بين الله حال المؤمنين ثم أتبعه ببيان حال المنافقين والكافرين.

٢/ عند قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾

بين الرازي مناسبة هذه الآية لما قبلها فيما يمكن اعتباره مناسبة آية لمقطع حيث قال :"إن الله تعالى لما قدم أحكام الفرق الثلاثة ، أعني المؤمنين والكفار والمنافقين أقبل عليهم بالخطاب وهو من باب الإلتفات "المذكور في قوله [إياك نعبد وإياك نستعين] وذكر الرازي أن الآيات المتقدمة كانت في حكاية أحوالهم وأما هذه الآيات فإنها أمر وتكليف"(٢).

ووجه الربط هنا أن ما سبق كان في ذكر أحوالهم فلما تبين حال الكل حسب الأمر الكوني القدري أتى الأمر والتكليف الشرعي .

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٨٢/٢ .

٣/ اعتبر الرازي الآيات من قوله تعالى:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

إلى قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

مقطعاً واحداً، حيث قال: "إعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة إلى هذا الموضع فمن هذا الموضع إلى قوله: [يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم] في شرح النعم التي عمت المكلفين وهي أربع أولها: نعمة الإحياء وهي المذكورة في هذه الآية"(١).

ثم ذكر بقية النعم العامه التي تضمنها هذا المقطع فقال: "ثانيها: ماذكره عند قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

حيث قال: " ذكر الله أمر الحياة أولاً ثم أتبعه بذكر السماء والأرض"(٢).

وثالثها: قول الرازي عند قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

" اعلم أن هذه الآية دالة على كيفية خلقه آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه فيكون ذلك إنعاماً عاما على جميع بني آدم فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي أوردها في هذا الموضع"(٣).

ورابعها: ما قاله عند قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

حيث قال الرازي: "اعلم أن هذا هو النعمة الرابعة من النعم العامة على جميع البشر وهو أنه سبحانه وتعالى جعل أبانا مسجود الملائكة"(٤).

وهكذا بين الرازي أوجه ترابط المقطع بدأ بقوله تعالى: [كيف تكفرون بالله *٢٨*] بأنها في سياق تعديد نعم الله على خلقه كافة.

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ١٤٩/٢ .

(٢) المصدر السابق ١٥٣/٢ .

(٣) المصدر نفسه ١٥٩/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٢١٢/٢ .

٤/ بين الرازي مقطعاً آخر يبدأ من قوله تعالى :

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾

حتى قوله تعالى

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣﴾

بعد أن بين أن المقطع السابق تضمن الإنعامات العامة لكل البشر، بين هنا أن هذا المقطع هو في إنعامات خاصة وهي الإنعامات على بني إسرائيل قال الرازي :"واعلم أنه سبحانه ذكرهم تلك النعم أولاً على سبيل الإجمال .... ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل، ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب"(١).

وسيأتي مزيد تفصيل لكلام الرازي عند هذا المقطع في ربط أجزاء السورة.

٥/ اعتبر الرازي الآيات التي تبدأ من قوله تعالى :

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣﴾

إلى آخر قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾

حيث قال الفخر:" اعلم أنه تعالى لما عدد وجوه إنعامه عليهم أولاً ختم ذلك بشرح بعض ماوجه إليهم من التشديدات"(٢).

ووجه تناسب هذا المقطع أن الله بدأ بذكر وجوه إنعامه عليهم ترغيباً لهم في الخير، ثم ختم ذلك بالترهيب بما وجه إليهم من التشديدات وفي هذا ترهيب بعد ترغيب .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٢٩/٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٠٩/٣ .

٦/ ذكر الرازي أن الآيات من قوله تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾

إلى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٤﴾

تتحدث عمن سبق مبعث النبي فقال :"اعلم أن الله تعالى لما شرح قبائح أفعالهم قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام أراد من ههنا أن يشرح قبائح أفعالهم عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وجدهم واجتهادهم في القدح فيه والطعن في دينه وهذا هو النوع الأول من هذا الباب"(١).

٧/ وفي مناسبة المقطع المبدوء بقوله تعالى :

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٦﴾

الذي يتحدث عن مسألة النسخ و عن بعض مواقف اليهود والنصارى إلى قوله تعالى :

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝١٢٢﴾

قال الرازي :"اعلم أن هذا هو النوع الثاني من طعن اليهود في الإسلام، فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً وغداً يرجع عنه فنزلت هذه الآيه"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٢٣/٣ .

(٢) المصدر السابق٢٢٦/٣ .

٨/ ومن المقاطع التي ربط الرازي آياتها قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

بقوله: "اعلم أن هذا هو الشبهة الثانية من الشبه التي ذكرها اليهود والنصارى طعناً في الإسلام"(١).

وبها ابتدأت آيات القبلة

٩/ وعند قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

قال الرازي: " اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجوه أحدها:-أن الله تعالى بين أنه إنما حول القبلة إلى الكعبة ليتم إنعامه على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته بإحياء شرائع إبراهيم ودينه على ما قال[ولأتم نعمتي عليكم]وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر إبراهيم على ماذكر في قصة بناء الكعبة وسعي هاجر بين الجبلين فلما كان الأمر كذلك ذكر الله تعالى هذا الحكم عقيب تلك الآية"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٩٠/٤ .

(٢) المصدر نفسه١٥٦/٤-١٥٧ .

١٠/ ثم ذكر الرازي مقطعاً آخر مشتملاً على الأحكام الشرعية التفصلية عند قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

حيث قال:"اعلم أن هذه الآية شبيهة بما تقدم من قوله: [كلوا مما فى الارض حلا لا طيباً]

ثم نقول :إن الله سبحانه وتعالى تكلم من أول السورة إلى هنا فى دلائل التوحيد والنبوة واستقصى فى الرد على اليهود والنصارى، ومن هنا شرع في بيان الأحكام"(١).

وعند قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

لما قبلها من آيات كقوله تعالى :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

قال الرازي:" إعلم أنه سبحانه وتعالى لما بالغ في بيان أنه يجب على كل مكلف أن يكون معرضاً عن طلب العاجل، وأن يكون مشتغلاً بطلب الآجل، وأن يكون بحيث يبذل النفس والمال في ذلك شرع بعد ذلك في بيان الأحكام وهو من هذه الآية إلى قوله:

[ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم]

لأن من عادة القرآن أن يكون بيان التوحيد وبيان الوعظ والنصيحة وبيان الأحكام مختلطا بعضها بالبعض، ليكون كل واحد منها مقويًا للآخر ومؤكداً له"(٢).

وفي الربط السابق بين كيف يجتمع الوعظ والأحكام مع بيان التوحيد لأن كل منها متمم للآخر .

في هذا الموضع :أوضح الرازي أن هذه الآية وما بعدها هي بيان للأحكام التي أخذ تفصيلها مقطعاً طويلاً حتى قوله تعالى: [وللمطلقات متاع بالمعروف حقا علي المتقين *٢٤١* كذلك يبين الله لكم آياتة لعلكم تعقلون*٢٤٢*]

فقال :"وههنا آخر الآيات الدالة على الأحكام والله أعلم"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ٩/٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ٢٢/٦ .

(٣)المصدر نفسه ١٦١/٦ .

١١/ وقال الرازي في تعلق قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾

بماتقدم من أحكام تفصيلية تنتهي بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)﴾

:"اعلم أن عادته تعالى في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص ليفيد الاعتبار للسامع، ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد، ومزيد الخضوع والإنقياد فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ "(١).

وهذا ربط للآية بما تقدم من أحكام من التنويع الذي يفيد السامع فيحرك قلبه ويحمله على ترك التمرد والعناد.

١٢/ وعند قوله تعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾

قال الرازي:"اعلم أن من عادته سبحانه وتعالى في هذا الكتاب الكريم أنه يخلط هذه الأنواع الثلاثة بعضها بالبعض، أعني علم التوحيد، وعلم الأحكام، وعلم القصص"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦١/٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ٢/٧ .

قال:"والمقصود من ذكر القصص إما تقرير دلائل التوحيد، وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف، وهذا الطريق هو الطريق الأحسن لا إبقاء الإنسان في النوع الواحد لأنه يوجب الملال، فأما إذا انتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ويفرح به القلب، فكأنه سافر من بلد إلى آخر وانتقل من بستان إلى بستان آخر، وانتقل من تناول طعام لذيذ إلى تناول طعام آخر، ولا شك أنه يكون ألذ وأشهى، ولما ذكر فيما تقدم من علم الأحكام ومن علم القصص ما رآه مصلحة ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد، فقال:

[الله لا إله إلا هو الحى القيوم](١).

وفيما تقدم بين الرازي فوائد ترادف وتناسب المقاطع، والحكمة في تنويع و ربط مقطع بمقطع.

/١٣ ثم ذكر أن هذه الآية هي بداية مايتعلق بالتوحيد التي شكلت ابتداءً من هذه الآية مقطعاً ينتهي عند قوله تعالى:

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

حيث قال الرازي: اعلم أنه سبحانه لما ذكر من بيان أصول العلم بالمبدأ وبالمعاد ومن دلائل صحتهما ما أراد أتبع ذلك ببيان الشرائع والأحكام والتكاليف (٢).

ويفيد كلام الرازي عند هذه الآية أن هذه الآية وما بعدها بيان الأحكام والتكاليف حيث استمر الحديث عنها إلى آخر السورة.

/١٤ ويؤكد هذا ما قاله عند قوله تعالى:

لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

إذ قال:" في كيفية النظم وجوه (الأول) قال الأصم: إنه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الأصول، وهو دليل التوحيد والنبوة، وأشياء كثيرة من علم الأصول ببيان الشرائع والتكاليف، وهى في الصلاة، والزكاة، والقصاص، والصوم، والحج،والجهاد، والحيض، والطلاق، والعدة، والصداق، والخلع، والإيلاء، والرضاع، والبيع، والربا، وكيفية المداينة، ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الآية على سبيل التهديد"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ٢/٧ .

(٢) المصدر السابق ٤٣/٧ .

(٣) مفاتيح الغيب ١٢٣/٧ .

الفصل الثامن : مناسبات أجزاء السورة .

كيفية ربط الرازي لأجزاء السورة :

معلوم أن أجزاء السورة تشمل جميع آيات السورة ،ومقاطعها والناظر في تفسير الرازي، ثم فيما تقدم من دراسة لربط الرازي لآي سورة البقرة يرى أنه لاتكاد تخلو آية من وقفة للرازي يربطها فيها بما قبلها أو بما بعدها؛ وبربط آيها على هذه الطريقة تصبح السورة مترابطة لا انفصال فيها حتى لكأنها أنزلت دفعة واحدة مع أنها أنزلت منجمة على حوادث، ووقائع، وأسئلة مختلفة في سنين عديدة .

ثم يؤكد ترابط أجزائها ماتقدم من ربط مقاطعها بحوادثها المتفرقه وأحكامها المتنوعه، وكما تقدم إن الرازي تحدث عن مقاطعها وعلاقة كل مقطع بما قبله وبين كيف اشتملت على الأحكام يعقبها القصص ويتخللها الوعظ وغير ذلك مما تقدم في ربط المقاطع .

وقد أشار في أكثر من موطن إلى اتصال موضوعات السورة وارتباط أولها بوسطها وارتكاز مافي خاتمتها على ما افتتحت به وهنا نماذج مما قال في ترابط هذه السورة فمن ذلك :

١/ عند قوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾

قال الفخر الرازي:"اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولاً ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود كسراً لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة واستمالة لقلوبهم بسببها وتنبها على مايدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونها إخباراً عن الغيب، واعلم أنه سبحانه ذكرهم تلك النعم أولا على سبيل الإجمال....، ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع"(١).

وهكذا جعل الرازي هذه الآية مرتكزاً للجزء الذي تقدمها، وهو ماتضمنه أول السورة من التذكير بنعم الله على عامة بني آدم بإجمال ثم أشارإلى أنه بدءاً من هذه الآية بدأ تفصيل تلك النعم ثم أشاد بحسن ترتيب القرآن في قوله " ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب ".

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٩/٣ .

٢/ ذكر الرازي أن الآيات من قوله تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

هي بداية جزء جديد حيث قال:"اعلم أنه لما ذكر قبائح أفعال أسلاف اليهود إلى ههنا، شرح من هنا قبائح أفعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم"(١).

وهذا الجزء يمتد إلى نهاية الحديث عن تفصيل الأحكام، وخلال ذلك بين الله موقفهم من شريعتهم وأنبيائهم وما كلفوا به وموقفهم من جبريل وإبراهيم ومحمد عليهم السلام وشمل الحديث النصارى لاتفاقهم مع اليهود في موقفهم من القرآن وشريعة محمد عليه الصلاة والسلام كالنسخ وأمر القبلة وغيرها.

٣/ ومن جنس ربط أجزاء السورة ماقاله عند قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾

إلى قوله تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

حيث قال:"اعلم أنه سبحانه وتعالى لما استقصى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم وختم هذا الفصل بما بدأ به وهو قوله:

[يابني إسرائيل اذكروا نعمتي] إلى قوله [ولا هم ينصرون]

شرع سبحانه ههنا في نوع آخر من البيان وهو أن ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وكيفية أحواله"(٢)

٤/ وقال عند قوله تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

:"اعلم أنه تعالى لما حاج اليهود في هؤلاء الأنبياء عقبه بهذه الآية"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب ١٣٢/٣ .

(٢) المصدر نفسه ٣٣/٤ .

(٢) المصدر نفسه ٩٠/٤ .

٥/ وعند قول الله تعالى:

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾

فقال: "اعلم أنه تعالى لما بين بالدلائل التي تقدمت صحة دين الإسلام حكى بعدها أنواعاً من شبه المخالفين الطاعنين في الإسلام"(١).

٦/ وعند قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ١٦٥﴾

قال الرازي: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلائل القاهرة القاطعة أردف ذلك بتقبيح مايضاد التوحيد لأن تقبيح ضد الشيء مما يؤكد حسن الشيء؛

ولذلك قال الشاعر: وبضدها تتبين الأشياء"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب ٨٠/٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٠٤/٤.

٧/ وعند قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

قال الرازي:"اعلم أنه تعالى لما بين التوحيد ودلائله، وما للموحدين من الثواب وأتبعه بذكر الشرك ومن يتخذ من دون الله انداداً،ومن يتبع رؤساء الكفرة أتبع ذلك بذكر إنعامه على الفريقين وإحسانه إليهم وأن معصية من عصا هو كفر من كفر به تؤثر في قطع إحسانه ونعمه عنهم ،فقال:

[ياأيها الناس كلوا مما في الارض] (١)

٨/ وعند قوله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

قال الفخر :"اعلم أن هذه الآية شبيهة بما تقدم من قوله:[كلوا مما فى الارض حلا لا طيباً] ثم نقول :إن الله سبحانه وتعالى تكلم من أول السورة إلى هنا فى دلائل التوحيد والنبوة واستقصى فى الرد على اليهود والنصارى، ومن هنا شرع في بيان الأحكام"(٢).

وكلامه في هذا الموضع أنموذج من ربط الرازي لأجزاء السورة، بين فيه الرازي أن أول السورة تضمن إثبات التوحيد، والنبوة، وهو الأساس الذي تقوم عليه الشرائع .

ثم ابتدأمن هذه الآية بتفصيل الأحكام فكانت هذه الآية بداية لجزء مرتكز على أجزاء السورة المتقدمة .

---

(١)مفاتيح الغيب ٢/٥ .

(٢)المصدر السابق ٩/٥ .

٩/ وربط الرازي أجزاء السورة عند قوله تعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾

فقال: "اعلم أن من عادته سبحانه وتعالى في هذا الكتاب الكريم أنه يخلط هذه الأنواع الثلاثة بعضها بالبعض، أعني علم التوحيد، وعلم الأحكام، وعلم القصص، والمقصود من ذكر القصص إما تقرير دلائل التوحيد، وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف، وهذا الطريق هو الطريق الأحسن لا إبقاء الإنسان في النوع الواحد لأنه يوجب الملال، فأما إذا إنتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ويفرح به القلب، فكأنه سافر من بلد إلى آخر وانتقل من بستان إلى بستان آخر، وانتقل من تناول طعام لذيذ إلى تناول طعام آخر، ولا شك أنه يكون ألذ وأشهى، ولما ذكر فيما تقدم من علم الأحكام ومن علم القصص ما رآه مصلحة ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد، فقال الله: [لا إله إلا هو الحى القيوم]"(١).

وكلامه هنا يدل على أن هذه الأجزاء المبدوءة بما تقدم من آيات متصل ومترابط بعضها ببعض.

١٠/ وفي ربط قوله تعالى:

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾

بماقبله قال الرازي:

"اعلم أنه سبحانه لما ذكر من بيان أصول العلم بالمبدأ وبالمعاد ومن دلائل صحتهما ما أراد أتبع ذلك ببيان الشرائع والأحكام والتكاليف"(٢).

ثم قال: "(فالحكم الأول) في بيان التكاليف المعتبرة في إنفاق الأموال"(٣).

ومن هذه الآية يبدأ الجزء الأخير المتضمن بيان بعض الأحكام ويؤكد هذا ماقاله الرازي في ختام هذه السورة.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢/٧.

(٢) مفاتح الغيب ٤٣/٧.

(٣) المصدر نفسه ٤٤/٧.

١١/ وعند قوله تعالى : ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

قال الرازي في كيفية النظم وجوه (الأول) قال الأصم: إنه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الأصول، وهو دليل التوحيد والنبوة، وأشياء كثيرة من علم الأصول ببيان الشرائع والتكاليف، وهي في الصلاة، والزكاة، والقصاص، والصوم، والحج، والجهاد، والحيض، والطلاق، والعدة، والصداق، والخلع، والإيلاء، والرضاع، والبيع، والربا، وكيفية المداينة، ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الآية على سبيل التهديد ...(١).

١٢/ وعند قوله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

ربط الرازي هذه الآية بأول السورة فقال: "إنه بدأ في السورة بمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وبين في آخر السورة أن الذين مدحهم في أول السورة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال [والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله] وهذا هو المراد بقوله في أول السورة [الذين يؤمنون بالغيب].

---

(١) مفاتيح الغيب ١٢٣/٧ .

وقال الرازي :

" ثم قال ههنا : وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

وهو المراد بقوله في أول السورة :

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

ثم قال ههنا : غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ

وهو المراد بقوله في أول السورة وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرعهم إلى ربهم في قوله :

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا إلى آخر السورة .

وهو المراد بقوله في أول السورة :

أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها "(١).

وهذا ربط من الرازي لآخر السورة بأولها، مناسب لماتضمنته من أحكام، وقصص، وأخبار، وهو مايعرف بحسن الختام .

ومما قال في ختامها : " ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه، ونظم آياته ولعل الذين قالوا : إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته

والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا به بفضله ورحمته "(٢).

وبهذا تتم الأمثلة التطبيقية لمناسبات سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٧/ ١٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ١٢٨/٧ .

وفي ختام هذه الدراسة التطبيقية لمناسبات سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي التي حاولت فيها الوقوف على طريقة الرازي في استنباط مناسبات القرآن الكريم وذلك :

بحصر ما يدخل في نوع من أنواع المناسبة ضمن نوعه كمناسبة أجزاء الآية ، ومناسبة الآية للآية ، ومناسبة المقاطع، وأجزاء السورة .

واجتهدت في الوفاء بما تضمنته الخطة لإبراز طريقة الرازي في ربط كل الأنواع المتقدمة، وربما يتطلب الموضع تكرار المثال في أكثر من موضع، وتكراره لأكثر من مناسبة، وتكراره في مثل هذا لفوائد تتطلبها هذه المواضع،ولأن المراد هو الإشارةوالتنبيه على طريقة الرازي في ذلك.

ومما تقدم في هذه الدراسة يتضح مايلي :

- وثوق الرازي، واهتمامه بتناسب القرآن وترابطه ، ويؤكد ذلك مافي الصفحة السابقة .
- أن تفسير الرازي تضمن أنواعاً عديده من أوجه التناسب،
- اعتناءه بربط أجزاء الآية الواحدة ،ووجه ترابط جملها وكلماتها .
- أن التذييل والفاصلة،تناسب ما تضمنه صدرها ، و تتمم معناه وتؤكده .
- أن الرازي يذكر أوجه تعلق الآية بالآية ،وقد يربطها بسابقتها،أوبآية تسبقها بعدة آيات .
- أنه يربط عدة آيات ببعضها ويبين وجه ترابطها ، واتصالها .
- أنه يهتم بربط المقاطع، وأجزاء السورة .
- أنه يعتمد في ربطه لأنواع المناسبة على دلالة السياق، أو على مايقتضيه النظم ، وأوجه البلاغة .
- أنه يستعين في ربطه بأسباب النزول .وبما يبلغه من أحاديث .
- أن من طرق تبيينه للتناسب طرح إشكال في كيفية الاتصال، ثم يجيب عليه ، وقد يورد سؤالاً عن وجه تعلقها أوتناسبها ، ثم يوضح ذلك الوجه . - استناده في بعض منها على أقوال من سبقه من المفسرين .
- أنه يذكر عدةأوجه للتناسب وقد يرد بعضها ،ومن أوجه الربط عنده :
- أن الفاضل يقدم على المفضول.
- أن المشاكلة والمماثلة رابط صحيح يجمع بهما بين المتماثلين.
- أن تقديم لفظ أو تأخيره مؤثر في السياق واعتدال نسق الكلام .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،وله الحمد أن هدانا بالآيات البينات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد

فقد تبين مما تقدم أن القرآن واضح البيان ،ساطع البرهان،متناسب السور،والمقاطع، والآيات ، أدرك ذلك فيه كل من سمع آيه من أولي الألباب ؛فكان العلم بتناسب القرآن من أنفع العلوم وأشرفها،وقد يسرالله بفضله ومنه الانتهاء من دراسة علم المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقة للمناسبات في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير "مفاتيح الغيب" للفخر الرازي .

ونتج عن هذه الدراسة مايلي :

١) أن هذا العلم نشأ مع ظهور التفسير بعد تنزل القرآن مباشرة ، ثم تطور إلى أن صار علماً مستقلا .

٢)أن استنباط المناسبة من التدبر المأمور به، ويشترط لقبوله مايشترط لقبول التفسير .

٣)ينبغي للباحث في التناسب أن يبتعد عن التكلف، أو الجزم بأن مايصل إليه هو مراد الله.

٤) المطبوع من تفسير الفخر الرازي وما وقفت عليه من مخطوط يشير إلى أن الرازي لم يتم تفسيره، ولكن المصادر تجزم أن تفسير الفاتحة والبقرة له من غير شك .

٥)أن معظم ما يربط به الرازي بين الايات مما تقبله العقول ومما يتفق مع القواعد الشرعية .

٦)أن ماخالف ذلك فهو ناتج من إخضاع المناسبة لآراء الرازي ومذهبه، بعيداً عما صح في السنة الشارحة والمبينة للقرآن .

وأسأل الله أن يعلمنا ماينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً ثم أختم بما ختم الله به(سورة البقرة)في قوله سبحانه :[رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ].

جامعة أم القرى مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
٣٦٥

الفهارس

فهرس للآيات القرآنية الواردة في الدراسة النظرية (*) وأرقام صفحاتها.

الآيـــــة ورقمها		رقم الصفحة
‹ الفاتحة ›		
اهدنا الصراط المستقيم	(٦)	١٠١، ١٤٨
‹البقرة ›		
الم	(١)	٧٨،١٠١،١٦٦
ذلك الكتاب لا ريب فيه	(٢)	٧٨،١٠١،١٤٨،١٦٦
وإذا قيل لهم لا تفسدوا	(١١)	١٠٠
وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس	(١٣)	١٠٠
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون	(١٥)	٧٨
ياأيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم	(٢١)	٧٥ ،٩١، ١٥٤
الذي جعل لكم الأرض فراشا	(٢٢)	١٥٤
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا،	(٢٣)	١٥٤
إن الله لا يستحيى	(٢٦)	٨٠
كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم	(٢٨)	١٥٦
أتجعل فيها من يفسد فيها	(٣٠)	٤٧
إني جاعل في الأرض خليفة	(٣٠)	٤٧
يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت	(٤٠)	١٣٩
وءامنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم	(٤١)	١٣٩
واستعينوا بالصبر والصلاة،	(٤٥)	١٣١
واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً	(٤٨)	١٣٩
وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم	(٥٤)	١٤٢
وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد	(٦١)	١٣٠
وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور	(٦٢)	١٤١
بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك	(٨١)	١٣٨
والذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك	(٨٢)	١٣٨
واذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل،	(٨٣)	١٣٥
ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل	(٩٢)	١٤١
ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها	(١١٤)	١١٢
ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا	(١١٥)	١١٢
كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم	(١١٨)	١١٢
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى	(١٢٥)	٣١
وإذ قال إبراهيم،	(١٢٦)	١٦٦
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم	(١٢٧)	٨١
وإذ يرفع إبراهيم القواعد،	(١٢٧)	١٦٦
ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه،	(١٣٠)	١٤٠
وقالوا كونوا هوداً أونصارى	(١٣٠)	١٤٠
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا	(١٣٦)	١٤٠
ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله،	(١٤٠)	٨١
تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ماكسبتم	(١٤١)	١٢٩
سيقول السفهاء من الناس ماولاهم	(١٤٢)	١٤٠
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام،	(١٤٩)	١٤٧
كما أرسلنا فيكم رسولا	(١٥١)	٦٧،٧٦،٧٩،١٤٧
فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون	(١٥٢)	٧٩
إن الصفا والمروة من شعائر الله	(١٥٨)	٣١
إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل	(١٦٤)	١٢٨
ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً	(١٦٥)	٨١

* تركت فهرسة ما في الدراسة التطبيقية؛ لأنها تحتاج إلى سرد كامل لآيات سورة البقرة مما يقتضي إثقال الفهارس، ثم إن الآيات مرقمة في مواضعها .

الآيـــة ورقمها	رقم الصفحة
‹البقرة›	
بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا (١٧٠)	١٢٧
ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع (١٧١)	١٢٧
يأيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات، (١٧٢)	٨٢، ١٢٨
إنما حرم عليكم الميتة والدم (١٧٣)	٨٢
ليس البرأن تولوا وجوهكم قبل المشرق (١٧٧)	٤٧
ولكن البر من آمن بالله ، (١٧٧)	٤٧
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، (١٨٥)	١٣٧
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، (١٩٣)	٣٨
وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم (١٩٦)	٤٥
فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج (١٩٦)	٤٥
فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله (١٩٨)	٩٢
فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم (٢٠٠)	٧٥، ٩٢
فمن الناس من يقول ربنآ ءاتنا في الدنيا (٢٠٠)	٧٥،٩٢
ومنهم من يقول ربنآ ءاتنا في الدنيا، (٢٠١)	٧٥
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم (٢٠٤)	١٣٢
يأيها الذين ءامنوا ادخلو في السلم كافة (٢٠٨)	١٢٩
هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل (٢١٠)	١٥٥
ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير، (٢٢٠)	١٣٣
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (٢٣٨)	١٣٤، ١٤٧
ومن الناس من يعجبك، (٢٤٠)	١٢٩
ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف (٢٤٣)	١٣٠
وقاتلوا في سبيل الله واعلموا، (٢٤٤)	١٣٣
من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضعفه (٢٤٥)	١٣٣
وإن كنتم على سفر ، (٢٨٣)	٨١
لله ما في السموات وما في الأرض (٢٨٤)	٨١، ١٠١، ١٣٦، ١٥٥
وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه، (٢٨٤)	١٣٩
ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه (٢٨٥)	١٣٩
‹ آل عمران ›	
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا (٨)	٨٨
وهب لنا من لدنك رحمة، (٨)	١٤٩
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب (٢٣)	٩٦
هذا بيان للناس وهدى (١٣٨)	٨٣
وإذ أخذالله ميثاق الذين أوتوا الكتاب (١٨٧)	٣٧
لا تحسبن الذين يفرحون بماأتو ويحبون (١٨٨)	٣٧
‹النساء›	
وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى، (٣)	٣٧
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات (٥٨)	٩٦
أفلا يتدبرون القرءان ولو كان (٨٢)	٢
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه (٨٢)	٧٣،١١٦
أنزله بعلمه والملائكة يشهدون (١٦٦)	١٤٩
‹المائدة›	
يأيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم، (١٠٥)	٣٨
‹الأنعام›	
ولقد استهزئ برسل من قبلك، (١٠)	١٤٩
الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم (٨٢)	٣٠
قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً (١٤٥)	٨٢
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم (١٥١)	٣٢
‹الأعراف›	
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى، (٥٢)	١١٥
ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا (١٧٢)	٣١

الآيـــة ورقمها	رقم الصفحة
‹التوبة›	
ولو أنهم رضوا ما آتهم الله ورسوله، (٥٩)	١٢١
‹ هود ›	
كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١)	٦، ١١، ١٢٥
‹ يوسف ›	
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا (٨٠)	٢٩
‹ الرعد ›	
وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله (٣٨)	٧٠
‹ إبراهيم ›	
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، (٤)	٣٤
وأحلوا قومهم دار البوار* جهنم يصلونها (٢٨،٢٩)	٥٨
‹ الحجر ›	
وقل إني أنا النذير المبين ، (٨٩)	٦٧
فاصدع بماتؤمر (٩٤)	٢٩
‹ النحل ›	
وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ، (٤٤)	٢٥، ١٠٢
إن الله يأمر بالعدل والإحسان (٩٠)	٦٠
‹ الإسراء ›	
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا (٨٨)	٣٢، ٣٩، ٤٨
‹ مريم ›	
هل تعلم له سميا (٦٥)	١٥٩
‹ طـــه ›	
الرحمن على العرش استوى (٥)	١٥٩
ولا يحيطون به علما، (١١٠)	١٥٩
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ، (١١٣)	٦٧
‹المؤمنون ›	
قد أفلح المؤمنون (١)	١٤٨
إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا (٣٧)	١٥٦
‹ الفرقان ›	
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده (١)	٢٥
‹ الشعراء ›	
بلسان عربي مبين (١٩٥)	٧٣
‹النمل ›	
إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل (٧٦)	٨٣
‹ القصص ›	
ولقد وصلنا لهم القول لعلهم ، (٥١)	٦٧
‹ العنكبوت ›	
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (٤٥)	١٣٤
‹الروم ›	
الم غلبت الروم.. (١)	٣٥
أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان (٩)	٧٠
‹ لقمان ›	
إن الشرك لظلم عظيم (١٣)	٣٠
‹ السجدة ›	
أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون (٢٦)	١٦، ٩٠
أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز (٢٧)	١٦، ٩٠
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (١٠)	١٥٩
‹ الأحزاب ›	
قل لأزواجك إن كنتن تردن (٢٨)	٤٥
لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن (٥٢)	٤٥

الآيـــة ورقمها	رقم الصفحة
‹ فاطر ›	
إنما يخشى الله من عباده العلماء (٢٨)	١٣٧
‹ الصافات ›	
طلعها كأنه رءوس الشيطين (٦٥)	٤٦
‹سورة ص ›	
كتب أنزلنه إليك مبارَكٌ ليدبروا ءايته (٢٩)	٥، ١٢، ١٢٧
قل ماأسألكم عليه من أجر (٨٦)	٣٥
‹ الزمر ›	
كتاباً متشابهاً مثاني (٢٣)	١١٥
قرآناً عربياً غير ذي عوج (٢٨)	٧٣
كذبت قبلهم قوم نوح (١٢)	٦٩
‹غافر ›	
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (١،٢)	٦٩
غافر الذنب وقابل التوب (٣)	٦٩
ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا (٤)	٦٩
وكذلك حقت كلمة ربك ، (٦)	٦٩
هو الذي يريكم ءايته (١٣)	٧٠
ألم ترإلى الذين يجدلون في ءايت الله (٦٩)	٧٠
الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا (٧٠)	٧٠
‹ فصلت ›	
حم* (١)	٢٧
تنزيل من الرحمن الرحيم (٢)	٢٧
كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً (٣)	٢٧
أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (١٣)	٢٧
إن الذين يلحدون في آياتنا (٤٠)	٧٠
إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم (٤١)	٧٠
‹ الشورى ›	
وكذلك أوحينا إليك قرءاناً (٧)	٢
ليس كمثله شيء (١١)	١٥٩
‹الدخان ›	
فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (١٠)	٣٥
إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون (١٥)	٣٦
ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩)	١٢٢
‹ محمد ›	
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٢٤)	١١٣، ١٢٧
‹ القمر ›	
ولقد يسرنا القرآن للذكر، (١٧)	٨٣
بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (٤٦)	٣٣
‹ الجمعة ›	
هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم (٢)	٢٥
‹ المدثر›	
ذرني ومن خلقت وحيدا (١١)	٢٦
‹ القيامة›	
بل الإنسان على نفسه بصيره (١٤)	٦٧
لا تحرك به لسانك لتعجل به.. (١٦)	٦٧
كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخره (٢٠)	٦٧
‹ البروج ›	
بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ (٢١،٢٢)	١١٥

فهرس الحديث والآثار
وأرقام صفحاتها.

طرف الحديث	رقم الصفحة
أبدأ بما بدأ الله به	٣١
أتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن مشكم في	٣٢
أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل ...	٣٦
أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني بعرفة	٣١
إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً	٣٨
أعطيت مكان التوراة السبع الطوال	٩٨
ألا إن القوة الرمي	٣٠
أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله	٣٢
إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث	٢٢٢
إن الناس قد ضيعوا وأنت ابن عمر ،وصاحب النبي	٣٨
إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي	٢٦
إنك لعريض القفا؛إن أبصرت الخيطين ثم قال	٣٠
إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن، ويتقفرون العلم	٤٠
إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه:	٣٠
أوفهماً يعطيه الله رجلا في القرآن	١١٣
(الفاء)	
فأنزل الله بعده [من الفجر] فعلموا	٣٠
فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت	٣١
(القاف)	
قال الله تعالى :قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	١٧٠ ، ١٨٤

طرف الحديث	رقم الصفحة
(الكاف)	
كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت	٢٢٧
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف	١٢١
(اللام)	
لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذي	١٩٠
لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا	٣١٢
الجماعة رحمة والفرقة عذاب	١٧٨
اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم	٣٥
(المحلى بال)	
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	١١٣
المغضوب عليهم اليهود	١٨٦
الولاء لحمة كلحمة النسب	١٥
(الميم)	
مازالت أكلة خيبر تعاودني؛ فهذا أوان	٢٦٣
من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل	٣٥
من يبايعني على هولاء الآيات ثم قرأ	٣٢
(الواو)	
وإن هذا الذي جئتنا به لانراه متناسقاً	٣٢
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا	٣١
ولا الضالين قال : النصارى.	١٨٦
(الياء)	
ياأم المؤمنين أريني مصحفك	٣٣

فهرس بأشهر العلماء الذين تناولوا المناسبة في القرآن الكريم ومؤلفاتهم فيها.

تقدم في الدراسة التاريخية أن جذور هذا العلم تمتد إلى زمن تنزل القرآن وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إلى تفاسير الصحابة والتابعين ،ثم اهتم به وأشاد كثير من علماء الأمة عبر العصور ومن أشهر أولئك :

١- الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت١٥٠ -٢٠٤هـ)وهوأول من أكد على السياق في كتابيه (الرسالة ،والأم)

٢- أبو عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)في كتابه (نظم القرآن).

٣- الإمام أبو محمد عبدالله بن قتيبة(٢١٣-٢٧٦هـ) في كتابه(تأويل مشكل القرآن).

٤- الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٢١٠هـ)بين شيئاً من ترابط آي القرآن في تفسيره(جامع البيان في تفسير آي القرآن).

٥- ألف محمد بن يزيد الواسطي(ت٣٠٧) كتابه(نظم القرآن) ويعرف باسم(إعجازالقرآن في نظمه وتأليفه).

٦- ألف أبوبكر السجستاني(٣١٦هـ)كتاباًفي نظم القرآن .

وابن الاخشيد أحمد بن علي أبو بكرالمعتزلي(٣٢٦هـ)،وكذاالحسن بن علي بن نصر وأبو زيد البلخي (٣٢٢هـ)

٧- عبدالله بن محمد بن زياد بن واصل ابو بكر الفقيه النسيابوري مولي أبان بن عثمان(٣٢٤هـ) اعتبره عدد من العلماء أول من أظهر المناسبة.

٨- علي بن الحسين الرماني (ت٣٨٦هـ) في كتابه(النكت في إعجاز القرآن).

٩- أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في كتابه (الصناعتين).

١٠- أبوسليمان حمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في رسالته(بيان إعجاز القرآن).

١١- أبو بكر بن الطيب الباقلاني(ت٤٠٣هـ) في كتابه (إعجاز القرآن).

١٢- القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) تعرض للكلام عن إعجاز القرآن في عدد من كتبه.

١٣- الشيخ ابو محمد الجونيني عبدالله بن يوسف بن محمد(ت٤٣٨هـ) تعرض للتناسب في (التفسير الكبير).

١٤- محمود بن حمزة الكرماني في (لباب القرآن المعروف بالعجائب).

١٥-الإمام عبد القاهربن عبدالرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)صاحب نظرية النظم في كتابه (دلائل الإعجاز).

١٦- محمد بن عبدالله بن محمد المعافري ابن العربي القاضي(ت/٥٠٥هـ) له أنوار الفخر المنير في التفسير (في ثلاثين مجلد) سراج المريدين وهو ممن أشاد بهذا العلم.

١٧-الإمام محي السنة الحسين ابن مسعود البغوي (ت٥١٥هـ)في تفسيره معالم التنزيل في مواضع قليلة.

١٨- محمود بن عمر جار الله الزمخشري(٥٣٨هـ)في تفسيره (الكشاف عن حقائق التنزيل).

١٩- أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي(ت -٥٤١) تعرض له بقلة في تفسيره (المحرر الوجيز الكتاب العزيز على أصح الأقوال).

٢٠-القاضي عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)أشار إلى أنه أحد أوجه الاعجاز في (الشفابتعريف حقوق المصطفى).

٢١- الإمام ابو عبدالله محمد بن عمر التيمي البكري الرازي(ت٦٠٦هـ)في التفسير الكبير (مفاتيح الغيب).

٢٢- علي بن أحمد ابو الحسين الحرالي(ت٦٣٧ هـ) في كتاب (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل).

٢٣- عبد الواحد بن عبدالكريم بن خلف الزملكاني(ت٦٥١هـ) في كتابه (البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)

٢٤- عبدالله بن عمر البيضاوي(ت٦٨٥هـ) في (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)المعروف بتفسير البيضاوي .

٢٥- محمد بن سليمان بن الحسن ابو الحسن الحنفي(ت٦٩٨هـ) له تفسيرفي سبعين أو مائة مجلد(التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير) اهتم فيه بمناسبات آي القصص القرآني .

٢٦- ابو جعفر احمد بن الزبير الغرناطي(ت٧٠٨هـ) شيخ أبي حيان له كتاب(البرهان في تناسب سور القرآن).

٢٧-أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام الحراني(ت٧٢٨ هـ)في مواضع من(مجموع الفتاوى).

٢٨- الحسين بن محمد النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان(ت٧٢٨ هـ).

٢٩- محمود بن عبدالرحمن بن أحمد ابو الثناء الاصبهاني(ت٧٤٩هـ) أبو الثناء الشافعي في (أنوار الحقائق البيانية في تفسير الآيات القرآنية وغيره).

٣٠- محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي ابن القيم الجوزية (ت٧٥١ هـ) في(الفوائد المشوق إلى علوم القرآن)وفي (بدائع الفوائد).

٣١- محمد بن يوسف ابو حيان الاندلس الغرناطي (ت٧٥٤ هـ)في تفسيره (البحر المحيط).

٣٢ - تاج الدين السبكي وهو عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي في السبكي(ت٧٧١هـ)(في تذكرته).

٣٣ - ابن كثير اسماعيل بن كثير القرشي(ت٧٧٤هـ) أورده في مواضع من تفسيره (تفسير القرآن العظيم).

٣٤- وممن تعرض لها باستيعاب وتوسع الإمام بدر محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)في كتابه(البرهان في إعجاز القرآن) .

٣٥- محمد بن أحمد بن إبراهيم الملوي (ت٨٠٧هـ) نسب إليه الزركشي وغيره الإقرار بتناسب القرآن، والدفاع عنه .

٣٦- علي بن أحمد بن إبراهيم المهائمي(ت٨٣٥ هـ) في تفسيره (تبصير الرحمن وتيسير المنان).

٣٧- الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ) في (نظم الدرر في تناسب الآي والسور).

٣٨- عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي جلال الدين وله موسوعة(قطف الأزهار في كشف الأسرار)أفرد منه :

- تناسق الدرر في تناسب السور وهو في مناسبة السورة للسورة .
- ومراصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع.

٣٩- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ) في تفسيره (ارشاد العقل السليم).

٤٠- الخطيب الشربيني محمد بن محمد الشافعي (ت٩٧٧ هـ)في كتابه (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير)

٤١- شهاب الدين الخفاجي أحمد بن محمد (ت١٠٦٩هـ)في حاشيته على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي).

٤٢- سليمان بن عمر العجيلي "الجمل"(ت ١٢٠٤هـ)في (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين).

٤٣ - محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) له في تفسيره (فتح القدير)بعض المناسبات وإن كان لا يوافق على بعض صوره .

٤٤ - الالوسي محمود بن أفندي شهاب الدين (ت/١٢٧٠ هـ)

٤٥- عبد الحميد الفراهي (ت قبل ١٣٥٠هـ) له عدة رسائل منها(فاتحة تفسير نظام القرآن) من كتابه (نظام القرآن).

٤٦ - محمد عبده (ت١٣٢٣هـ)في (تفسير جزء عم).

٤٧- عبد العزيز جاويش (ت١٣٤٧هـ) في كتابه (أسرار القرآن).

٤٨- محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) في (تفسير المنار).

٤٩- أحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٥٦هـ) في تفسيره .

٥٠ - مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ)في كتابه (اعجاز القرآن).

٥١- الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ)في (تيسيرالكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).

٥٢- محمد عبدالله دراز(ت١٣٧٧هـ) في كتابه (النبأ العظيم).

٥٣- سيد قطب (ت١٣٨٧هـ)في تفسيره (في ظلال القرآن)

٥٤- محمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣) في (تفسير التحرير والتنوير.)

٥٥- سعيد حوى(ت١٤٠٩هـ) في كتابه (الأساس في التفسير).

٥٦- د.محمد أحمد يوسف القاسم في(الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم).

٥٧- د. فتحي أحمد عامر في كتابه (فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم).

٥٨- د. حفني محمد شرف في كتابه (إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق)

المصادر والمراجع :(*)

- الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا ط١ -١٤٠٧ هـ دار ابن كثير دمشق - بيروت .
- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي طبعة دار الفكر بيروت .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) ط،دارإحياء التراث العربي ،بيروت.
- أساس البلاغة لمحمود بن عمر جارالله الزمخشري تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ، طبع دار المعرفة بيروت
- الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى ط.دار السلام (ط١) القاهره .
- أسباب النزول لأبي الحسين علي بن الواحدي (ط٢) دار القبلة ١٤٠٤هـ .
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠ هـ)تصوير دار الحديث القاهرة .
- أصول التفسير لابن تيميه ٨١ تحقيق د.عدنان زرزور، ط١ دارالقرآن الكريم/ الكويت
- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم د.محمد أحمد يوسف القاسم ،ط ١ دار المطبوعات الدولية الأولى ١٣٩٩هـ.
- إعجاز القرآن للباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب تحقيق السيد أحمد صقر (ط٣)دار المعارف بمصر .
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ١٣٩٣هـ.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء لخير الدين الزركلي ، طبع دار العلم للملايين، الطبعة السادسة ١٩٨٤ .
- الاكسير في علم التفسير سليمان بن عبد الكريم الصرصري الطوفي تحقيق د.عبد القادر حسين طبع المطبعة النموذجيه مصر.
- الأم تأليف الإمام الشافعي (ت ٢٠٤/هـ) ط ٢ دار الفكر بيروت.
- الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره للدكتور على العماري (ط١) القاهرة .

(*) تحتوي هذه القائمة على مانقلت منه فقط .

- إمعان النظرفي نظام الآي والسور رسالة ماجستير للباحث محمد عناية الله في جامعة الإمام عام ١٤٠١هـ،

- الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السنة المحمديه .

- الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن د.عبد الرؤوف مخلوف ط،دارمكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨ م

- البحر المحيط تفسير محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ط٣) دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ.

- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي بخط الآله .

- البدايه والنهاية لابن كثير (ط١)دار الكتب العلمية بيروت .

- البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، تحقيق د. سعيد الفلاح طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،١٤٠٨هـ.

- البرهان في علوم القرآن للزركشي مصورة عن طبعة أبو الفضل محمد إبراهيم .

- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن تأليف كمال الدين عبد الواحد الزملكاني (ط١) العاني بغداد نشر الأوقاف العراقية .

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي المكتبة العلمية، توزيع دار الباز .

- بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،ت،محمد خلف الله ومحمد زغلول .مصر

- تاج العروس للزبيدي الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية مصر سنة ١٣٠٦هـ

- تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين نقله إلى العربية د.محمود فهمي حجازي .ط جامعة الإمام ١٤٠٣هـ

- تاريخ بغداد أومدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد علي بن الخطيب دار الكتب العلميه- بيروت .

- تأويل مختلف الحديث لعبدالله بن مسلم بن قتيبة تحقيق محمد محي الدين الأصفر (ط١) المكتب الإسلامي بيروت سنة ١٤٠٩هـ .

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر (ط٢) دار التراث القاهرة .

- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ .

- تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي بيروت دار إحياء التراث العربي .
- التعريفات للشريف على بن محمد الجرجاني الطبعة الأولى بيروت دار الكتب العلمية .
- تفسير قتاده رضي الله عنه (ت /١١٧هـ) دراسة للمفسر ومنهج تفسيره لعبدالله أبي السعود
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت
- تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي طبع دار إحياء التراث بيروت ١٣٨٨هـ.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)
- تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ط الحلبي.
- التفسير والمفسرون د.محمد حسين الذهبي دار الكتب الحديثة توزيع دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز مكه المكرمه (ط٢)
- التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور دار الكتب الشرقية تونس (ط٢) ١٩٧٢ م .
- تفسير النسائي تحقيق سيد الجليمي وصبري الشافعي، مكتبة السنة، ط١، ١٤١٠هـ
- التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني ط دار الفكر العربي .
- التلخيص للحافظ الذهبي على هامش المستدرك للحاكم تصوير دار المعرفة بيروت .
- تنزيه القرآن عن المطاعن إملاء عماد الدين عبد الجبار ابن أحمد ط دار النهضة الحديثه بيروت لبنان .
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق/عبدالسلام هارون وآخرون نشر دار القومية العربي ١٣٨٤هـ مصر.
- تيسير الكريم الرحمن للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي تقديم محمد زهري النجار مطبعة المدني بجده ١٤٠٨هـ .
- الجامع الصحيح للبخاري، المتن مع حاشية السندي ، طبع دار المعرفة بيروت، لبنان .
- الجامع لأحكام القرآن لابي عبدالله محمد الانصاري القرطبي نسخة مصوره ببيروت .
- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن حسين الأزدي ط، الحلبي، مصر .

- جواهر القرآن في تناسب سور القرآن لعبد الله محمد الصديق الغماري . مطبعة محمد عاطف وسيد طه توزيع مكتبة القاهرة مصر.
- حاشية شهاب الدين الخفاجي على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي).
- دقائق التفسير لابن تيمية تحقيق محمد السيد الجليند .مؤسسة علوم القرآن دمشق، وبيروت (ط٢)
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني بعناية محمد رشيد رضا ،ط دار المعرفة لبنان ١٤٠٢هـ.
- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي (ط١) دار الكتب العلميه ببيروت. ١٤٠٥ هـ.
- الرازي مفسراً أد.محسن عبدالحميد(ط ١)دار الحرية بغداد ١٣٩٤هـ.
- الرازي وآراءه النحوية والصرفية رسالة دكتوراة في جامعة أم القرى لمحمد هنادي .
- الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل
- رسائل الجاحظ جمع وعناية عبدالسلام هارون نشر مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٩ هـ.
- رسالة الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية.
- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي تحقيق محمود شاكر نسخة مصورة من طبعة مصطفى الحلبي .
- رسالة في القرآن ضمن رسائل الجاحظ جمع وعناية عبدالسلام هارون نشر مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٩هـ.
- روح المعاني لشهاب الدين محمود الألوسي مصورة بدار الفكر بيروت
- السنن الكبرى للبيهقي تصوير عن طبعة الهند .
- السنة لأبي بكر بن أبي عاصم الشيباني ت٢٨٧هـ(ط١) المكتب الإسلامي بيروت
- سير أعلام النبلاء ط١ مؤسسة الرساله تحقيق بشار معروف محيي هلال وآخرون .
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي منشورات دار الآفاق بيروت.
- شرح العقيدة الطحاوية تأليف ابن أبي العز الحنفي تحقيق شعيب الأرنؤط (ط١) مكتبة دار البيان دمشق ١٤٠١ هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩هـ توزيع دار الباز بمكة .

- الصحاح للجوهري تأليف اسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبدالغفور عطار (ط٢) ١٤٠٢هـ .

صحيح البخاري = الجامع الصحيح

- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي مصورة عن طبعة دار إحياء الكتب العربية مصر.

- الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري ت٢٠١هـ تحقيق.علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،ط.الحلبي،مصر.

- طبقات الشافعية لابن السبكي (تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي (ط ١ عيسى البابي الحلبي).

- طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوي تحقيق،كمال الحوت ط ١ دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ.

- طبقات المفسرين للسيوطي ط. دار الكتب العلميه بيروت .

- علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ٢، الأشاعرة د. أحمد محمود صبحي .ط ٥ دار النهضه بيروت .

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) صورة مخطوطة تحقيق محمد الدغيم ،ط ١ ١٤٠٧،هـ.

- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي .ط أوقاف العراق ،تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري تحقيق إبراهيم عطوه (ط١) ١٣١٨هـ.

- فاتحة نظام القرآن للفراهي المطبعة السلفية ،الهند .

- الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي (ط٢) المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٦هـ.

- الفاصلة القرآنية تأليف د. عبد الفتاح لاشين للدكتور عبد الفتاح لاشين.دار المريخ الرياض

- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي تصوير دار الفكر بيروت ١٣٨٩ هـ.

- فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تصوير دار الفكر عن الطبعة السلفية رقم أحاديثه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب وتعليق الشيخ عبد العزيز بن باز .

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير تأليف محمد بن علي الشوكاني ،ط دار الفكر بيروت- لبنان .

- فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية لمحمد صالح الزركان، دار الفكر بيروت .

- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي الجرجاني منشورات دار الآفاق ببيروت (ط٣) ١٩٧٨ م

- فوائد في مشكل القرآن لعزالدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) ت .د.سيدرضوان علي الندوي ،ط الثانية دار الشروق جدة ١٤٠٢هـ.

- الفوائد المشوق لعلوم القرآن وعلم البيان لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

- فهرست المخطوطات والمصورات الجزء الثاني، ط عمادة شؤون المكتبات بجامعة الإمام الرياض .

- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور طبع دار صادر بيروت .

- لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي (ط٢)دار إحياء العلوم ، بيروت ١٩٧٩م

- الكامل لابن الأثير دار الكتاب العرب بيروت ١٣٨٧هـ.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت-٥٣٨هـ)ط دار المعرفة بيروت لبنان

- مباحث في التفسير الموضوعي، د.مصطفى مسلم (ط١) دارالقلم دمشق ١٤١٠، هـ.

- مجاز القرآن لأبي عبيدة ،تحقيق وتعليق محمد فؤاد سيزكن،مؤسسة الرسالة .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق ابن عطية الأندلسي(ت -٥٤١) تحقيق مجموعة من العلما مع الشيخ إبراهيم بن عبدالله الأنصاري (ط١) قطر ١٤٠١ هـ .

- المحصول في علم الأصول للفخر الرازي تحقيق طه جابر العلواني ،ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي /٦٥٦هـ .

- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٢م.

- مذاهب التفسير الإسلامي جولد صيهر ، الطبعة الثانية، دار إقرأ،١٤٠٣هـ.

- مرويات ابن مسعود رضي الله عنه في الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد ،للدكتور الشريف منصوربن عون العبدلي،ط الأولى دار الشروق جدة .

- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري تصوير دار المعرفة بيروت .توزيع دار الباز بمكة المكرمة .
- مشكل القرآن لابن قتيبه= تأويل مشكل القرآن .
- معاني القرآن لأبي زكريا الفراء تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي (ط٣) عالم الكتب بيروت ١٤٠٣هـ.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ضبطه وصححه أحمد شمس الدين (ط١) دار الكتب العلميه ١٤٠٨هـ.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل إملاء القاضيعبدالجبار الهمداني الأسد آبادي قوم نصه أمين الخولي ط ١-الشركه العربية للطباعة والنشر مصر ١٣٨٠هـ.
- مفاتيح الغيب "التفسير الكبير" للإمام الفخر الرازي الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي بيروت .
- المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت - لبنان .
- الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ،مكتبة الخانجي بمصر.
- موسو عه اصطلاحات العلوم الإسلامية لمحمد بن علي التهانوي
- المؤطأ للإمام مالك بن أنس تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٦ هـ.
- الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي (ط٢) المكتبة التجارية الكبرى ١٣٩٥هـ.
- موسوعة مصطلحات الفنون للتهانوي طبعة الهند .
- مناقب الإمام الشافعي تحقيق د.أحمد حجازي السقا .ط١، الكليات الأزهرية مصر ١٤٠٦هـ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال.تحقيق علي محمد البجاوي طبع دار المعرفة، بيروت .
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن د.محمد عبد الله دراز طبع دار القلم الكويت .

- النبوات لابن تيمية تحقيق ودراسة محمد عبد الرحمن عوض، ط دار الكتاب العربي ،ط١ ، بيروت ١٤٠٥هـ.

- نظم الدرر للبقاعي ط دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند ١٣٨٩هـ

- النكت في إعجازالقرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز .الطبعة الثالثة .دار المعارف بمصر .

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخرالدين الرازي دراسة وتحقيق د.الشيخ أحمد حجازي السقا(ط١)بمصر المكتب الثقافي ١٩٨٩م.

- الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية د.رفعت فوزي عبد المطلب ،ط.دار السلام .القاهرة ١٤٠٦هـ

- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان لابن خلكان محمد بن أبي بكر تحقيق إحسان عباس، ط، دار صادر بيروت ١٩٧٧م.

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وتقدير	١
المقدمة	٢
الباب الأول: في علم المناسبات :	١٠-٨٦
الفصل الأول : التعريف بعلم المناسبات.	١٢-٢٣
المطلب الأول: تعريف المناسبة عند اللغويين.	١٣
المطلب الثاني: تعريف المناسبة عند البلاغيين .	١٦
المطلب الثالث :تعريف المناسب عند علماء الأصول	٢٠
المطلب الرابع : المناسبة عند علماء علوم القرآن	٢١
الفصل الثاني : دراسة تاريخية لعلم المناسبات في القرآن الكريم حتى عصر الرازي .	٢٤-٨٥
المبحث الأول : نشأة المناسبة.	٢٥
المطلب الأول : هل أدركه العرب ؟	٢٦
المطلب الثاني: المناسبة في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم .	٣٠
المطلب الثالث: المناسبة في تفسير الصحابة والتابعين .	٣٣
المبحث الثاني: مراحل علم المناسبة حتى عصر الفخر الرازي، وأهم المؤلفات فيه	٤٣-٨٥
المطلب الأول: أول من أكد على السياق .	٤٤
المطلب الثاني : المناسبة في القرن الثالث .	٤٦
الهجوم على نظم القرآن، والدفاع عنه.	٤٨
ابن قتيبة وترابط القرآن .	٥٢
المطلب الثالث :التناسب في القرن الرابع الهجري.	٥٦
ابن جرير الطبري والتناسب .	٥٦
التصريح بالمناسبة .	٥٩
الخطابي وتناسب القرآن .	٦١
المطلب الرابع : المناسبة في القرن الخامس .	
الباقلاني وآراءه في اسلوب القرآن.	٦٩
الجرجاني ونظرية النظم .	٧٦
المطلب الخامس : المناسبة في القرن السادس واهتمام المفسرين بالتناسب .	٧٩
المطلب السادس : الرازي وعلم المناسبات .	٨٤

الموضوع	رقم الصفحة
الباب الثاني: الدراسة النظرية لعلم المناسبات .	٨٦-١٤٩
المبحث الأول : قواعد علم المناسبة .	٨٧-١٠٣
المبحث الثاني :المناسبة بين القبول والرد.	١٠٤-١٢٣
المناسبة بين القبول والرد.	١٠٥
القسم الأول :- القائلون بالمناسبة.	١١٠
القسم الثاني :- المانعون.	١١٠
الرد على المانعين .	١١١-١٢٣
المبحث الثالث: فوائد المناسبة .	١٢٤-١٤٢
فوائد المناسبة.	
المبحث الرابع :أنواع المناسبات .	١٤٣-١٤٩
الباب الثالث :الدراسة التطبيقية وفيها فصول .	١٥٠-٣٩٣
الفصل الأول: نبذة عن الفخر الرازي وكتابه .	١٥١-١٦٧
اسمه ونسبه ومولده.	١٥٢
نشأته و علمه.	١٥٣
رحلاته.	١٥٣
وفاته.	١٥٣
مأخذ على الرازي .	١٥٤
وصيته قبل موته .	١٥٨
مؤلفاته وآثاره.	١٦١
نبذة عن كتاب " مفاتيح الغيب ".	١٦٢
الرازي والمناسبات بين التأثر والتأثير .	١٦٦
الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية لسورة الفاتحة .	١٦٨-١٨٨
المبحث الأول : موضوعات السورة ومقاصدها .	١٦٩
المبحث الثاني :مناسبات سورة الفاتحة.	١٧٣
ربط آيات الفاتحة.	١٧٤
ربط أجزاء السورة ومقاطعها وفواصلها.	١٨١
ربط الرازي الفاتحة بغيرها من السور.	١٨٦

الفصل الثالث : مقاصد سورة البقرة وموضوعاتها. ١٠٩-٢٠٤
الفصل الرابع :ربط أجزاء الآية الواحدة . ٢٠٥-٢٥١
الفصل الخامس : الفاصلة والتذييل . ٢٥٢-٢٩١
الفصل السادس : الربط بين الآية والآية . ٢٩٢-٣٧٥
الفصل السابع: مناسبات المقاطع . ٣٧٦-٣٨٤
الفصل الثامن: مناسبات أجزاء السورة . ٣٨٥-٣٩٣
الخاتمة. ٣٩٤
الفهارس ٣٩٥
فهرس الآيات الواردةفي الدراسة النظرية ٣٩٦
فهرس الأحاديث والآثار ٤٠٠
فهرس بأشهر العلماء الذين تناولوا
المناسبة في القرآن الكريم ومؤلفاتهم فيها. ٤٠٢
فهرس المصادر والمراجع . ٤٠٦
فهرس الموضوعات ٤١٤